

التفأؤل والتشاؤم
وأثرهما في الدعوة إلى الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله

دراسة وصفية تحليلية

إعداد:

صفاء محمد حامد التكيئة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

أصل الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في الدعوة والثقافة الإسلامية
بإشراف:
أ. د. محمد زين الهادي العرمابي
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

ويقول الرسول ﷺ: «إنما الأمل رحمة من الله على أمتي، ولولا الأمل ما أرضعت أمٌ ولدٍ ولدًا، ولا غرس غارسٌ شجرةً»^(٢).
ويقول الشاعر الطغرائي في لاميته^(٣):

أَعْلِلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ

(١) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٣٩٢٤، (٣٩/٣٤٧).

(٣) لامية العجم، والتي حاكى فيها لامية العرب الشنفرى الأزدي، والطغرائي هو السيد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصناعة النظم والنثر. ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبة المنشئ من كتاب «الأنساب»، وأثنى عليه، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة. ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه، انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، بدون طبعة، (١٨٥/٢).

إهداء

- إلى روح والديّ الكريمين... طيّب الله ثراهما وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة.
 - إلى زوجي الحبيب الذي صبر على انشغالي، وقدم لي كل العون والمساعدة دون تدميرٍ أو تضجيرٍ أو حتى لومٍ أو عتابٍ.
 - إلى أبنائي وقرة عيني وأحباء روحي: آلاء ومحمد وأحمد ودعاء وأروى وعبدالرحمن، لمساعدتهم لي بكل ما يستطيعون، وتحملهم انشغالي عنهم.
 - إلى معلماتي الفاضلات اللاتي أسقينني من علمهن الغزير، الأستاذة أماني عاشور، والأستاذة ميّادة كامل الماضي، والأستاذة شادية عبدالحميد.
 - إلى جميع أخواني وأخواتي وقارئتي رسالتي من الدعاة وغيرهم.
- إلى هؤلاء أهدي لكم هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنني - وقد انتهيت من إعداد هذه الدراسة - أتوجه بالحمد والشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً، على ما تفضل به وأنعم وأكرم، إذ أعانني ووفقني إلى كتابة هذه الرسالة، والذي يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، وامثالاً لقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَشْكَرَ النَّاسِ لِلَّهِ أَشْكُرُهُمُ لِلنَّاسِ»^(٢).

يسعدني ويشرفني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى جامعة أم درمان الإسلامية، وأخص بالشكر معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، ثم الشكر للأستاذ الكريم والمربي الفاضل الدكتور/ محمد زين الهادي العرمابي؛ لتفضله مشكوراً بقبول الإشراف على هذا البحث، ولمتابعته المستمرة، وملاحظاته القيّمة، مما كان له أكبر الأثر في سير البحث بصورة منتظمة وطيبة، فجزاه الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى

(١) سورة إبراهيم، من آية: ٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب حديث الأشعث بن قيس الكندي، برقم ٢١٨٤٦، (٣٦/١٦٦).

مناقِشي هذه الدراسة الدكتور الفاضل/ محمد سيد الشريف سعد والدكتور
الفاضل/ إبراهيم حسن إبراهيم.

وأقدم بوافر الشكر لإخواني الأفاضل: الدكتور/ الطيب محمد حامد
التكينة والدكتور/ شمس الدين محمد حامد التكينة على اهتمامهما
وتشجيعهما لي.

والشكر والامتنان لكل من قدّم لي يد العون والمساعدة، وأخصّ
بالشكر منهم ابنة عمي: الدكتورة إيمان عبدالرؤوف التكينة، وابن أختي
الطالب الجامعي أنس محمد عبدالرؤوف التكينة.

وكل الذين أخذوا بيدي وشدّوا من أزري ووقفوا إلى جانبي من
أهلي وزميلاتي فلهم مني كل محبة وتقدير.

وأخيراً؛ أسأل الله العظيم أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم، وأن يجعله في ميزان أعماله يوم القيامة، وأن يوفقني، ويسدّني،
ويعينني في إعداد رسالة الدكتوراه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر التفاؤل والتشاؤم على الداعي والمدعو، كما تهدف إلى إبراز مواقف من التفاؤل في حياة النبي ﷺ وأصحابه والأنبياء والتابعين وتابعيهم، وبيّنت الدراسة أهمية الأمل والتفاؤل والبعد عن التشاؤم في إنجاح مسيرة الدعوة إلى الله، ويحتوي البحث على مقدمة وثلاثة فصول، اشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة.

وتناول البحث التفاؤل، مفهومه وأدلته وضوابطه، والأسباب المؤدية إليه والمُعينة عليه عند الداعية، وآثاره، كما تحدث البحث عن التفاؤل في حياة النبي ﷺ وأصحابه والأنبياء والتابعين ومن جاء بعدهم، وتواصل الحديث عن التشاؤم، والأدلة التي تحذر منه، وأسبابه وآثاره، وعلاجه، وخرجت الدراسة بعدد من النتائج، من أهمها:

- ١ - التفاؤل المطلوب في الإسلام هو التفاؤل الإيجابي الواقعي، الذي يقترن بتقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وإحسان العمل.
- ٢ - إنّ دعاة التشاؤم واليأس... يجرّون الناس للمعاصي جرّاً.
- ٣ - إنّ تفاؤل الداعية وتشاؤمه ينعكسان على المدعويين.

وأوصت الدراسة بضرورة اقتداء الدعاة بالنبي ﷺ في تفاؤله في كل أحواله لا سيما في الدعوة إلى الله، كما أوصت بضرورة بذل أقصى ما يمكن من الجهود في الدعوة إلى الله دون الالتفات إلى النتائج.

Abstract

This study aims to demonstrate the impact of optimism and pessimism on the calling and called, also aims to highlight

the situations of optimism in the life of the Prophet Mohammed (peace be upon him) and his companions and the prophets and followers and their followers, the study showed the importance of hope and optimism and remoteness from pessimism to the success of the march of the call to God. The study comes in an introduction and three chapters. In the introduction, It presents the importance of the topic and the reasons for its choice and previous studies. The research involves optimism, its means, its evidence, controls, the reasons leading to it and appointed him at the preacher, and its effects.

It also approaches optimism occur in the life of the Prophet, his companions, the prophets, followers and those who came after them. Then continue to talk about pessimism, evidence that warn of it, the causes, effects, and treatment. the study went out a number of findings, including:

- Optimism Required in Islam is positive realistic optimism, which is coupled to fear God by his orders and avoid His prohibitions, and work.

- The advocates of pessimism and despair.. dragging the people to sin.

- The preacher optimism and pessimism are reflected on the invitees.

The study recommended the necessity of preachers to follow the Prophet (peace be upon him) in optimism in the conditions of all especially in the call to God, as recommended by the need to maximize the efforts in the call to God without paying attention to the results.



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

عندما ينظر المسلم حوله يرى انتشار الكفر والفساد والمعاصي، وكثرة الأعداء وقوة سلاحهم من الطائرات والصواريخ والقنابل وما أصاب ديار المسلمين من الخراب والدمار، أعراض تُنتهك، ونساء تُرمل، وأولاد يُتموا، هُدمت بيوت المسلمين، واستُبيحت حرماهم، ونُهبت أموالهم وخيرات بلادهم، عندما يرى المسلم هذه الأحوال يُصيبه التشاؤم واليأس والإحباط، ولكن مهلاً مهلاً... فإن الأمر ليس بهذا السوء؛ فالتفاؤل والأمل باقيان في هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، ولا ينبغي أن يصيبنا التشاؤم واليأس الذي يدفعنا إلى الحزن المُقعد عن العمل، وليست هذه الكلمات من التخدير والتغاضي عن الواقع المرّ، وإنما هي للنهوض بالنفوس للعمل حتّى لا تقع فريسة لليأس القاتل.

إن المسلمين مهما اشتدت بهم الأحوال والكروب، ومهما أصابهم الضيم والذل، فإنهم هم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) (١).

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

إن من واجب الدعاة إلى الله أن يبعثوا روح الأمل في الأمة، وأن يُخبروا الناس بحقيقة الفجر الساطع الذي لا يأتي إلا بعد اشتداد الظلام، وأن يُبشروا الناس بأن الخير قادم، مقتدين في ذلك بنبيهم ﷺ الذي قال: «بشّروا ولا تنفروا»^(١). وكان يُبشر أمته في أشد حالات الكرب والضيق؛ فقد بشّر سراقه بن مالك بلبس سوارٍ كسرى وهو مطارِد من قبل المشركين، وبشّر أصحابه في غزوة الأحزاب حتّى قال مُعَتَّب بن قُشَيْرٍ - أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - «كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُّنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ»^(٢).

ولا يظن ظانٌّ أن هذه الأمة قد ماتت أو أنها تحتضر، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الفكر الإحباطي الميئس فقال ﷺ: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»^(٣).

إن النصر لهذه الأمة والتمكين لهذا الدين، والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن والسنة والتاريخ والواقع... ولما كان للتفاؤل هذه الآثار العظيمة في الدعوة إلى الله، وللتشاؤم هذه الآثار الخطيرة في الدعوة إلى الله، فقد اختارت الباحثة بحثاً بعنوان:

«التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله»

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، في كتاب الجهاد والسير ٣٢، باب في الأمر بالتيشير وترك التنفير، برقم ١٧٣٢، (٣/١٣٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ سورة الأحزاب، آية: ١٢، (٦/٣٨٨)، وانظر السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، (٢/٢٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب ٤٥، باب النهي عن قول هلك الناس، برقم ٢٦٢٣، (٤/٢٠٢٤).

وسيكون تركيز الباحثة على التشاؤم الذي هو بمعنى اليأس الذي يؤدي إلى القعود أو على الأقل التواني والكسل عن واجب الدعوة إلى الله.

❦ أولاً: أهمية الموضوع:

بالنظر إلى أهمية الدعوة إلى الله ﷻ وأنها مسؤولية كل مسلم والتي تعتبر أشرف الأعمال وأحسن الأقوال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وما يمثله التفاؤل من قيمة اجتماعية مهمة لدى معظم الناس، إذ يفضلون صحبة الشخص المتفائل على المتشائم؛ ومن ثم سهولة استجابة المدعوين لدعوة هؤلاء الدعاة المتفائلين - وما للموضوع من أثر واضح على عناصر الدعوة من الداعي والمدعو، وأخذاً بالاعتبار قلة الدراسات العلمية - على حسب علم الباحثة - التي تناولت الجوانب الدعوية لهذا الموضوع، وقلة اهتمام الدعاة بهذا الموضوع على أهميته فإني أتصدى للبحث في هذا الموضوع المهم بعد القراءة المستفيضة حوله والاستشارة العلمية.

❦ ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

والأخص أسباب اختياري لهذا الموضوع في النقاط التالية:

- ١ - عدم وجود كتابات تفصيلية قديمة أو حديثة عن هذا الموضوع - على حسب علم الباحثة.
- ٢ - حاجة الدعاة إلى الله إلى التخلص بخلق التفاؤل والبعد عن التشاؤم مما يؤدي وبإذن الله إلى استمرارية الدعوة إلى الله.
- ٣ - إهمال هذا الموضوع على أهميته عند كثير من الدعاة.
- ٤ - حال الأمة الإسلامية اليوم من تكالب الأعداء عليها من كل جانب مما أدى إلى التشاؤم واليأس عند الدعاة.

(١) سورة فصلت: آية: ٣٣.

٥ - خطورة التشاؤم في تضيق الخناق على الدعوة وعدم اتساعها على مستوى الأفراد والجماعات.

٦ - أهمية مبدأ الأمل والتفاؤل باعتباره من أهم أسباب نجاح الدعوة بعد توفيق الله.

٧ - حاجة الأمة لشحذ الهمم والعزائم واستثارتها؛ بالتذكير بالتفاؤل باعتباره الصفة التي تأخذ بالهمة إلى القمة، وتضيء الطريق لأهلها.

٨ - رغبتى أن أقدم عملاً للحقل الدعوي يكون قربى لله ﷻ ويفيد منه الدعاة.

❁ ثالثاً: أهداف البحث:

١ - بيان أثر التفاؤل والتشاؤم على الداعي والمدعو.

٢ - إبراز مواقف من التفاؤل عند النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وعند الأنبياء السابقين والتابعين وتابعيهم لاستنهاض همة الداعي للقيام بواجبه.

٣ - بيان أهمية الأمل والتفاؤل والبعد عن التشاؤم في نجاح الدعوة بعد توفيق الله.

٤ - بيان أن على الداعية هداية الدلالة وأن هداية التوفيق من الله وحده لذلك فهو غير مسؤول ولا محاسب على النتائج.

٥ - زيادة الوعي لدى الدعاة بأن الدعوة إلى الله عبادة وشريعة وسنة ربانية، لا يضرها أن يقبل الناس على الطاعة أو يدبروا عنها إذ أنها وصية الله للأنبياء والعلماء والولاة.

٦ - الاستفادة من الأسلوب القرآني في الدعوة إلى التفاؤل والتحذير من التشاؤم.

٧ - غرس روح المبادرة للأعمال واستثمار الفرص من خلال تقوية ثقة الداعية بنفسه ودفعه لتوظيف طاقاته وملكاته في خدمة دعوته ونصرة دينه.

٨ - تعزيز ثقة الداعية بربه واطمئنانه على قدرته وكفايته وإحاطته وقهره والاعتماد عليه حتى يرى النصر المبين.

٩ - حث الدعاة على الاقتداء بالنبي ﷺ في تفاؤله في كل أحواله وفي دعوة قومه والذي يعد أفضل معلم وأنجح داعية عرفته البشرية في تأريخها والأنبياء من بعده.

١٠ - إبراز خطورة التشاؤم وإيضاح الأسباب المؤدية له عند الداعية وعلاجه.

❦ رابعاً: مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ١ - ما مفهوم التفاؤل والتشاؤم؟
- ٢ - ما الأسباب المؤدية للتفاؤل والتشاؤم عند الداعية؟
- ٣ - ما آثار التفاؤل والتشاؤم في الدعوة إلى الله؟
- ٤ - ما صور التفاؤل عند النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام والتابعين لهم وتابعيهم بإحسان؟
- ٥ - ما مواقف التفاؤل عند الأنبياء السابقين؟
- ٦ - كيف طبق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدأ التفاؤل في دعوتهم إلى الله ﷻ؟
- ٧ - هل يمكن للدعاة الاستفادة من أسلوبهم في الدعوة إلى الله؟

٨ - ما علاج تشاؤم الداعية وكيف يمكن للداعية تلافيه؟

❁ خامساً: منهج البحث:

نسبة لطبيعة الدراسة فقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك بجمع النصوص الشرعية حول موضوع التفاؤل والتشاؤم وتفسيرها وتحليلها، واستخدمت أيضاً المنهج الاستنباطي، باستخراج المعاني الدعوية الخاصة بالتفاؤل والتشاؤم من النصوص الشرعية، وأيضاً المنهج التاريخي الاستردادي باسترداد حياة بعض الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم ومنهجهم في الدعوة إلى الله، واتبعت الخطوات التالية في سير البحث:

- عزو الآيات إلى سورها والإشارة إلى ذلك في الحاشية.
- سأكتفي في تخريج الأحاديث بما ورد في الصحيحين، وإن لم أجد فيهما ففي غيرهما من كتب الحديث مع بيان درجتها إن تيسر.
- توضيح بعض المفردات الغريبة في هامش البحث إذا لزم الأمر.
- ترجمت للأعلام الواردة أسماءهم في متن الرسالة من المهمين وغير المشهورين.
- وقد واجهت الباحثة بعض الصعوبات والتي من أهمها: قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الدراسة من الناحية الدعوية؛ مما أدى إلى استعانة الباحثة بعدد لا بأس به من المواقع الإلكترونية الإسلامية.

❁ سادساً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري في البحوث الجامعية، والرسائل العلمية لم أجد من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة، غير أنه توجد بعض الدراسات التي تناولت جانباً من هذا الموضوع، مثل:

* الدراسة الأولى:

اليقين ومفهومه الديني وأثره في الدعوة إلى الله تعالى^(١).

١ - من أهداف الدراسة:

١ - بيان أهمية اليقين من خلال إبراز نماذج من اليقين عند النبي ﷺ وأصحابه وعند الأنبياء السابقين لاستنهاض همة الداعي للقيام بواجبه.

٢ - إبراز دور يقين الداعي في التأثير على المدعو وبيان أثر هذا اليقين في الدعوة وإبراز أسباب اكتساب اليقين والسعي لتحصيلها.

٢ - استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

٣ - من نتائج الدراسة:

١ - اليقين يغرس في القلب المبادرة إلى الأعمال والإقبال على الطاعات بهمة عالية.

٢ - استقامة الدعوة الإسلامية بقيادة الربانيين أهل اليقين بالله تعالى.

٣ - ضعف اليقين يبعد الإنسان عن الدين ويجعله متبعاً لهواه.

٤ - علاقة الدراسة بالبحث:

تلتقي هذه الدراسة بموضوع البحث، حيث تناولت الدراسة اليقين بالله والذي يمثل أحد آثار التفاؤل التي وردت في القرآن الكريم، بينما شملت دراسة الباحثة جميع آثار التفاؤل التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، من حسن الظن بالله والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، والثقة به، وعدم اليأس من روحه، واستشعار معيته وغيرها من المعاني.

(١) عماد أحمد علي أحمد، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة في جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، قسم الدراسات النظرية، عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

* الدراسة الثانية:

فقه الدعوة في السنة النبوية، دراسة تحليلية من كتاب فضائل الصحابة من صحيح الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللهُ)، المتوفى ٢٥٦هـ^(١).

١ - من أهداف الدراسة:

١ - تقديم دراسة تأصيلية في علم فقه الدعوة من منابعها الأصلية.

٢ - تأصل مبدأ الرجوع إلى الكتاب والسنة عند كل قضية من قضايا الدعوة.

٣ - إبراز الفوائد والمعارف والفقه الدعوي لأصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ.

٢ - استخدام الباحث المنهج الاستدلالي الاستنباطي.

٣ - من نتائج الدراسة:

١ - أهمية الداعية الكبرى في الحلقة الدعوية فهو المبلغ عن الدعوة، وأهمية اتصافه بالأخلاق الحسنة حتى تقبل دعوته.

٢ - أهمية المدعو في العملية الدعوية فهو المستهدف والمخاطب بالدعوة، والمدعوون على طبقات وأصناف ينبغي على الداعية مراعاتها.

٣ - عمق فهم السلف الصالح لأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، ويتضح ذلك من خلال شروحهم وأقوالهم وتعليقاتهم وتطبيقهم لها تطبيقاً عملياً والدعوة إليها.

(١) محمد بن حمد بن محمد المنيع، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤ - علاقة الدراسة بالبحث:

تلتقي الدراسة بالبحث في مبحث صفات الداعية، حيث تناولت الدراسة صفات الداعية والتي منها: الثقة بمعية الله ونصره إياه والذي يعتبر أحد معاني وآثار التفاؤل، بينما اشتمل البحث على جميع معاني وآثار التفاؤل التي وردت في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

* الدراسة الثالثة:

مقومات الداعية المربي كما جاءت في القرآن الكريم^(١).

١ - أهداف الدراسة:

- ١ - توضيح الأهمية الشرعية والتربوية للدعوة إلى الله.
- ٢ - الكشف عن المقومات الشخصية والأدائية للداعية المربي كما جاءت في القرآن الكريم.
- ٢ - استخدام الباحثان أسلوب التحليل الكيفي كأحد مداخل وتقنيات المنهج الوصفي.

٣ - من نتائج الدراسة:

- ١ - تشكل الدعوة إلى الله ﷻ بكل أبعادها عنصراً هاماً ووسيلة فاعلة في تربية الفرد المسلم وحماية الشخصية وتحسينها من عوامل الهدم والإفساد، وكذلك لها دور كبير في بناء المجتمع الفاضل المتماسك.

(١) الدكتور/ محمود خليل أبو دف أستاذ أصول التربية المشارك، كلية التربية - الجامعة الإسلامية والأستاذ/ مصطفى يوسف منصور، ماجستير أصول التربية، مدرس بمدارس وكالة الغوث للاجئين في مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين، بتاريخ - ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦ - ١٧ أبريل ٢٠٠٥م.

٢ - الداعية إلى الله يقوم بمهمة تربوية مكاملة ، ومساندة لما يقوم به المعلم في المدرسة والأسرة وخطابه الموجه إلى الناس يتضمن توجيهات تربوية وإرشادات للناس لها دور كبير في توجيه سلوكهم نحو الخير.

٤ - علاقة الدراسة بالبحث :

تلتقي الدراسة بالبحث في مبحث المقومات التي ينبغي أن تتوافر في الداعية المربي والتي ذكر فيها الباحث أبرز المقومات ، ومنها صفة التفاؤل بينما تناول البحث صفة التفاؤل للداعية بالتفصيل باعتبارها عنوان موضوع البحث.

* الدراسة الرابعة:

التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بالدافعية للإنجاز لدى عينة من طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود^(١).

١ - أهداف الدراسة :

١ - معرفة العلاقة بين التفاؤل والدافعية للإنجاز ، لدى عينة الدراسة من طلاب الجامعة.

٢ - معرفة الفروق بين الطلاب الجامعيين من المستوى الأول والطلاب الجامعيين من المستوى الثامن من الذكور والإناث ، المتزوجين وغير المتزوجين ، في متغيرات الدراسة المتمثلة في التفاؤل ، والتشاؤم ، والدافعية للإنجاز.

٢ - استخدام المنهج الوصفي الارتباطي على عينة حجمها (ن = ٥٠٢) طالب وطالبة من جامعة الإمام محمد بن سعود.

(١) إعداد الباحثة ندى راشد محمد الرشود ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير.

٣ - نتائج الدراسة :

١ - وجود ارتباط موجب ودال إحصائياً بين درجات التفاؤل ودرجات الدافعية للإنجاز، ووجود ارتباط سالب ودال إحصائياً بين درجات التشاؤم ودرجات الدافعية للإنجاز.

٢ - أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في التفاؤل لصالح الذكور، كما توجد فروق بين طلاب المستوى الدراسي الأول والثامن لصالح المستوى الثامن.

٣ - لا توجد فروق بين الطلاب المتزوجين وغير المتزوجين في التفاؤل.

٤ - من التوصيات :

إرشاد الطلاب، والطالبات، وتوجيههم، من خلال فتح مكاتب إرشادية في الجامعات، وعمل برامج مناسبة لهم لبث الحماس والعناية بالدراسات المتعلقة بالتفاؤل والتشاؤم والتفكير الإيجابي عند (الأطفال، المراهقين، المسنين).

كما اقترحت الدراسة عدداً من الدراسات المستقبلية ذات الصلة بالموضوع.

٥ - علاقة الدراسة بالبحث :

تلتقي الدراسة بالبحث في تناول الدراسة لأثر من آثار التفاؤل والتشاؤم وارتباطهما الموجب والسالب بالدافعية للإنجاز لدى الطالب الجامعي، بينما تناول البحث جميع آثار التفاؤل والتشاؤم على الدافعية.

* (الدراسة الخاصة):

التفاؤل والتشاؤم وعلاقتها بضغوط العمل والرضا عن العمل^(١).

(١) هدى جعفر حسن، قسم علم النفس - جامعة الكويت، عام ٢٠٠٦م.

١ - أهداف الدراسة:

١ - فحص العلاقة بين التفاؤل والتشاؤم وكل من ضغوط العمل والرضا عن العمل.

٢ - معرفة الفروق في متغيرات الدراسة، تبعاً للعوامل الديموغرافية المختلفة للعين.

٣ - طبقت أربعة مقاييس وهي (التفاؤل، والتشاؤم، وضغوط العمل، والرضا عن العمل) على ٣١٢ موظفاً وموظفة من الكويتيين.

٢ - استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي، طبقت فيه أربعة مقاييس وهي (التفاؤل، والتشاؤم، وضغوط العمل، والرضا عن العمل) على ٣١٢ موظفاً وموظفة من الكويتيين.

٣ - من نتائج الدراسة:

١ - بينت النتائج أن التفاؤل ارتبط إيجابياً مع الرضا عن العمل، وسلبياً مع ضغوط العمل في حين ارتبط التشاؤم سلباً مع الرضا عن العمل ولم يرتبط مع ضغوط العمل.

٢ - كما أظهرت النتائج أن المتفائلين كانوا أكثر رضا عن العمل من المتشائمين، ولكن لم تظهر فروق بين المجموعتين في ضغوط العمل.

٣ - وتبين أيضاً أن الإناث أكثر رضاً عن العمل من الذكور، وأن المطلقين والأرامل من كانوا أكثر شعوراً بضغوط العمل وأقل رضاً عن العمل من المتزوجين والعزاب وأن العاملين في مستوى الإدارة التنفيذية المباشر كانوا أقل تشاؤماً من العاملين في الإدارة.

٤ - علاقة الدراسة بالبحث:

تلقتي الدراسة مع البحث في آثار التفاؤل والتشاؤم التي أثبتت الدراسة أحد هذه الآثار وهي ارتباط التفاؤل إيجابياً بالرضا عن العمل

وسلبياً بضغوط العمل، وارتباط التشاؤم سلبياً بالرضا عن العمل، أما البحث فقد تناول شرحاً لجميع آثار التفاؤل والتشاؤم على الداعية.

* الدراسة السادسة: الاكتئاب والتشاؤم^(١):

١ - المنهج المستخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

٢ - أهداف الدراسة:

١ - تحديد علاقة كل من التشاؤم والاكتئاب ببعضهما وعلاقتهما بالمتغيرات النفسية التالية: العصبية، الانبساط، الذهانية، الأعراض المرضية، القلق الاجتماعي، الميول العصبية، الوسواس القهري، اليأس.

٢ - تحديد الفروق بين الجنسين والمراحل الدراسية في كل من الاكتئاب والتشاؤم.

٣ - تحديد نسب انتشار كل من الاكتئاب والتشاؤم لدى عينات الدراسة.

٣ - نتائج البحث:

١ - وجدت ارتباطات إيجابية دالة بين كل من التشاؤم والاكتئاب واليأس والقلق والوسواس القهري وكذلك بين التشاؤم وقلق الموت وبين التشاؤم والقلق، وبين التشاؤم وكل من عدد ساعات النوم في النهار عدد مرات الاستيقاظ وبين التشاؤم والشعور بالوحدة وبين التشاؤم والشخصية الفصامية وبين التشاؤم والأعراض الجسمية، وبين التشاؤم والعصبية وبين التشاؤم ومصدر الضبط الخارجي من ناحية أخرى وجدت ارتباطات سلبية دالة بين التشاؤم والاكتئاب والتشاؤم والصحة وبين التشاؤم وكل من

(١) د. سامر جميل رضوان، أستاذ مساعد في قسم الصحة النفسية، كلية التربية ٢٠٠١م،

مجلة العلوم التربوية النفسية . جامعة البحرين.

الصحة النفسية والشعور بالسعادة، وبين التشاؤم والتقدير الذاتي للتدين، وبين التشاؤم والدافعية للإنجاز وبين التشاؤم والانبطاح وبين التشاؤم وكل من الدراية بالعمل وجودته ومعدل الإنتاج والانضباط وحصافة الرأي والتوجيه والأداء بشكل عام والمبادرة والتعاون والقدرة على التخطيط.

٢ - ولم تسفر نتائج بعض الدراسات عن وجود فرق جوهري بين الجنسين في التشاؤم.

٤ - علاقة الدراسة بالبحث:

تلتقي الدراسة مع البحث في آثار التشاؤم فقد تناولت الدراسة آثار التشاؤم النفسية والصحية والتطورية لعامة الناس، بينما تناول البحث هذه الآثار وغيرها من الآثار الأخرى على الدافعية.

سابعاً: هيكل البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول كل فصل منها يحتوي على مباحث تدرج تحتها مطالب، وخاتمة تحتوي على النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع وفهرسة الآيات والأحاديث الواردة في البحث.

ويحتوي على ما يلي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته والدراسات السابقة.

* الفصل الأول: التفاؤل، مفهومه وضوابطه وأقسامه وأدلته وأسبابه وآثاره.

- المبحث الأول: مفهوم التفاؤل، وأدلته وأقسامه وضوابطه.

المطلب الأول: معنى التفاؤل في اللغة والاصطلاح وأقسامه وضوابطه.

المطلب الثاني: الأدلة على التفاؤل من القرآن والسنة.

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على التفاؤل عند الداعية.

- المبحث الثاني: أسباب التفاؤل.

المطلب الأول: الأسباب المؤدية للتفاؤل عند الداعية.

المطلب الثاني: الأسباب المعينة على التفاؤل عند الداعية.

- المبحث الثالث: آثار التفاؤل على الداعية والمدعوين.

المطلب الأول: آثار التفاؤل على الداعية.

المطلب الثاني: آثار التفاؤل على المدعوين.

* الفصل الثاني: مواقف للتفاؤل في حياة النبي ﷺ والأنبياء والصحابة والتابعين وما بعد عصر تابعي التابعين.

- المبحث الأول: التفاؤل في حياة النبي ﷺ.

المطلب الأول: تفاؤل النبي ﷺ بهداية قومه وانتشار الدين وإتمامه وتفاؤله والهجرة.

المطلب الثاني: تفاؤله ﷺ في الأزمات والغزوات.

المطلب الثالث: النبي ﷺ يعلم أصحابه التفاؤل.

- المبحث الثاني: التفاؤل في حياة الأنبياء.

المطلب الأول: التفاؤل في حياة أنبياء الله نوح وإبراهيم عليهما السلام.

المطلب الثاني: التفاؤل في حياة أنبياء الله يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام.

- المبحث الثالث: التفاؤل في حياة الصحابة والتابعين وما بعد عصر تابعي التابعين.

المطلب الأول: التفاؤل في حياة الصحابة.

المطلب الثاني: التفاؤل في حياة التابعين وما بعد عصر تابعي التابعين.

* الفصل الثالث: التشاؤم، مفهومه وأدلته وأسبابه وآثاره وعلاجه.

- المبحث الأول: مفهوم التشاؤم وأدلته.

المطلب الأول: مفهومه في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الأدلة الشرعية التي تحذر منه.

- المبحث الثاني: آثار التشاؤم على الدعوة.

المطلب الأول: آثار التشاؤم على الداعية.

المطلب الثاني: آثار التشاؤم على المدعوين.

- المبحث الثالث: أسباب التشاؤم عند الداعية وعلاجه.

المطلب الأول: أسباب التشاؤم عند الداعية.

المطلب الثاني: علاج التشاؤم عند الداعية.

الخاتمة: وتشمل:

- النتائج.

- التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.



الفصل الأول:

التفاؤل، مفهومه وأدلته وضوابطه وأسبابه وآثاره

● وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم التفاؤل، وأدلته وأقسامه وضوابطه.
- المبحث الثاني: أسباب التفاؤل.
- المبحث الثالث: آثار التفاؤل.

المبحث الأول: مفهوم التفاؤل، وأدلته وضوابطه

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التفاؤل في اللغة والاصطلاح وأقسامه وضوابطه.

المطلب الثاني: الأدلة على التفاؤل من القرآن والسنة.



المطلب الأول:
مفهوم التفاؤل في اللغة والاصطلاح
وأقسامه وضوابطه

يأتي التفاؤل بمعنى التيا من المقابل للتشاؤم، والفأل المقابل للشؤم، ويأتي التفاؤل بمعنى الاستبشار والأمل المقابل للقنوط واليأس والإحباط وهذا هو موضوع بحثنا، وأما الأول فنشير إليه بإجمال - إن شاء الله -.

❁ التفأول في اللغة:

جاء في لسان العرب^(١) الفأل ضد الطيرة، والجمع فؤول، وقال الجوهري: الجمع أفؤل. وأنشد للكميت:

ولا أسأل الطير عما تقول ولا تتخالج نيال أفؤل
وتفاءلت به، وتفاءل به؛ يقال: تفاءلت بكذا وتفاءلت، على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً.

والاسم: الفأل مهموز: أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجه له فيظنه - كما سمع - أنه يبرأ من مرضها ويجد ضالته. يقال: تفاءل بكذا بالتشديد^(٢).

❁ التفأول في الاصطلاح:

الفأل: هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الطيبة أو الكلمة الحسنة؛ المقوية للعزم والمقوية على الظفر، مصداق ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عُدْوَى وَلَا طِيرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل»، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعونها أحداكم»^(٤).

(١) ابن منظور، مادة فأل، (٥١٣/١١ - ٥١٤) دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ.

(٢) انظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ج ١ ص ٥٠٥، المطبعة الكلية مصر، ط ١ ١٣٢٩ هـ باب (ف أ ل).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الطب ٧٦، باب الفأل، برقم ٥٧٥٦، (١٣٥/٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم برقم ٢٢٢٤، (١٧٤٦/٤)، قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة». واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطب ٧٦، باب الفأل، حديث رقم ٥٧٥٥، (١٣٥/٧).

أي: وقت احتياجه لها للخروج من أزمة تفكير، أو لتنشيطه في سلوك سبيل الخير، فتنفعه نفسياً في إمداد توجهه الإيجابي، وبما يمكنه من اختيار الصائب السليم من الأقوال والأفعال والأحوال^(١).

فالتفاؤل: هو الكلمة الطيبة تبعث على السلوك الإيجابي في الحياة - فتبعثها على الطمأنينة في أوقات صعبة، وظروف عسيرة، وتمنحها روح التجدد وقابلية السعادة، وتحرك في كوامنها الإيجابية ومقوماتها، وتنهض بها إلى الجدو والاجتهاد والإقبال على عمل الدنيا والآخرة بكل حرفة ونشاط، وروح وحماس وإقدام ومسؤولية^(٢).

قال ابن بطال^(٣): جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن كان لا يملكه ولا يشربه^(٤).

قوله: «ويعجبني الفأل». أي: يسرني، والفال بينه بقوله: (الكلمة الطيبة). ف(الكلمة الطيبة) تعجبه ﷺ، لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضي قدماً لما يسعى إليه الإنسان، وليس هذا من

(١) استراتيجية التفاؤل سبيلك الى النجاح دراسة في ضوء القرآن والسنة، الدكتور عبد القدوس بن أسامة السامرائي، إدارة البحوث الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١.

(٣) شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام. أخذ عن: أبي عمر الطلمنكي وابن عفيف وأبي المطرف القنازعي ويونس بن مغيث. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة؛ شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه واشتقضي بحضن لورقة. توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الحديث - القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (٣٠٣/١٣). وانظر: الأعلام للزركلي، (٢٨٥/٤).

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٤٣٧/٩).

الطيرة، بل هذا مما يشجع الإنسان، لأنها لا تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينة وإقداماً وإقبالاً.

وظاهر الحديث: الكلمة الطيبة في كل شيء، لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سبباً لخيرات كثيرة، حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة^(١).

ومن ثم يكون المراد بالتفاؤل: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبة شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمه»^(٢).

والفأل بهذا المعنى: أمل ورجاء للخير من الله تعالى عند كل سبب ضعيف أو قوي بخلاف الطيرة فهي سوء ظن بالله وتوقع البلاء، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى.

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأجبتة فقال: «أخذنا فآلك من فيك»^(٣).

✽ أقسام الفأل:

يتضح لنا ممّا تقدم، أن الفأل ينقسم إلى قسمين:

١ - الفأل الحسن: «هو حدوث علامة طيبة مصاحبة نية عمل شيء،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، محرم ١٤٢٤هـ.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب ٢٧، ج٤، باب في الطيرة، حديث رقم ٣٩١٧، (١٨/٤) وصححه الألباني.

أو مقارنة للبدء والشروع فيه فيستبشر بذلك، ويغلب على ظنه أن الله تعالى سيتم له على خير»^(١)، وهو أحسن أنواع الطيرة، وخيرها، وهو الذي كان يعجب النبي ﷺ ويحبه، بل هو القسم المحمود في الشريعة، إذ أنه مجرد استئناس بشيء معين يسر الإنسان، وليس سبباً يجعل الإنسان يمضي إلى الأمر أو يحجم عنه، لأنه يكون بعد عزم الإنسان على المضي في أمر ما، «فمن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصوداً بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال»^(٢).

٢ - الفأل القبيح: وهو يدخل في باب التطير المذموم، وهو الذي يوجب انعقاد العزم على أمر ما ليصار إليه أو يحجم عنه، وكأن صاحبه اتخذ سبباً في ما يريد أن يعزم عليه، وهذا لا شك أنه فأل مذموم، ويدخل في قسم الطيرة المنهي عنها، والله أعلم، لقوله ﷺ «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»^(٣).

وقد ورد عن عكرمة أنه قال: كنا عند ابن عمر، وعنده ابن عباس وممر غراب يصيح، فقال رجل من القوم: خَيْرٌ خَيْرٌ، فَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: «مَا عِنْدَ هَذَا لَا خَيْرَ وَلَا شَرٍّ»^(٤).

(١) صناعة الحياة، محمد أحمد الراشد، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار المنطلق، دبي، ص ١٨، نقلاً عن رسالة دكتوراه بعنوان: مستقبل الإسلام، دراسة تحليلية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة، د. نزار عبد القادر ريان، ٥٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكيمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (٩٩٣/٣)، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، في مسند الفضل بن عباس عن النبي ﷺ، برقم ١٨٢٣، (٣٢٧/٣).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، (٢١٥/١٠)، وانظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تحقيق: =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، وكان يحبُّ الاسم الحسن»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة»^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت»^(٣).

قال الحلبي رحمه الله^(٤): (كان النبي ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال)^(٥).

ونصل في النهاية إلى أن الفأل الحسن ندبت إليه الشريعة الإسلامية، وذلك لأن الفأل الصالح هو الذي يناسب الفطرة، إذ فطر الناس على

= مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ، (١٩٤/٢٤)، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، (٣١٤/١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب الطيرة، باب: ذم الطيرة ومدح الفأل، برقم ٢٨٢٣، كتاب الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، باب: ذم الطيرة ومدح الفأل، (٤٠٥/٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب: من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، حديث رقم ٣٥٣٦، (١١٧٠/٢).

(٣) فتح الباري، مرجع سابق ج ١٠، ص ٢١.

(٤) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبدالله: فقيه شافعي، قاض. ولد سنة ٣٣٨ هجرية، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره، مات سنة ٤٠٣ هجرية. انظر: الأعلام للزركلي (٢/٢٣٥).

(٥) فتح الباري مرجع سابق، (٢١٥/١٠).

الميل للاسم المحبب، والارتياح له، كالنجاح، والفلاح، والرشد ولأنه لا يخشى منه مفسدة، كأن يرد الإنسان عن عمله، وإنما هو استئناس بشيء ما، وقع بعد عزم الإنسان على مباشرته عملاً معيناً^(١).

❁ التفاؤل عند علماء النفس:

تستحوذ دراسة التفاؤل والتشاؤم على اهتمام بالغ من قبل الباحثين في علم النفس، نظراً لارتباط هاتين السمتين بالصحة النفسية للفرد، فقد أكدت مختلف النظريات على ارتباط التفاؤل بالسعادة والصحة والمثابرة والإنجاز والنظرة الإيجابية للحياة. على حين يرتبط التشاؤم باليأس والفشل، والمرض، والنظرة السلبية للحياة^(٢).

عرّفت منظمة الصحة النفسية (٢٠٠٤) التفاؤل بأنه: (عملية نفسية إرادية تولد أفكار ومشاعر الرضا والتحمل والأمل والثقة، وتبعد أفكار ومشاعر اليأس والانهزامية والعجز).

يعرفه بدر الأنصاري^(٣) بأنه:

نظرة استبشار نحو المستقبل تجعل الفرد يتوقع الأفضل، وينتظر حدوث الخير ويرنو إلى النجاح ويستبعد ما خلا ذلك.

يعرفه «تايجر»^(٤) بأنه: مجموعة الأفعال أو السلوكيات التي تجعل أفراد المجتمع يتغلبون على الصعوبات والمحن التي قد تواجههم في معيشتهم.

(١) انظر إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حمد الجبيلي، تقديم عبدالله بن سليمان بن حميد، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٥.

(٢) التفاؤل والتشاؤم: دراسة ثقافية مقارنة بين اللبنانيين والكويتيين، دكتور نجوى اليحفوفي ودكتور بدر محمد الأنصاري، قسم علم النفس - جامعة الكويت نسخة معدلة أولى بتاريخ: ٢٣/١٠/٢٠٠٢.

(٣) التفاؤل والتشاؤم، المفهوم، القياس، المتعلقات. بدر محمد الأنصاري (١٩٩٨) جامعة الكويت، الكويت ط ١، لجنة التأليف والتعريب والنشر ص ١٥.

(٤) نقلاً عن المرجع نفسه، ص: ١٤.

وقد عرفه مارشال^(١) بأنه: استعداد شخصي للتوقع الإيجابي للأحداث.

وقد حدد الشيخ حسن البنا رحمه الله النفس المتفائلة التي تريدها صفوف الدعوة فقال: «نحن نريد صفوفاً حية، قوية فتية، وقلوباً جديدة خفاقة، ومشاعر غيورة، ملتهبة، مضطربة، وأرواحاً طموحة، متطلعة، متوثبة، تتخيل مثلاً علياً وأهدافاً سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها»^(٢).

وترى الباحثة أن التفاؤل بالنسبة للداعية - وهو المعنى المقصود في هذه الدراسة - فهو يعني له: انشراح صدره، ويقينه وحسن ظنه بربه، وتوقع حصول الخير من جميع المدعوين، بالرجوع إلى الدين الحق، والتوبة من المعاصي وانتشار الدعوة الإسلامية، مما يحثه على العمل والسعي في بذل النصيح والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى دون كللٍ أو مللٍ أو يأس.

❁ ضوابط التفاؤل^(٣):

إن التفاؤل المطلوب في الإسلام ليس مجرد توقع أو كلام عار عن الضوابط، وإنما هو سلوك نفسي حث عليه الإسلام مقروناً بضوابطه، وهي:

أولاً: أن يكون التفاؤل مقروناً بتقوى الله بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه والاجتهاد في إحسان العمل وإحداث التوبة من الذنوب فالتفاؤل مع التفريط في تقوى الله عموماً والإصرار على ذلك فيه خداع للنفس فإن الله جل وعلا، كما دعا عباده لحسن الظن به وتغليب الطمع في رحمته

(١) نقلاً عن المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) رسالة دعوتنا، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ١/١/٢٠١٣م، ط١، ص١٧ - ١٨.

(٣) موقع طريق الإسلام islamway.net الطريق إلى التفاؤل، ناصر بن سليمان العمر.

حذرهم أيضاً من مخالفة أمره بل حذرهم من نفسه رحمة بهم حتى لا يتمادوا في عصيانه فقال تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣).

فالتفريط في أوامر الله والإعراض عنها وارتكاب محاذيره دون رجوع بالتوبة موجب لغضب الله كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٤).

فالتفائل مع تعمد التقصير هو من الجهل الذي وقعت فيه فرق ضالة مثل المرجئة الذين جعلوا من سعة رحمة الله مطية لارتكاب الخطايا. فكما هو واجب على المؤمن أن يحسن الظن بربه عند حدوث الابتلاءات والفتن ويتطلع إلى وقوع الفرج القريب والمخرج فكذلك أيضاً يجب عليه أن يسعى جاهداً في إحسان العمل وإحداث التوبة من الذنوب فإنها سبب البلاء، لا أن يحسن الظن بخالقه ويتساهل في معصيته فإن سنن الله الشرعية اقتضت أن يكون من البلاء ما هو عقوبة لا يرتفع إلا بالتوبة كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٦).

(١) سورة آل عمران، آية: ٣.

(٢) سورة النور، آية: ٦٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٩.

(٤) سورة فصلت، جزء من آية: ٦.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٦) سورة يونس، آية: ٩٨.

قال معروف الكرخي^(١): «رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق»^(٢).

ثانياً: أن يكون التفاؤل واقعياً ويتعدى حدود الأمانى والأحلام فيتخذ من الحاضر دليلاً على المستقبل دون إفراط أو تفريط، أو غلو أو جفاء، أما الخوارق والكرامات فلا يطالب المسلم بالاعتماد عليها، أو الركون إليها، وإنما نحن مطالبون بالأخذ بالأسباب، وفق المنهج الرباني.

ثالثاً: أن يكون التفاؤل متمشياً مع السنن الكونية من بذل الأسباب الدافعة للأذى، بفقهِ الواقع وتصور الأمور على ما هي عليه لدفع ضررها والانتفاع بخيرها، فليس من التفاؤل أن نتجاهل تربص الأعداء وقوتهم وعدتهم وعددهم متوقعين النصر بدون عدة على قدر ما نستطيع، وليس من التفاؤل الاستبشار بالشفاء مع ترك الاستشفاء بالدواء وهو بين أيدينا وليس من التفاؤل توقع النجاح مع الكسل والخلود للراحة، وقد كان سعيد بن جبیر^(٣) يقول: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن

(١) عَلِمَ الزُّهَادُ بَرَكَةَ الْعَصْرِ أَبُو مَحْفُوظٍ الْبَغْدَادِيُّ. وَاسْمُ أَبِيهِ فَيْرُوزٌ. وَقِيلَ: فَيْرُزَانٌ مِنَ الصَّابِيَةِ. وَقِيلَ: كَانَ أَبَوَاهُ نَضْرَانِيَيْنِ فَأَسْلَمَاهُ إِلَى مُؤَدَّبٍ كَانَ يَقُولُ لَهُ قُلْ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ يَقُولُ مَعْرُوفٌ: بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ. فَيَضْرِبُهُ فَيَهْرُبُ فَكَانَ وَالِدَاهُ يَقُولَانِ: لَيْتَهُ رَجَعَ ثُمَّ إِنَّ أَبَوَيْهِ أَسْلَمَا، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ الْمُنَادِي، وَتَعَلَّبَ: مَاتَ مَعْرُوفٌ سَنَةَ مَائَتَيْنِ، قَالَ الْخَطِيبُ: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمَائَتَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، دار الحديث - القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ص ٨٦ - ٨٩.

(٢) «مُخْتَصَرٌ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تقديم: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان دمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٣) هو ابن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين. ومن زعم أنه عاش تسعاً وأربعين سنة لم يصنع شيئاً، وقد مر قوله لابنه: ما بقاء أبوك بعد سبع وخمسين. فعلى هذا يكون مولده في خلافة أبي الحسن =

الظن بك»^(١).

رابعاً: أن يبني التفاؤل على حسن الظن بالله، والإيمان بتحقيق موعوده، متى ما توافرت الأسباب، وزالت الموانع وهو بهذا من صميم التوحيد، فلا يستقيم أن يجتمع في قلب الإنسان إيمانٌ راسخ مع سوء ظنٍّ بالله وتشاؤم بأقداره، فنور الإيمان يبدد ظلام التشاؤم ويجعل المؤمن في تفاؤلٍ دائم واستبشار مستمر بحصول الخير وقدم الرحمة في سائر الأحوال^(٢).

قال النووي^(٣): «الفأل يستعمل فيما يسوء وفيما يسر، وأكثره في السرور، والطيرة لا تكون إلا في الشؤم، وقد تستعمل مجازاً في السرور، وكأن ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطير»^(٤).

وقال الطيبي^(٥): «معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً محرضاً على طلب حاجته فليفعل ذلك،

= علي بن أبي طالب عليه السلام. انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٤٢.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، باب: ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، حديث رقم ٣٥٣٤٣، (٢٠٢/٧).

(٢) موقع المشكاة الإسلامية. www.almeshkat.net.

(٣) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: وُلد سنة ٦٣١هـ ومات سنة ٦٧٦هـ، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه «تهذيب الأسماء واللغات - ط» و«منهاج الطالبين - ط» و«الدقائق - ط» والنووي: «نسبة لنوا» انظر الأعلام، (١٥٠/٨).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، (٢١٥/١٠).

(٥) الطيبي هو أحمد بن أحمد بن بدر الدين، شهاب الدين الطيبي الصالحي الدمشقي: فقيه شافعي متصوف. كان إماماً بجامعة بني أمية. ولد سنة ٩١٠ هجرية ومات سنة ٩٧٩ هجرية، انظر الأعلام للزركلي (٩٠/١ - ٩١).

وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضي لسييله، فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم^(١).



المطلب الثاني: الأدلة على التفاؤل من القرآن والسنة

مما تقدم يتضح أن مصطلح التفاؤل من المصطلحات الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة.

ومن خلال تتبع للقرآن الكريم والسنة النبوية نجد أن مصطلح التفاؤل ورد بلفظه وذلك في الأحاديث النبوية، أما الآيات القرآنية فإن مصطلح التفاؤل لم يرد بلفظه وإنما ورد في سياقات مختلفة وبمرادفات متنوعة فتارةً يأتي في سياق الحث على الاستبشار بالخير وبرحمة الله، وتارةً بالحث على حسن الظن بالله والثقة به واليقين بما عنده واستشعار معيته وولايته للمؤمنين، وتارةً بالنهي عن اليأس واعتباره من أخلاق الكفار، وتارةً بالنهي عن القنوط واعتباره ضلالاً. وسنورد بعض الأدلة التي تدل على بعض هذه المرادفات وتوضح هذه السياقات.

والمتمأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن التفاؤل يرتبط بالعقيدة وأعمال القلوب، كما تقدم من حسن الظن بالله والثقة في وعده ونصره للمؤمنين واليقين بالله والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه واستشعار معيته والاستبشار برحمته وعدم اليأس من روحه فكل آية أو حديث تدل على هذه المعاني فهي دليل أيضاً على التفاؤل، وبقدر ما يكون في القلب من هذه المعاني الإيمانية يكون صاحبه متفائلاً.

(١) فتح الباري، (٢١٥/١٠) مرجع سابق.

* أدلة التفأول من القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولاً: التفأول في سياق الحث على الاستبشار بالخير وبرحمة الله والتبشير بهما:

إن الإنسان إذا تفاعل نشط واستبشر وحصل له خير، ومن ثم يبشر غيره بهذا الخير؛ وبما يشرح الصدر ويبعث على الاطمئنان وهو منهج رباني ومنهج نبوي، أمر الله به نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾^(١)، وهو من مقاصد إرسال الرسل، وهو وصية النبي ﷺ لأتباعه. فأنت بشر نفسك كذلك بشر غيرك.

* الأدلة على ذلك من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين^(٣)، يقول السعدي في تفسيره لهذه الآيات: «أي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا... يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور»^(٤).

قال تعالى: - ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٥).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٥)، يقول

(١) سورة الزمر، آية: ١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٠، ١٧١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٥٦/١) مرجع سابق.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥.

القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «والتَّبَشِيرُ الْإِخْبَارُ بِمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْبَشَرَةِ - وَهِيَ ظَاهِرُ الْجِلْدِ - لِتَغْيَرِهَا بِأَوَّلِ خَبَرٍ يَرُدُّ عَلَيْكَ، ثُمَّ الْغَالِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي السُّرُورِ مُقَيَّدًا بِالْخَيْرِ الْمُبَشِّرِ بِهِ، وَغَيْرَ مُقَيَّدٍ أَيْضًا. وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْغَمِّ وَالشَّرِّ إِلَّا مُقَيَّدًا مَنْصُوصًا عَلَى الشَّرِّ الْمُبَشِّرِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾^(٥)، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾^(٦).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٧)، بل إن الله أنزل هذا القرآن بشرى.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرًى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٨)، يقول الطبري في تفسيره للبشارة الواردة في الآية: «وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته»^(٩).

وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلِّى هِيَ أَقْوَمُ وَبُشْرٍ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١٠).

(١) سورة الانشقاق، آية: ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٨/١) مرجع سابق.

(٣) سورة الصف، آية: ١٣.

(٤) سورة الحج، آية: ٣.

(٥) سورة الحج، آية: ٣٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٧) سورة يونس، آية: ٢.

(٨) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٩) جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٧٨/١٧) مرجع سابق.

(١٠) سورة الإسراء، آية: ٩.

* الأدلة التي تحت على التبشير بالخير من السنة:

١ - لما أرسل النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعيين للإسلام قال لهما معلماً ومرشداً: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»^(١).

٢ - قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنة، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»^(٢).

٣ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ»^(٣).

٤ - الدعوة إلى تبشير المؤمن الذي يمشي إلى المساجد في ظلمات الليل بالنور التام يوم القيامة:

روى أبو داود في سننه من حديث بُريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٤).

(٥) - وفي الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال له النبي ﷺ: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذُ ولدتك أمك»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه حديث رقم ٣٠٣٨ (١٦٥/٤) (١٥٤/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار، برقم ٢١٢٢٠، (١٤٤/٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٧٨، باب: قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا» حديث رقم ٦١٢٨، (٣٠/٨).

(٤) أخرجه أبي داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب: ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام، رقم الحديث ٥٦١، (١٥٤/١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٦٤، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ [التوبة: ١١٨] رقم الحديث ٤٤١٨، (٣/٦).

(٦) - كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»^(١).

❁ ثانياً: التفاؤل في سياق الحث على إحسان الظن بالله:

إن الله ﷻ يتعامل مع خلقه على قدر تفاؤلهم وظنهم بالله، فمن حسن ظنه بالله واستبشر بالخير وأيقن أن الله يقدر له الخير، كان له من الخير على قدر ظنه بالله، ومن ظن بالله غير ذلك كان له أيضاً على مثل ما ظن به في الله.

* أدلته من القرآن والسنة:

(١) - قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، قال سفيان الثوري^(٣): «أي: أحسنوا بالله تعالى الظن»^(٤).

(٢) - قال تعالى: في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، إن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث ١٧٣٢، (٣/١٣٥٨).

(٢) سورة البقرة، جزء من آية ١٩٥.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة سنة ٩٧ هجرية، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١ هجرية، له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، و(كتاب في الفرائض)، وكان آية في الحفظ. من كلامه: (ما حفظت شيئاً فنسيته)، ولابن الجوزي كتاب في مناقبه. انظر الأعلام، الزركلي دار العلم للملايين ط ١٥، ٢٠٠٢م (٣/١٠٤) - (١٠٥).

(٤) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، ١٤١٩ هـ، (٣٩٥/١)، رقم الحديث ٩٤.

ظن بي خيراً فله وإن ظن بي شراً فله»^(١).

(٣) - قال تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، قال ابن مسعود رضي الله عنه^(٣): «قسماً بالله ما ظنَّ أحدٌ بالله ظناً إلا أعطاه الله ما يظنّ، وذلك لأنَّ الفضل كله بيد الله»^(٤).

(٤) - قال ابن عباس رضي الله عنه^(٥): «الفرق بين الفأل والطيرة أنَّ الفأل من طريق حسن الظنِّ بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾، حديث رقم ٧٤٠٥، (١٢١/٩).

(٢) سورة الصافات، آية: ٨٧.

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ عَاقِلٍ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ شَمَخٍ بْنُ مَخْرُومٍ بْنُ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ هُذَيْلٍ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ مُصَرٍّ: وتوفي ابنُ مَسْعُودٍ بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وأوصى إِلَى الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ودفن بالبقيع، وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ كَانَ إِسْلَامُهُ قَدِيمًا أَوَّلَ الْإِسْلَامِ، حيث أسلم سعيد بن زَيْد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بزمان. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ط ١، - ١٩٩٤م، (٣٨١/٣).

(٤) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨، ١٩٨٨م، (٩٦/١)، رقم الحديث ٨٣.

(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة . ونشأ في بدء عصر النبوة سنة ٣ قبل الهجرة، فلزم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة . وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ - حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. مات سنة ٦٨ هجرية.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني، (٢١٥/١٠).

(٥) - عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا، قال: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهم»^(١).

❁ ثالثاً: التفاؤل في سياق الحث على الثقة في الله واستشعار معيته وولايته للمؤمنين:

* الدليل على هذا المعنى من القرآن:

أ - الثقة في وعد الله وثوابه ونصره للمؤمنين وتفريج كربهم وتيسير أمورهم:

● قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «ويعني بقوله: ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة إليكم لحربكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾، يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾، يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، وقالوا ثقةً بالله وتوكلاً عليه، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، يعني بقوله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، كفانا الله، يعني: يكفيننا الله ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله»^(٣).

فانظر أخي المسلم ما هي النتيجة لهذه الثقة في وعد الله قال تعالى بعدها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَيُحْيَوْنَ فِيهَا كَمَا كَانُوا فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَآخَرَةٍ﴾^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب مناقب الأنصار ٦٣، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث ٣٩٢٢، (٦٥/٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، ط ١، (٤٠٥/٧).

(٤) سورة آل عمران، من آية: ١٧٤.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَعْظُمُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، فالمسلم يعتقد أن كل خطوة يخطوها في سبيل الله وأي حركة يتحركها لجز الإسلام سيثيبه الله عليها.

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢)، يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا حَتَمَهُ وَقَضَاهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَرَاثَةِ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٤).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٥). يقول ابن كثير في هذه الآية: «وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا مَكْتُوبٌ مَسْطُورٌ فِي الْكُتُبِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ فَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ»^(٦).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٧)، يقول ابن سعدي:

(١) سورة التوبة، من آية: ١٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٥.

(٣) سورة الأعراف، من آية ١٢٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٥) سورة النور: ٥٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (٣٨٤/٥) مرجع سابق.

(٧) سورة الصافات، آية: ١٧٣.

«بل قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين، أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصراً عزيزاً، يتمكنون فيه من إقامة دينهم»^(١).

● قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢) أي: بالحجة والبرهان والنصر، في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب^(٣).

فالله وعدنا بنصره إن كنا مؤمنين ورفعنا راية الدين، فالمسلم يعتقد أن الله ناصر وناصر دينه لا محالة مهما طال الزمن وقويت شوكة الباطل.

● قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٤)، (أي: من يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كامل القوى عزيز لا يرام قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم فأبشروا يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عددكم، وقوي عدد عدوكم، فإن ركنكم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم، وخلق ما تعملون فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا نصركم فلا بد أن ينصركم^(٥).

● قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٦)، أي: إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار. نظيره: ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم. وقال قطرب: إن تنصروا نبي الله ينصركم الله، والمعنى واحد. ويثبت أقدامكم أي: عند القتال. وقيل: على الإسلام. وقيل: على

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، ج ١ ص ٧٠٨.

(٢) سورة غافر: آية: ٥١.

(٣) تفسير السعدي، (٧٣٩/١) مرجع سابق.

(٤) سورة الحج: آية: ٤٠.

(٥) تفسير السعدي، (٣٢٥/٣) مرجع سابق.

(٦) سورة محمد، آية: ٧.

الصراط. وقيل: المراد تثبيت القلوب بالأمن، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب^(١).

● قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعُدَد، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه. ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ ويكلكم إلى أنفسكم ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فلا بد أن تتخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق^(٣).

● قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «وفيها بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٥)، وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا»^(٦).

● عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مِنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ط ٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، (٢٣٢/١٦).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٣) تفسير السعدي (١٥٤/١).

(٤) سورة الشرح، الآيتان: ٥ - ٦.

(٥) سورة الطلاق، من آية: ٧.

(٦) تفسير السعدي (٩٢٩/١).

(٧) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمامة ٣٣ باب: قوله صلي الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ٥٣ (١٥٢٤/٣) رقم الحديث ١٠٣٧.

• عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مَلَكُها إلى ما زوى لي منها»^(١).

• عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله يقول: «لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر»^(***) إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل»^(٢) وفي التعقيب على هذه الأحاديث وأمثالها يقول الدكتور عبدالله عزام رحمه الله تعالى: «هذه الأحاديث تُطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب، ليأخذ به من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق، سيظهره ويُريحه، ويقدم له إنسانيته التي فقدها، سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، سيتذوق السعادة والطمأنينة ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله»^(٣).

ب - استشعار معية الله وولايته للمؤمنين:

* أدلته من القرآن والسنة:

• قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ ١١ قَالَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥٢، باب: هلاك الأمة بعضهم ببعض، برقم ٢٨٨٩، (٤/٢٢١٥).

(*) زوي: أي جُمع (الكنزين الأحمر والأبيض) المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام (فيستبيح بيضتهم) أي: جماعتهم وأصلهم والبيضة أيضاً العز والملك (أن لا أهلكهم بسنة عامة) أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام، انظر حاشية صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، (٤/٢٢١٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر الإخبار عن إظهار الله الإسلام في أرض العرب وجزائرها، برقم ٦٦٩٩، (١٥/٩١). وقال الألباني: صحيح.

(***) بيت المدر: هم أهل المدن والقرى، والوبر: هم أهل البوادي. انظر حاشية صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١٥/٩٢).

(٣) الإسلام ومستقبل البشرية، الدكتور عبد الله عزام، ط ٢، توزيع مركز الشهيد عبد الله عزام الإعلامي بيشاور - باكستان، ص ٤٥.

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾^(١)، يعلق سيد قطب فيقول: «لكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه لا يشك لحظة وملء قلبه ثقة بربه واليقين بعونه والتأكد من النجاة وإن كان لا يدري كيف يكون فهي كائنة والله هو الذي يوجهه ويرعاه، قال: كلا في شدة تأكيد كلا لن نكون مدركين، كلا لن نكون هالكين، كلا لن نكون مفتونين، كلا لن نكون ضائعين»^(٢).

يقول ابن عاشور في الآية: «وإسناد المعية إلى الرب في ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه. وذلك أن موسى واثق بأن الله منجيه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٤)، كما تقدم آنفاً أنه وعد بضمان النجاة وجملة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ مستأنفة أو حال من ﴿رَبِّي﴾. ولا يضر وجود حرف الاستقبال؛ الحال مقدرة كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٥) والمعنى: أنه سيبين لي سبيل سلامتنا من فرعون وجنده»^(٦).

● قال تعالى على لسان نبينا محمد ﷺ عندما كان هو وأبو بكر رضي الله عنهما في غار ثور في طريق الهجرة: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَكَ﴾^(٧).

● عن ثابت بن أنس أن أبا بكر حدثهم قال: بينما أنا مع

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١ - ٦٢.

(٢) في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت - القاهرة ط ١٧، - ١٤١٢ هـ، (٢٥٩٩/٥).

(٣) سور الشعراء، آية: ١٥.

(٤) سورة الدخان الآية ٢٣.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٦) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ (١٩/١٣٥ - ١٣٦).

(٧) التوبة: من الآية ٤٠.

رسول الله ﷺ في الغار وأقدم المشركون فوق رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

● قال تعالى: ﴿...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادِّنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَادِّبُ اللَّهُ^(٢).

يقول ابن السعدي: «قال الذين يستيقنون وهم أهل الإيمان مشتين لباقيهم وأميرين لهم بالصبر بقولهم لهم: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادِّنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾»^(٣).

● قال تعالى حكاية عن موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٥﴾ قَالَ لَا نَخَافُ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمِعْ وَأَرْى ٤٦﴾^(٤)، وهذه المعية - معية النصر والتأييد - غير خاصة بأنبيائه ورسله المتوكلين عليه في تبليغ رسالاته وإنما هي شاملة لعباده المؤمنين المتقين لا سيما الدعاة إلى دينه.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ١٢٨﴾^(٥)، وقد جاء في تفسير ابن كثير^(٦): «أَيُّ: مَعَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ وَمَعُونَتِهِ وَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب فضائل الصحابة ٤٤، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ برقم ٢٣٨١، (٤/١٨٥٤).

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٤٩، والاية: ٢٥٠، ومن الآية: ٢٥١.

(٣) انظر تفسير السعدي ص ١٠٨ مرجع سابق.

(٤) سورة طه: الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٥) سورة النحل: آية: ١٢٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، (٦١/٤) مرجع سابق.

ءَامِنُوا^(١)، وَقَوْلِهِ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿لَا تَخَافُا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَارَى^(٢)﴾، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلصَّدِيقِ وَهُمَا فِي الْغَارِ: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا^(٣)﴾.

● قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَهْمًا^(٤)﴾.

يقول سيد قطب في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ^(٥)﴾، أي: فلستم وحدكم، إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار. وهو لكم نصير حاضر معكم. يدافع عنكم. فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون، وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم.

● قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ^(٦)﴾.

يقول سيد قطب في الظلال^(٧): «ومن كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراءه الخير. لا تخلياً من الله عن ولايته له، ولا تخلفاً لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده. ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء. فهو في النهاية مضيع عاجز ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس».

● قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ^(٨)﴾.

(١) سورة الأنفال: آية: ١٢.

(٢) سورة طه: آية: ٤٦.

(٣) سورة التوبة: آية: ٤٠.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٥) في ظلال القرآن (٣٣٠٢/٦).

(٦) سورة محمد: آية: ١١.

(٧) في ظلال القرآن (٣٢٩٠/٦) مرجع سابق.

(٨) سورة الأعراف: آية: ١٩٦.

يقول ابن كثير: «أي: الله حَسْبِي وَكَافِيٍّ، وَهُوَ نَصِيرِي وَعَلَيْهِ
مُتَّكِلِي، وَإِلَيْهِ أَلْجَأُ، وَهُوَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ صَالِحٍ
بَعْدِي»^(١).



(١) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ (٣/٥٣٠).

المبحث الثاني: أسباب التفاؤل

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب المؤدية للتفاؤل عند الداعية.

المطلب الثاني: الأسباب المعينة على التفاؤل عند الداعية.



المطلب الأول: الأسباب المؤدية للتفاؤل عند الداعية

❁ ١ - حسن الظن بالله:

وهذه من المسائل العقدية فمن حُسن ظنه بالله أيقن أن الله لن يضيعه ولن يضيع دينه، وهذا هو عين التفاؤل، وقد قال النبي ﷺ: «قال الله: أنا عند ظن عبدي بي».

وفي رواية عند ابن حبان: «فليظن بي ما شاء»^(١)، وفي رواية عند الإمام أحمد: «إن ظن بي خيراً فله وإن ظن شراً فله»^(٢)، فمن حسن ظنه بالله ظن به خيراً فدفعه هذا للتفاؤل وعدم التشاؤم، الذي هو قريب من اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، والعياذ بالله.

ويتضح هذا الأمر جلياً في قصة أمنا هاجر عليها السلام حينما هم إبراهيم عليه السلام أن يتركها مع ابنها الرضيع في مكة في وادٍ غير ذي زرع، وليس معها أحد مع قليل من التمر والماء فلما سألته: الله أمرك بهذا فأجابها أن نعم قالت حينها إذن لا يضيعنا^(٣).

والمأمل لحال نبينا ﷺ يوم أحاط المشركون بالغار حتى قال له الصديق: «يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما!»^(٤)، يجد أروع الأمثلة في حسن الظن بالله، وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لما نزل الوحي على النبي ﷺ ورجع إليها خائفاً يقول: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَنُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(٥).

وعلى النقيض من ذلك تجد ظن الكفار بربهم لما ظنوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون، تمادوا في غيهم وضلالهم فأرداهم هذا الظن وجعلهم من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الرقائق برقم ٦٣٣، باب: ذكر الأخبار عما يجب على المرء من الثقة، (٤٠١/٢).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٩١/٢ (٩٠٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، ٦٠ برقم ٣٣٦٤، ج ٤، ص ١٤٢.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب فضائل الصحابة ٤٤ برقم ٢٣٨١ باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٨٥٤/٤).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٣٣٧ (٣/٣٤٥٣)، صحيح مسلم (٤/١٨٥٤) ٢٣٨١.

عَلَيْكُمْ سَمِعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ (١)(٢).

❁ ٢ - رسوخ عقيدة أن الحياة مرحلة مهمة ولكنها ليست كل شيء وأن الميزان ميزان الآخرة:

يجب على الداعية أن يقيس الأحداث والمواقف بقياس متوازن فيفرح ويستبشر إذا سارت الأمور كما يحب ويشتهي وإذا رأى الأمة تنتقل من انتصار إلى انتصار فهذا فضل من الله ومنه، ولكنه يجب عليه أيضاً - إذا ضاق عليه رزقه ورأى الأمة تتعرض للمحن والهزائم - يجب عليه أن يصبر لأن هذه الدنيا دار ابتلاء، أما الآخرة فهي وحدها دار الجزاء، فالدنيا صغيرة بكل ما فيها من أفراح وأتراح وانتصارات وانتكاسات قياساً بالآخرة قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٥) ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٦).

انظر أخي الداعية إلى سحرة فرعون عندما آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧) (٦).

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) انظر موقع المشكاة <http://www.almeshkat.net>.

(٣) سورة نساء، آية: ٧٧.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٢.

(٥) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٦) سورة طه، آية: ٧٢.

❁ ٣ - أن يعلم أن الابتلاء سبب لرفع الدرجات إن صبر وقام بحق الله الذي أوجبه عليه:

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم...» قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»^(١)، وَقَالَ الْقَارِي: مَعْنَى الْحَدِيثِ: كَمَا لَا يُمَكِّنُ الْقَبْضُ عَلَى الْجَمْرَةِ إِلَّا بِصَبْرٍ شَدِيدٍ وَتَحْمُلِ غَلَبَةِ الْمَشَقَّةِ، كَذَلِكَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، لَا يُتَصَوَّرُ حِفْظُ دِينِهِ وَنُورُ إِيْمَانِهِ إِلَّا بِصَبْرٍ عَظِيمٍ^(٢)، فمن علم ذلك ينبغي أن تزيده هذه الابتلاءات تفاؤلاً لا أن تجعله متفائلاً فحسب.

إن هذا لا يعني أنه لا يحزن ولا يتألم لما يصيبه ويصيب أمته لكنه حزن كحزن الطبيب الصالح على مرضاه لما يصيبهم من آلام وأوجاع فهو ينتفع بمرضهم لأنه باب رزقه، وفي الوقت نفسه يتمنى ألا يقاسي أي منهم ما يقاسيه، وألا يمرض أحد منهم البتة، فالمؤمن لا يتمنى وقوع البلاء، لكنه إن وقع ازداد أجره إذا علم الله صدقه وحزنه على واقع الناس وسعيه لهدايتهم^(٣).

❁ ٤ - استحضار فضل وأجر الدعوة إلى الله:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)، فهذا ثناء لمن دعا دون ارتباط بالنتيجة فكيف إذا حصلت الاستجابة، إن الأجر حينئذ أعظم وأجزل كما أخبر عليه الصلاة والسلام في قوله: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير

(١) أخرجه الترمذي في السنن، برقم ٢٥٧، (٣٠٥٨/٥).

(٢) انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، (٤٦/٦).

(٣) موقع السكينة www.assakina.com.

(٤) سورة فصلت: آية ٣٣.

لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١)، وهذا في هداية الواحد فكيف بهداية الجمع من الناس؟ الأجر حينئذ يزداد ويتضاعف كما أرشد إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ القائل: «من دعا إلى هدى فإن له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^{(٢)(٣)}.

وثقة الداعية الصادق المخلص في دعوته وبقينه بثواب الله وجزائه ومضاعفة أجره، وأن كل ما يبذله في خدمة دينه لن يضيع عند الله حتى ولو لم يستجب أحد لدعوته، فليس على الرسل إلا البلاغ، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَهُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾^(٤).

❁ ٥ - أن يعلم الداعية إلى الله أنه غير مسؤول عن النتائج ولكنه مسؤول عن العمل:

وأن يجعل من الأنبياء عليهم السلام قدوة حسنة له كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾^(٥).

وقد قال النبي ﷺ: «عرضت عليّ الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي بن أبي طالب، الفتح (٧/٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٣) مقومات الداعية الناجح، علي بن عمر بن أحمد بادحدح، ص ٤.

(٤) سورة التوبة، الآيتين: ١٢٠ - ١٢١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٣٨.

أحد^(١)، فهل هذا بسبب تقصيرهم في الدعوة إلى الله؟ حاشاهم. بل قاموا بواجبهم خير قيام وعلى أكمل وجه. وما دام الأمر كذلك لم يكثرثوا بعدم استجابة أقوامهم لهم ولم يحملهم هذا الأمر على التشاؤم وسوء الظن بالله فهذا محال عليهم بل زادهم إيماناً و يقيناً وسمت مكانتهم وعلا مقامهم يوم القيامة فلتتخذهم قدوة لنا كما أمرنا بذلك ربنا ﷻ كما في الآية السابقة، فلا نتشاءم من عدم استجابة المدعويين لما فيه خيرهم وصلاحهم بل من وضعهم العراقيل والعقبات في طريق الدعاة إلى الله، كما لا يدل انصراف الناس عنه أنه مقصر في دعوته ما دام قد أفرغ جهده فالتقصير يعرف - إن وجد - من قلة ما يقدمه الداعي للدعوة لا من عدم إجابة المدعو.

يعتقد بعض الدعاة أنه ينبغي ألا تُضَيَّع الجهود والأوقات في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر حيث إنهم لا يستجيبون حيث إنه لم يشترط الله تعالى ولا رسوله لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استجابة الناس، بل أوجب الله تعالى على نبيه الكريم وعلى أمته تبليغ الناس أوامره ونواهيه سواء استجابوا أم لم يستجيبوا.

وقد وردت نصوص كثيرة تبين هذا. منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِثِّ﴾^(٢)، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾^(٣).

ثم إن الحكم على الناس بعدم الاستجابة من الأمور الغيبية التي لا يعرفها إلا العليم الخبير. إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع رب العباد، يقلبها متى شاء وكيف ما شاء. وما أسهل على الله تعالى قلبها؛

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الطب ٧٦، باب: من لم يرق، برقم ٥٧٥٢، (١٣٤/٧).

(٢) سورة النور، من آية ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، من آية: ٢٠.

فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إنه سمع صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء»^(١)، وقد شبه صلى الله عليه وسلم سهولة تصريف قلوب العباد بتقليب ريشة بأرض فلاة؛ فقد روى الإمام ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل القلب مثل الريشة، تقلبها الرياح بفلاة»^(٢).

وكم من أشخاص يراهم الناس من أتقى الناس فيتحولون إلى أفسق الناس، وكم من أفسق الناس يأتيهم الموت وهم من أتقى الناس. هذه حقيقة نقرؤها في سير الناس، ونشاهدها في حياتنا اليومية، وبينها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الناطق بالوحي بقوله: «إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل الجنة، وأنه من أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس - عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها»^(٣).

فإذا كان البشر يجهل خواتيم الآخرين فكيف يسوغ له أن يفترض أنهم لا يجيبون، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استناداً إلى هذا الافتراض؟!!

ثم إنه من الواجب علينا وجوب التأسي بالرسول الكريم في هذا الأمر حيث يقول عز من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤).

فهو لم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم استجابة الناس، بل استمر صلوات الله وسلامه عليه في ذلك في أشد الأحوال وأصعبها راجياً من الله هداية المخاطبين، بل هداية أجيالهم القادمة إن لم

(١) أخرجه الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، برقم ٦٥٦٩، (١١/١٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم ٨٨، باب: القدر (٣٤/١)، حكم الألباني صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق ٨١، باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، برقم ٦٤٩٣، (٨/١٠٣).

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

يستجيب الجيل الموجد^{(١)(٢)}.

❖ ٦ - اليقين بالمبشرات النصية في الكتاب والسنة:

ويعتبر هذا العامل من العوامل المهمة في تحصيل الأمل والتفاؤل وتقويتها في النفوس، وهو اليقين والتصديق المطلق لما ورد في كتاب الله، والسنة النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ من مبشرات بنصر هذا الدين، وعلو مكانته، والتمكين له في الأرض^(٣).

فقد كان ﷺ يبشّر أصحابه بأن النصر قريب، وبأن المستقبل لهذا الدين مهما اشتدت الأزمات، وعظمت الخطوب، ومهما حاول أعداء الدين أن يطفئوا نور الله ﷻ فإنهم لن يصلوا إلى تلك الغاية كما أخبر الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾^(٤).

ولقد ظلّ ﷺ يبشّر أصحابه بالنصر والتمكين، وفتح بلاد المشركين، وأكثر عليهم في ذلك؛ تضميناً لقلوبهم.

ومن هذه النصوص الواردة في القرآن والتي ذكرت آنفاً على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

(١) وللمزيد انظر في مبحث التفاؤل في حياة النبي ﷺ في هذا البحث، ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدكتور /فضل إلهي، الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام بالرياض ط ٢، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر كتاب الأمل وأثره في الأمة الدكتور محمد أبو صعيلىك ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م دار عمار للنشر والتوزيع ص ٧٠ - ٧١.

(٤) سورة التوبة، من آية: ٣٢.

(٥) سورة النور آية رقم ٥٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَئِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢﴾﴾.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾﴾.

إنها قاعدة مقعّدة وأصل مؤصّل، وسنة سارية منذ كلّف الله تعالى عباده وأرسل رُسله، تفيد أن النصر بعد الصبر، والثبات على الحق وتحمل أعباء الطريق الطويل الشاق المحفوف بالمخاطر والمكاره، تكون العاقبة فيه لمن تحصّن بالإيمان، واستصحب الأمل في مواجهة التحديات، وطارّد عوامل اليأس بيقين المؤمن وإيمان الموقن، وهذه القاعدة لا تنفي ضعف الإنسان وإحساسه باليأس حين يُسدُّ أمامه الأفق، ولا استبطاءه للنصر الذي كان يحسبه وشيكاً؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا فَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (٤) وفي العصر الحاضر تمضي فينا هذه السنة، وقد تعدّدت التحديات، وتنوّعت العوائق، واذلّهت على الأمة الخطوب، وتكاثر أعداؤها، فما تركوا مجالاً إلا ناصبوا فيها العدا، وضيّقوا عليها الخناق؛ سياسياً وثقافياً، واقتصادياً وعسكرياً، ووصفوا أبنائها بالتعصب والإرهاب ممّا أدّى إلى تلبّس طائفة من المسلمين باليأس، ممّا تسبّب في حدوث ردود أفعال طائشة، وطائفة أخرى لم تحتل التحديات فاستسلمت للدعاية المغرضة، ويئست من الحل الإسلامي، وانضمت إلى الخصوم، لكن هناك طائفة ثالثة وفقها الله تعالى، فلاذت بحبل الله المتين، وتحملوا الأذى، ودفعوا اليأس بالأمل، وتمسّكوا بدوافع الأمل، وبإذن الله ستسري عليهم سنة الله في النصر والتمكين؛ فهم يألمون كما يألم خصومهم ولكنهم

(١) سورة الصفات الآيتان: ١٧١ - ١٧٢.

(٢) سورة الحج آية ٤٠.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١٠.

(٤) سورة الشورى، آية: ٢٨.

يرجون من الله ما لا يرجو خصومهم، وما ذلك بعزیز، فهم متسلحون بالصبر على المحن واليقين في الفرج؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) (١) (٢).

ومن النصوص الواردة في السنة:

١ - عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربتها، وإن أمتي سيبلع مملكتها إلى ما زوى لي منها» (٣).

٢ - عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل» (٤).

٣ - عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب» (٥) وغير ذلك كثير.

إن من الواجب على الداعية - ليس هو الاعتقاد بهذه النصوص اعتقاداً جازماً لا يقبل الشك، ولا تساوره الوسوس، فحسب - بل يجب عليه أن يلحق هذا الأمر للناس كلهم؛ كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، لتصبح عقيدة راسخة في قلوبهم يستحيل معها الشك بحال من الأحوال؛ لأن التشكيك فيها تشكيك في قدرة الله في نصرته دينه وعزة أوليائه وذل أعدائه قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ (٦)، وحول استشعار الداعية لقرب النصر وبقينه به يقول الدكتور عبدالكريم زيدان:

(١) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٢) انظر موقع الألوكة بتصرف www.alukah.net.

(٣) تم خريجه سابقاً ص ٢٢.

(٤) تم خريجه سابقاً ص ٢٢.

(٥) تم خريجه ص ١٥.

(٦) سورة الإسراء آية ٥١.

«والداعي المسلم في رجاءٍ دائم لا يقنط أبداً لأنه آمن بوعدِ الله للعالمين الداعين بالنصر والتأييد، والثواب الجزيل، فهو مضمون النصر والتأييد من الرب الجليل»^(١).

❖ ٧ - التأمل والنظر في التاريخ على مر العصور^(٢):

تأمل التاريخ على مداره بعد وفاة النبي والأزمة المتتابة إلى اليوم، تأمل وخُذ من التاريخ العبر والدروس حتى لا تياس أبداً، ولا يضعف يقينك أن المستقبل لهذا الدين مهما كانت العقبات، ومهما عظمت الخطوب، ومهما ازدادت الكروب، ومهما تقوى وتحصن أعداء الدين ضد أهل الدين إلا أن الله لا بد أن يُظهر دينه كما وعد، والتاريخ أكبر شاهد.

وخذ هذه الوقائع الثلاث والتي تعد أكبر شاهد على ذلك:

الواقعة الأولى: عندما استلم أبو بكر رضي الله عنه مقاليد الخلافة؛ ففي هذا الوقت عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق، وارتد كثير من العرب، وظهر مدعو النبوة، وامتنع قومٌ عن أداء الزكاة، ولم تقام الجمعة إلا في مكة والمدينة، وأصبح المسلمون كما يقول عروة بن الزبير رضي الله عنه: كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم؛ حتى قال بعض المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله، أغلق بابك، والزم بيتك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعني: الموت ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يعتز اليأس، ولم يستحوذ عليه القنوط، وإنما واجه هذه الأحداث الجسام كلها بإيمانٍ راسخ، وعزيمة ثابتة، وتفاؤلٍ عظيم.

هو الذي قال للدنيا قولته الخالدة: «أينقص الدين وأنا حي».

ومن أقواله للخليفة عمر رضي الله عنه عندما جاءه يعاتبه على قتال مانعي

(١) انظر كتاب أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ١٣٩٦ - ١٩٧٦، ط ٣، ص ٣٨٦.

(٢) أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية (١٩/١ - ٢٢) بتصرف.

الزكاة: «مه يا عمر، رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبار في الجاهلية وخوَار في الإسلام، ماذا عسيت أن أتألفهم بسحرٍ مفتعل، أم بشعرٍ يُفترى هيهات هيهات، مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحي؛ فوالله لأجاهدّهم ما استمسك السيف في يدي، فوالله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فوالله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال؛ فعلمت أنه الحق».

وأبو بكر هو الذي أمضى جيش أسامة ﷺ وقال لمن عارضه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني؛ لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته ما كنت أحلّ عقداً عقده رسول الله ﷺ بيديه. واستمر أبو بكر ﷺ يُخطط ويجاهد ويرسل البعوث، ويسهر على مصالح الرعية؛ حتى استطاع بفضل الله أن يتغلّب على الصعاب، وأن يقضي على الثورات والفتن، وأن ينتصر على المرتدّين ومدّعي النبوة، ومانعي الزكاة، ومبطلي لصلاة، وأن يعيد للمسلمين عزّتهم، ولليائسين تفاؤلهم، وللإسلام دولته، وللخلافة هيبتها.

الواقعة الثانية: عندما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية، والمسجد الأقصى ما يُقارب قرناً من الزمان؛ مما جعل الكثير من المسلمين وغير المسلمين يظن ألا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين، وألا رجاء في ردّ أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين، ولكن وبفضل الله تحررت على يد البطل المغوار صلاح الدين في معركة حطين الحاسمة، واستعاد المسلمون كيانهم وعزهم وسيادتهم.

الواقعة الثالثة: عندما خرّب المغول والتتار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ونهبوا الأموال وداسوا القيم، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً. ولكنها وبفضل الله تحررت على يد البطل المقدم قطز في معركة عين جالوت الحاسمة، واستعاد المسلمين المجد والعظمة والرفعة.

أيها الداعية؛ إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصورٍ مختلفة، وانتفاضة الأمة الإسلامية بعدها، ونهوض العرب يدل على أمرٍ واحد، وهو وجود قيادة مؤمنة راسخة العقيدة، قوية الإيمان بوعده الله ونصره، وبصلاح الإسلام، وبالقوة الكامنة فيه، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، مجردة عن كل أنانية وعصبية جاهلية، ويتفق هؤلاء القادة على أنهم كلهم دعاة إلى الإسلام، ويقاثلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام واستحقوا بذلك نصر الله، وتأييده الخارق للعادة، وظهرت المعجزة وكان حزب الله هم المفلحون كما قال تعالى: ﴿وَيَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَلِبُونَ﴾ (١).

إن الثقة بوعده الله، والتفاؤل بانتصار دين الله هو مقدمة الفوز والنصر، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمانٍ ومكان، والله سبحانه وتعالى مع المتقين المخلصين المجاهدين، الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكِ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢)، ووعده الله حق لن يتخلف ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، فلا يضعف يقينك، ولا تياس أخي الداعية مهما أحاطت بك الخطوب، وعظمت بك وبالمسلمين الكروب، واعلم أن الله تعالى منجز وعده.

❁ ٨ - أن يعلم الداعية إلى الله أن مقارعة أهل الباطل ومدافعته من أحب الأعمال إلى الله:

إنه مما يجب على الداعية أن يعلم أن مدافعة أهل الباطل لا سيما إذا كان لهم نفوذ ووجود من الأعمال التي يحبها الله تعالى، فالواقف في

(١) سورة الصافات، آية: ١٧٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

وجههم له درجة عالية، وبهذه المدافعة تستقيم الحياة على وجه الأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَلَكْتُمْ سَوَاعٍ وَيَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢)، أما أن ينزوي المرء ويفقد الأمل، ويكتفي بدم شفتيه حسرة على أحوال البلاد والعباد ويأساً منهم ومن صلاحهم، ولسان حاله يقول: هلك الناس، فقد قال النبي ﷺ: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»^{(٣)(٤)}.

❁ ٩ - ظاهرة العودة إلى الإسلام^(٥):

إن الناظر في حياة الناس في بلاد المسلمين بخاصة ليجد عودة حميدة إلى الإسلام، والتزاماً جاداً صادقاً بتعاليمه عند قطاع كبير من المجتمع؛ من الصغار والكبار والرجال والنساء، وعلى كل المستويات. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الخير في هذه الأمة لن ينقطع، وأن الناس مقبلون على ربهم، عائدون إليه، وهذا الأمر يملأ النفس أملاً وتفاؤلاً بقرب وعد الله لهذه الأمة، ويعمل على إخراج نبتة اليأس من القلوب، والإحباط من النفوس.

وفي هذا المقام يقول الدكتور محمد أبو فارس: «ومما يبث الأمل في النفوس إقبال الشباب على الإسلام، وترددهم على بيوت الله، يؤدون فيها الصلوات الخمس جماعة، ويحرصون على ذلك، وانتشار الصحوة الإسلامية في شتى بقاع الأرض، وعلى جميع المستويات الثقافية والعلمية،

(١) سورة البقرة ٢٥١.

(٢) سورة الحج ٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٦٢٣ في كتاب الفضائل ٤٣، باب: النهي عن قول هلك الناس (٢٠٢٤/٤).

(٤) انظر موقع المسلم www.almoslim.net

(٥) انظر متفائلون ص ٣٢ مرجع سابق.

وانتشار المصليات في المدارس والجامعات وكلليات المجتمع والمعاهد، وانتشار المظاهر الإسلامية والعادات الإسلامية، وانحسار العادات السيئة في المجتمعات المعاصرة في بلاد المسلمين، كل هذا يمكن للداعية أن يستخدمه في محاربة اليأس، وبعث الأمل وبثه في النفوس^(١).

لماذا لا نتفاءل؟! وشبابنا من المرقص إلى المسجد، ومن الضياع إلى الهداية، أصبح منهم الخطيب والداعية والمهندس والطبيب والدكتور والعالم والمخترع. لماذا لا نتفاءل؟! وحلقات الذكر في كل مسجد والمقبلون على حفظ القرآن بالآلاف. لماذا لا نتفاءل؟! ومن علمائنا من يحفظ الكتب الستة بالسند المتصل، ومن زهادنا من يقوم الليل في عشرة أجزاء بل بالقرآن كله، ومن كبار السن من يختم القرآن في كل ثلاث ليالٍ وعمره تجاوز ١٢٠ عاماً، بل من عبّادنا من يختم القرآن في رمضان في صلاة التراويح عشر مرات، يبدأ من بعد صلاة العشاء ولا ينتهي إلا قبيل الفجر، وهذا العابد هو الشيخ أحمد الحواشي - إمام جامع خميس مشيط في الجنوب - متع الله بعمره. وغيرهم كثير وكثير ولله الحمد.

وما يحدث في الدول الغربية من الجرائم والمخدرات وحوادث السرقة ما يدعو للتفاؤل؛ ففي كل دقيقتين ونصف تحدث جريمة في الدول الغربية، وحوادث السرقة في كل عشر ثوانٍ، وحوادث الاغتصاب في كل سبع دقائق، وجرائم القتل في كل أربع وعشرين ثانية، وفي الغرب خمسة وتسعين مليون مدمن مخدرات و٨٥٠ ألف مصاب بالإيدز و١١ مليون مصاب بالاكتئاب، وبلغ عدد المنتحرين في الغرب بسبب الفشل في عام واحد ربع مليون شخص. أي: بمعدل ١٥٠ شخصاً يومياً وسبب الانتحار الملل والاكتئاب، يقول بعض مفكري الغرب: أنا في ملل وأحس في ألم لماذا أحيا دعني أموت. ناهيك عن الزلازل والأعاصير والحوادث الكونية التي يرسلها الله عليهم وهي من جند الله. ألا يدعو هذا إلى التفاؤل؟!.

(١) أسس في الدعوة: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٣١ - ٣٢.

لقد كانت إساءة الغرب للرسول ﷺ بالرسوم المتحركة تشويهاً لإنسانيته المطهرة ودينه السماوي - سبباً في دخول الآلاف من الغربيين في الإسلام، بل أن هناك حوالي ٢٥٠٠ شاب دنماركي أسلموا على خلفية نشر الرسومات المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام.

وانتشر الإسلام في عالمنا اليوم كما انتشر كذلك في كل بقعة في العالم بسبب هذه الحملات الشرسة عليه، لأنه دين الله الحق! ولأن الله متم نوره ولو كره الكافرون. انتشر بالفقر، وانتشر بالعداء والتنكيل بالمسلمين، وانتشر بالحروب الباردة، ولولا هذا الضعف الذي مُنيت به دولة الإسلام اليوم لما انتشر الإسلام هذا الانتشار العظيم. لأن الدين جاء من عند رب العالمين، فهو محفوظٌ بحفظ الله له.

❁ ١٠ - مجالسة المتفائلين:

الذين ينظرون إلى الدنيا كونها حلوة خضرة، ويفهمون في الوقت نفسه أنها دار استثمار للآخرة، والذين يعمّرون الأرض التي استعمرنا الله ﷻ فيها بالوسائل السليمة ويحصدون الثمار الصحيحة التي تعود عليهم وعلى أمتهم ومجتمعاتهم بخيري الدنيا والآخرة . فكما أن الداعية المتفائل يؤثر بتفاؤله على من حوله، فهو أيضاً يتأثر بهم، لذلك ينبغي له أن يحرص على مجالسة المتفائلين ليأخذ منهم عدوى التفاؤل^(١).

١١ - معية الله للمؤمنين ونصره لهم وتثبيت الملائكة.

١٢ - وجود أنصار للحق.

١٣ - بقية الفطرة السليمة عند الناس.

١٤ - قدوات من أهل العلم والإيمان.

١٥ - ما يشهد للحق من واقع وكلام غير المسلمين.

(١) استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، ص ١٣٩، مرجع سابق.

١٦ - البركة في جهود الدعاة والتوفيق والنجاح والأثر الحسن. وغيرها مما يقوي العزائم ويثبت على الحق^(١).



المطلب الثاني: الأسباب المعينة على التفاؤل عند الداعية^(٢)

❁ الابتسامة وطلاقة الوجه ورواية الطرف الهادفة:

إن الابتسامة، وطلاقة الوجه، وحسن البشر لا سيما في اللقاءات الاجتماعية والفردية، له أثر عظيم في إشاعة التفاؤل وثقافة الفأل الحسن، والدلالة على الرضا بالمقدور وحسن الظن بالمقدّر سبحانه وتعالى، ولقد وجّه إلى ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وأحواله؛ فأمرنا ﷺ بأن نلقى إخواننا بوجهٍ طلق حتى نشيع في المجتمع روح التفاؤل والأمل، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ، وَأَنْ تُفْرَغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءٍ أَخِيكَ»^(٣).

أيها الداعية درّب نفسك على الابتسامة، وكن مستعداً للضحك باعتدال، فتبسّمك في وجه أخيك صدقة، والبسمة تصنع في قلبك وحياتك الكثير خصوصاً إذا كانت ابتسامة حقيقية يتواطأ فيها القلب مع حركة الوجه والشفيتين، وليست ابتسامة ميكانيكية.

(١) موقع بصائر www.bassaer.info الأربعاء، ٢١ يناير ٢٠١٥ - ١ ربيع الأول ١٤٣٦هـ.

(٢) استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، ص ١٢٦ وما بعدها بتصرف، مرجع سابق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، برقم ١٤٧٦٦ (٣/٣٤٤) والبُخَارِي، في الأدب المفرد برقم ٣٠٤ والتِّرْمِذِي برقم ١٩٧٠.

إن النكت الطريفة في حياة الناس حقيقة قائمة يصنعونها أو يروونها، فالوقورون والمشاهير، والعلماء والساسة، ومن يحافظون على مهابتهم أمام الناس يتبادلون الطرائف والظرف والنكت في مجالسهم الخاصة وأحاديثهم وبيوتهم، وليالي سهرهم وسممرهم، وأحياناً النكت الثقيلة، فالطرفة المبهضة الأدبية الهادفة اللطيفة التي لا تمس إنساناً، ولا حرفاً ولا جهةً، ولا شيئاً في الحياة، لكنها تشيع البهجة في النفوس، وتجدد نشاط المستمعين وقد كان الشافعي رحمه الله يقول: «الوقار في البستان من السخف»^{(١)(٢)}.

فبالابتسامة وطلاقة الوجه ورواية النكت الهادفة يزداد الداعية حباً للناس، ويعينه في تأليف قلوبهم، فالمؤمن يألف ويؤلف، المؤمن متفائل، المؤمن ضحاك بسام، وقدوتنا في ذلك نبينا ﷺ فكان إذا دخل البيت يضع الحسن والحسين على ظهره تأليفاً لقلوبهما.

وجاء في الأثر من حديث عبدالله بن الحارث رضي الله عنه، قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣)، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقابل الناس بالابتسامة؛ فقد ورد عنه ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عبيدة عامر بن الجراح إلى البحرين يأتي بِجَزِيرَتِهَا وكان رسول الله ﷺ هُوَ الَّذِي صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عبيدة بمالٍ من البحرين فَسَمِعَ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ ابْنِ الْجَرَّاحِ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عبيدة قَدِمَ بِقَرِيشٍ» قالوا: أجل يا رسول الله. قال: «فَأَبْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ»^(٤).

(١) انظر مناقب الشافعي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة ط ١، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، (٢/٢١٢).

(٢) موقع الإسلام اليوم. www.islamtoday.net

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب: في بشاشة النبي، (٦٠١/٥)، برقم ٣٦٤١.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجزية ٥٨، باب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب، برقم ٣١٥٨، (٩٦/٤).

ولا بد من إعطاء كل شيء قدره؛ ولا بد من وضع الأمر في نصابه، فليس المقصود أن يتحول الإنسان إلى كائن ضاحك، لا هم له إلا الضحك، ولكن ينبغي أيضاً أن نتذكر أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي جُبل على الضحك؛ فهي إحدى خصائصه، وعليه ألا يهدره^(١).

فقد جاء عنه عليه السلام أنه قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢) وفي حديث آخر: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٣).

❁ إفشاء السلام:

إفشاء السلام هو مفتاح القلوب فبه يزرع الله لك المحبة في قلوب العباد ويسر لك به الطريق إلى الجنة وأمرنا به رسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام - حتى تسود بيننا المحبة والألفة، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٤)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

يقول الشيخ السعدي - رحمته الله -: «والسلام من محاسن الإسلام؛ فإن كل واحد من المتلاقين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير، ويتبع ذلك من البشاشة وألفاظ التحية المناسبة

(١) موقع الإسلام اليوم www.islamtoday.net مقال ل د. سلمان بن فهد العودة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب: استحباب طلاقة الوجه (٣٧/٨)، برقم ٦٨٥٧.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه باب: طلاقة الوجه وحسن البشر برقم ٩٧٠، (٣٤٧/٤)، وقال: حديث حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد برقم ٩٠٧٣ (٣٩١/٢) وأبي داود في كتاب الأدب، باب: في إفشاء السلام برقم ٥١٩٣، (٣٥٠/٤).

ما يوجب التآلف والمحبة، ويزيل الوحشة والتقاطع^(١). فإنَّ ممَّا يهتم الداعية في نشر دعوته، الوصول إلى قلوب الناس وكسب محبتهم وتأليف قلوبهم.

وكما هو معلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام - استقبل الأنصار بالتبسم ودعاهم إلى الاستبشار بما عند الله وعند رسوله ﷺ -، وفي ذلك إشارة منه بأن يكون الخير والسرور والأمل منهجهم الدائم، وهكذا ينبغي على الأئمة والدعاة أن يلتزموا بالسلوك الإيجابي النبوي في تعاملاتهم مع الرعية، لما في ذلك من جوانب تربوية عظيمة وسمات أبوية وقيادية تسهم في نهضة الفرد والمجتمع^(٢).

❁ اللين والسهولة في التعامل مع الآخرين:

إنه مما ينبغي على الداعية أن يكون ليناً سهلاً في التعامل مع الآخرين ولا سيما من أهل الإسلام؛ لما جاء في الأثر أنه ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ حَرُمٌ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ لِينٌ سَهْلٌ»^(٣).

ومما لا شك فيه أن التغذية بهذه المعاني تساعد على بسط روح الإيجابية والفأل الحسن بين أفراد المجتمع وأن الداعية وأسلوبه اللين بين يدي إخوانه وسهولته في التعامل معهم يكسبه الإيجابية والفأل الحسن^(٤).

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ط١، (٨١/١).

(٢) استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، عبد القدوس بن أسامة السامرائي ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، (٦٥٤/٤)، برقم ٢٤٨٨، وجاء في صحيح الترغيب برقم ٢٦٧٦.

(٤) استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، ص ١٢٧، مرجع سابق.

✽ المحافظة على الهوية وتقبل الذات على ما هي عليه:

فإنّ ذلك مما يحفّز طاقاته نحو الإيجابية، ولا سيما في المسار الذي يختار سلوكه كسبيل للنجاح، ويحتاج أن يتفاهل فيه، وليكن في علم الداعية أن هويته لا تنحصر فيما يفعل ولا فيما يتبوأ من مناصب، بل في نظريته لنفسه وحقيقة وجدانه الذاتي، فلا بدّ أن يمنح نفسه الثقة ليصل إلى الغاية التي يريدها، وعليه في الوقت نفسه الحد من المشاعر السلبية التي تواجه النفس في ساعات الفتور.

✽ الإكثار من سماع الأقوال الباعثة على التفاؤل:

ولا سيما أقوال النبي الكريم ﷺ في رأفة الله تعالى بالمسلم، وكيف كان هديه ﷺ في إحياء التفاؤل بين المسلمين وغيرهم. ويستأنس بالأشعار التي تبعث على كل ما هو ممتع جميل ونافع مفيد؛ يدخل بها السرور على نفسه، ويخفف عنها ثقل المسموع في نهاره وليله، ويرتب لنفسه ورداً يومياً للقرآن والأحاديث والكتب والحكم التي تبعث على الأمل والسعادة كآيات التي تذكر بنعيم الجنة وما أعدّه الله لعباده الصالحين المتقين وما وعدهم الله من التوفيق والرحمة والمغفرة في الدنيا والآخرة.

✽ الإكثار من الدعاء:

لا سيما الدعاء بالوارد عن الرسول الكريم ﷺ؛ الذي يدعو فيه بالعيشة الهنيئة، والسلامة من كل بلاء وبليّة، ولا سيما ما يدفع به الهموم والأحزان وآثارهما؛ ومن هذه الأدعية ما جاء عن عبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قُطْرٌ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضَرَّ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ

هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»^(١).

❁ عدم التسخط:

إنه مما ينبغي على الداعية إذا أراد أن يعيش متفائلاً ويشعر بهذا التفاؤل في حياته، أن يحذر من التسخط؛ فإنه باب التشاؤم واليأس والهم والحزن ومدعاة إلى شتات القلب وسوء العاقبة، وعليه في المقابل أن يستجلب ويستنزل سكينه النفس بالرضا عن الله؛ فهو الذي يمنحه ما يؤمله فيه، ويؤمّنه مما يخاف منه، والرضا برزق الله؛ ليستنزل السلامة والطمأنينة، ويشمل برحمة الله ورضوانه.

❁ التنعم بالمباح:

مما ينبغي على الداعية أن يحرص على الجمع بين أداء حق الله عليه وحق نفسه، تأمل قصة ذلك الأعرابي الذي قَدِمَ إلى النبي ﷺ فقال: عَلَّمَنِي كَلَاماً أَقُولُهُ، قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي»^(٢).

فلا مانع يمنع الداعية أن يتمتع بما أباحه الله من المأكَل والمشرب والمركب والملبس، وممارسة الهوايات كلعب الكرة أو السباحة أو الرياضة وغير ذلك، وأن يروّح عن قلبه ساعة وساعة مع الالتزام بالضوابط الشرعية

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم ٤٣١٨، باب: مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٣٤١/٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، برقم ٣٣.

في الترويح عن النفس؛ فإنّ في ذلك ممّا يشرح النفس ويقوي فيها بواعث الأمل والتفاؤل؛ فإنّ القلوب إذا كلّت ملّت.

❁ تكرار عبارات التفاؤل والقدرة على الإنجاز:

وحَتَّى يجعل الداعية من التفاؤل صفة لذاته ومنهجاً في التعامل مع نفسه، واستراتيجية في علاقاته بالمدعوين، لا بد من تكرار عبارات التفاؤل والقدرة على الإنجاز، وأن يسمعها لنفسه، كأن يهتف في نفسه قائلاً: أنا قادر بإذن الله تعالى على صنع كذا، ويسمي في وجدانه ما يود صناعته، ويُسمع نفسه ذلك، وبتوفيق الله سأستطيع أن أكون أفضل في كذا، أو إن شاء الله أستطيع أن أصل إلى تحقيق كذا ويسمي هدفه، ويذكر نفسه بعظيم نعم الله عليه، من العافية والرزق والإسلام والقرآن، وكونه من أمة محمد ﷺ، فإن في ذلك باعث حقيقي للهمة والنشاط تجاه نفسه والآخرين، وطارد لليأس والتشاؤم.



المبحث الثالث:

آثار التفاؤل على الدعوة

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التفاؤل على الداعية.

المطلب الثاني: آثار التفاؤل على المدعوين.



المطلب الأول:
آثار التفاؤل على الداعية

ولمعرفة آثار التفاؤل على الداعية نأتي أولاً لتعريف معنى الأثر والدعوة والداعية في اللغة والاصطلاح.

❁ تعريف الأثر في اللغة:

رسم الشيء الباقي: قال الخليل: «والأثر بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يُبقي عُلقة»^(١).

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي =

«وأثر الدار: بقيتها. والجمع: آثار، مثل سبب وأسباب»^(١).

«والأثارة: البقية من الشيء، والجمع: آثارات»^(٢).

«وأثرت فيه تأثيراً جعلت فيه أثراً وعلامة»^(٣).

✽ تعريف الأثر في الاصطلاح:

قيل: (أثر الشيء): حصول ما يدلُّ على وجوده؛ يُقال: أثر وإثر والجمع: آثار^(٤).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا﴾^(٥).

✽ تعريف الدعوة في اللغة:

قيل: «الدعوة - بفتح الدال -: الدعاء إلى الشيء، ودعاء صاحبه، ومنه الدعاء والأدعية، والدعوة هي الطلب؛ يُقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين»^(٦).

= البصري، المحقق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، (٢٣٦/٨).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت، (٤/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٥٥/١).

(٣) المصباح المنير، (٤/١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن مفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق - دار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ، ص ٦٢، تحقيق صفوان عدنان داودي، مادة (أثر).

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٧.

(٦) انظر: «الصحاح» (تاج اللغة العربية وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، (٢٣٢٦/٦ و ٢٣٣٨)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، «مختار الصحاح»، ص ٢٠٥، ٢٠٦ (مرجع سابق)، انظر: =

وتعريف أصل المادة عند ابن فارس إذ يقول: «دعو: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو: أن تميل الشيء بصوت وكلام منك»^(١).

❁ تعريف الدعوة في الاصطلاح وعُرف العلماء:

إذا أُطْلِقَ مصطلح الدعوة فإنه يراد به في الغالب معنيان:

الأول: الإسلام والرسالة.

الثاني: عملية نشر الإسلام وتبليغه.

والمعنى الثاني هو المقصود في البحث.

وأودُّ أن أذكرَ ببعض التعريفات الاصطلاحية للدعوة وهي كالتالي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: «الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان بما جاءت به رُسُلُهُ، بتصديقهم فيما أَخْبَرُوا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله»^(٢).

وقيل: حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على وجهه الصحيح، وفق منهج علمي مدروس، بوسائل وأساليب راقية ومتجددة، بواسطة دعاة مسلمون يقومون به في الناس، على هدى

= «المعجم الوسيط»، إعداد: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢، بدون تاريخ، (١/٢٦٨).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م بدون رقم طبعة، (١٥/١٥٧).

وبصيرة^(١).

وقيل هي: «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»^(٢).

✽ تعريف الداعية في اللغة:

قال ابن منظور بادئاً بالجمع: والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجلٌ داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت (الهاء) للمبالغة وقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾؛ معناه داعياً إلى توحيد الله وما يقرب منه، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن. وفي التهذيب المؤذن داعي الله والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته^(٣).

داعية مفرد: الجمع دُعاة ودواع (لغير العاقل): مَنْ يَدْعُو وَيَعْلَم ويرشد إلى دينٍ أو فكرة «يَقُومَنَّ أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ»^(٤)، (التاء للمبالغة) «داعية حَرْبٍ/ سلام - داعية إسلامي»^(٥).

✽ تعريف الداعية في الاصطلاح:

يُعرّف البروفسور محمد زين الهادي العرمابي الداعية بأنه: مسلم قوي الشخصية، معتز بدينه، عاملاً على نشره ونقله للناس، باذلاً الجهد فيه، عارفاً بأصوله وفروعه، صبور ونشيط الحركة، واسع الثقافة، متفاعل مع

(١) الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، محمد زين الهادي العرمابي، ٢٠٠٥م، ط١، مطابع العملة بالخرطوم، ص١٠.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة؛ د. محمد أبو الفتوح البيانوني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ، ص٤٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٨/١٤ - ٢٥٩).

(٤) سورة الأحقاف، آية: ٣١.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، (١/٧٤٩).

عصره، حكيم في دعوته، خبيرٌ بأدواء الأمم، وداعياً إلى الله على هدىً وبصيرة^(١).

وقيل: الداعي هو: المبلغ للإسلام، والمعلم له. والساعي إلى تطبيقه. فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها. أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل. فقد قال الله ﷻ عن رسوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) (٢).

كما يمكن تعريف الداعي بأنه «المسلم» مطلقاً؛ لأن الدعوة وظيفة كل مسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (٣) (٤).

✽ آثار التفاؤل على الداعية:

بعد أن تناولنا معنى التفاؤل وأدلته من القرآن الكريم والسنة، نأتي لتناول أهمية التفاؤل وآثاره وفوائده التي تمتد لتشمل جميع شرائح المجتمع، أفراداً وجماعات، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، مسلمين وغير مسلمين، أصحاء ومرضى، فالتفاؤل له دورٌ كبيرٌ في اتخاذنا للقرارات في حياتنا كلها، مثلاً في العبادة المسلم يتفائل بأن الله لن يضيع أجره، وفي طلب العلم يتفائل بأن الله سيرزقه العلم النافع، وفي الوظيفة والعمل أيضاً نجد الناجحين فيهما من المتفائلين، وإذا نظرنا إلى الناجحين في جميع مجالات الحياة من الدعاة ورجال الدين والمهندسون والأطباء نجد أن بينهم قاسم مشترك ألا وهو التفاؤل؛ إذًا التفاؤل حليف النجاح.

إن الداعية إلى الله قبل أن يكون داعية هو بشر، يحتاج ما يحتاج إليه

(١) الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ص ٩٩ مرجع سابق.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة يوسف، من آية ١٠٨.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، ص: ٤١ مرجع سابق.

الآخرون من التفاؤل الذي يبعث على الأمل والرضا والسعادة والصحة النفسية والبدنية ليحيا حياة هائلة ومستقرة وسعيدة، فيكون بذلك أهلاً للعطاء والدعوة إلى الخير، وناجحاً في إيصال ما يريده للمدعوين، فحاجة الداعية للتفاؤل تتضاعف إذا تعرفنا على أثره ودوره ووظيفته في المجتمع.

❁ وظيفة الداعية وأهمية الدعوة إلى الله:

وظيفة الدعاة إلى الله هي وظيفة الرسل التي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان، وإنقاذهم من طاعة الهوى إلى طاعة الله ورسوله. وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، وينجو من النار، وينجو من غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذه هي وظيفة الداعية وهذا هو المقصود من الدعوة، كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧) (١).

وبعد معرفة وظيفة الداعية - والتي تعد من أعلى وأسمى وأشرف الوظائف كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) (٢)، يتضح لنا أهمية التفاؤل للداعية، فهو محتاج للتفاؤل ليكون سعيداً صحيحاً سليماً في نفسه وبدنه، فيكون بذلك أهلاً للعطاء بلا حدود، ويقوم بدوره في إرشاد الناس إلى الحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ودلالتهم إلى الخير على أكمل وجه.

فالداعية المتفائل الذي عرف الله حق المعرفة هو من الناس الذين هم مفاتيح للخير مغاليق للشر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) سورة فصلت: آية: ٣٣.

مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه،
وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»^(١).

ولأن الدعوة إلى الله هي صمام الأمان الذي يحفظ الله به الأمة -
الفرد والمجتمع - فإن الإسلام لا يكتفي بتقرير وجوب الدعوة، بل يأمر
ويرغب في الانتظام في سلكها والحث عليها؛ كما جاء في القرآن الكريم،
قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ
دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣)، وقال - ﷺ -:
«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها،
وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(٤)، وورد أيضاً قوله ﷺ:
«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من
أجورهم شيئاً»^(٥)، وقوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(٦)،
وكما رغب في الدعوة إلى الله، رهب من التقصير والتفريط في حملها؛
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾^(٧)، فقد جاء في
هديه ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، في افتتاح كتاب الإيمان وفوائد الصحابة والعلم، برقم
٢٣٧، باب: من (١/١٦٠) كان مفتاحاً للخير، وصححه الألباني في السلسلة
الصحيحة ١٣٣٢.

(٢) سورة آل عمران: آية: ١٠٤.

(٣) سورة فصلت: آية: ٣٣.

(٤) أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٥/٥٠)، كتاب العلم،
وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب العلم ٤٧، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن
دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم ٢٦٧٤، (٤/٢٠٦٠) ج ٣.

(٦) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة ٣٣، باب: فضل إعانة الغازي في
سبيل الله، برقم ١٨٩٣، (٣/١٥٠٦).

(٧) سورة البقرة: الآية: ١٦٠.

عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(١).

وبمعرفة أثر الداعية وأهميته في المجتمع نأتي لمعرفة أثر التفاؤل على الداعية ومن ثم أثره على المدعويين وعلى الدعوة.

✽ للتفاؤل آثار عديدة على الداعية نلخصها في الآتي:

● أولاً: الآثار النفسية:

إن التفاؤل يبعث في نفس الداعية الفرح والسرور والبهجة والسكينة والطمأنينة والرضا، ويولد عنده الأمان ويشعر صاحبه بقيمة الحياة؛ إنه يرفع المعنويات، ويمحو الانهزامية والانكسار؛ ينظر للحياة كما أخبر عنها رسول الرحمة الخاتم ﷺ، بقوله: «إن الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها»^(٢).

فتجد الداعية المتفاؤل سعيد يأكل ويشرب ويسافر ويشاهد ويستمتع بالحياة، يتوقع الخير، يتسم للحياة، يستشرف المستقبل بكل أمل، ينظر إلى الغيبات بحسن الظن بموعد الله؛ فالله ﷻ بيده مقاليد الأمور وهو سبحانه وتعالى سيكشف الضر الذي نزل بالأمة، وسيجعل بعد العسر يسراً، وبعد الضيق فرجاً، وبعد الحزن سروراً، كل عسير عليه يسير، وكل شدة فرجها آتٍ وقريب، يرجو رحمة الله، ويتعلق بحبله المتين^(٣).

ولإيضاح أثر التفاؤل في سعادة الفرد فقد برهنت بعض الدراسات

(١) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم ٢١٦٩، ج ٤ ص ٤٦ انظر مقومات الداعية والمربي د. محمود أبو دف، أ. مصطفى منصور، الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين، بتاريخ - ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ١٦ - ١٧ أبريل ٢٠٠٥ م ص ٥٨٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٣٧٠/١٠)، برقم ٤٥١٢. وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) انظر استراتيجية التفاؤل والتشاؤم سبيلك إلى النجاح، ص ١٢٣، مرجع سابق، وأيضاً

على وجود علاقة قوية بين النظرة التفاؤلية للمستقبل والسعادة الحالية للفرد^(١).

التفاؤل هو إحدى القدرات الأربعة والعشرين في تحقيق السعادة الأكبر، بناءً على دراسة أجراها الأستاذ جورج بلانث في جامعة هارفارد^(٢)، فعندما يكون الداعية بهذه الإيجابية من الفرح والسعادة والرضا النفسي فإنه حتماً سيكون مؤهلاً للدعوة والإصلاح.

وللتفاؤل أيضاً أثره الواضح في التغلب على الضغوط؛ فقد أجريت ١٠٤ دراسة على أكثر من خمسة عشر ألف مفحوص أمريكي ظهر أن التفاؤل يرتبط بكل من التغلب على الضغوط بنجاح وحل المشكلات والبحث عن الدعم الاجتماعي والنظرة الإيجابية للمواقف الضاغطة^(٣).

والتفاؤل يعني أن يرضى المرء عن نفسه، وأن يتقبل ذاته، كما يتقبل الآخرين، وتغيب عن سلوكياته اضطرابات التوافق الاجتماعي أو السلوكيات الشاذة، بل يسلك في تصرفاته السلوك المعقول المتسم بالاتزان والمتصف بالإيجابية والقدرة على مواجهة المواقف ومجابهة المشاكل التي تقابله في مختلف نواحي حياته، فعندما يكون الداعية بهذه الصفات يكون ناجحاً في دعوته إلى الله وبمثل هذه الثقة والاتزان يستطيع وبإذن الله أن ينشر دعوته على أوسع نطاق.

إن التفاؤل والأمل يساعدان في الاستقرار النفسي عند الداعية، فيتوقع النجاح لدعوته في المستقبل القريب والاستبشار به في المستقبل البعيد بالاعتماد والثقة في الله سبحانه وتعالى ثم بالثقة في النفس. إن الداعية المتفائل يحب جميع الناس لا يعرف الحسد والحقد والكراهية

(١) التفاؤل والتشاؤم، المفهوم، القياس، المتعلقات، مرجع سابق ص ١٨، بدر محمد الأنصاري (١٩٩٨) جامعة الكويت، الكويت ص ١٨.

(٢) للتوسع انظر كتاب السعادة الحقيقية، مارتن سليجمان، ط ١، ٢٠٠٦م، حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير، ص ٩ - ١٠.

(٣) التفاؤل والتشاؤم، المفهوم، القياس، المتعلقات، ص ٥٠، مرجع سابق.

والبغضاء التي نهانا عنها ديننا الحنيف، فهو حريص على إيصال الخير والصلاح للجميع فلا يتسلل اليأس إلى قلبه أبداً مهما ابتعد الناس وانحرفوا عن الدين فقلبه مملوء أملاً وتفاؤلاً بعودة هؤلاء ورجوعهم إلى الله وتوبتهم، قدوته في ذلك رسولنا الكريم - محمد عليه الصلاة والسلام - الذي بلغ في حرصه على هداية قومه مبلغاً عظيماً فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ الْمُبِينِ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣)، وغيرها من الآيات.

وبهذه الآثار الطيبة والإيجابية التي يبثها التفاؤل في روح الداعية تجعل منه شخصاً مرغوباً فيه ومحوباً عند الجميع، فالناس بطبيعتهم يفضلون صحبة المتفائل على المتشائم فيتمكن الداعية - بعد توفيق الله - من التأثير على أفراد المجتمع وإيصال الخير لهم وإصلاح مجتمعهم والوصول إلى قلوبهم قبل أسماعهم فيكون له الأثر الواضح - بعد توفيق الله - في تطهير المجتمع من الشرك والفساد والبدع والمعاصي والسمو به إلى معالي الأمور وفضائل الأعمال.

والداعية المتفائل بتفاؤله وروحه المرحّة وابتسامته التي لا تفارق محياه وتوقعه للخير من جميع المدعوين يكون أكثر جذباً للمدعوين من غير المسلمين خاصة فيستميل قلوبهم ويرغبهم في الدخول إلى الإسلام ويبين لهم مبادئه السمحة - والتي يكون هو متمثلاً بها قبل أن يدعو إليها - من الرحمة والإحسان إلى الخلق ومعاملتهم باللطف واللين، ثم يشرع في بيان قواعد الدين وأصوله وأحكامه الشرعية، فيجد آذاناً صاغية ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

(١) سورة الكهف، آية: ٦.

(٢) سورة العنكبوت، جزء من آية: ١٨.

(٣) سورة فاطر، جزء من آية: ٨.

❁ ثانياً: الآثار العقلية والبدنية:

وبعد أن رأينا الأثر النفسي الإيجابي للتفاؤل كان حتماً أن يكون لهذا أثراً إيجابياً على العقل والبدن أيضاً؛ فالتفاؤل يكسب صاحبه مناعة نفسية هائلة وقوة داخلية تفعل المناعة الجسمية مما يساعدها في مقاومة الأمراض الوبائية والمزمنة كالسرطان وغيره كما ثبت ذلك علمياً في دراسات طويلة أجريت على مئات المصابين بمرض السرطان المتفائلين مقارنة بمرضى متشائمين معزولين فكانت النتيجة أن معظم المتفائلين شفوا من المرض بخلاف المتشائمين فمعظمهم قضى نحبه، وهذه الدراسات صدرت عن جامعات عالمية ومنشورة على الشبكة^(١).

المتفائلون هم أفضل الناس صحة، لأن الشعور بالسعادة والتفاؤل يعكس آثاراً إيجابية على صحة الإنسان عموماً فكيف إذا كان هذا الإنسان هو داعية إلى الله؟؟ بالتأكيد ستكون هذه الآثار أجدى وأنفع؛ فالداعية عندما يكون صحيح البدن ينشر دعوته على نطاق واسع؛ فهو يكرس جل وقته وجهده في الدعوة إلى الله، لا يشغله شاغل من علة أو مرض. وكما أن لصحة النفس أثراً إيجابياً على صحة العقل والبدن فكذلك صحة البدن تؤثر إيجابياً على صحة العقل، وكما قيل إنّ العقل السليم في الجسم السليم، فصحة العقل تمد الداعية بالتفكير الصائب والتخطيط السليم والتطوير المستمر واقتناص الفرص واغتنام الوقت وكل ذلك يصب في مصلحة الدعوة. فالقوة في العقل وفي النفس وفي البدن من الصفات المطلوبة في المؤمن والمحبوبة عند الله، ويدل على ذلك ما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخِرْصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ

(١) انظر كتاب متفائلون، ص ١١، مرجع سابق.

عَمَلَ الشَّيْطَانِ^(١).

وتبدو الآثار الإيجابية على الصحة العقلية واضحة؛ فالمتفائل كما هو جميل النفس فبمثل هذا الجمال يرى الأشياء حوله أيضاً جميلة، ويفكر باعتدال ويبحث عن الحلول ويحصد الأرباح، وينأى بنفسه عن سيطرة الوهم والخوف والتشاؤم، وهناك تقرير في (THE Havard Mental Health Letter) يؤكد أن التفاؤل عامل أساسي في تحقيق الصحة العقلية وينص هذا التقرير على أن الطبيين النفسيين د. دافيد مايرز ود. إدوارد داينر وجدوا أن هناك أربعة خصال تميز الأشخاص السعداء، وهي أنهم: يكونون لأنفسهم كل التبجيل والاحترام، يشعرون بقدرتهم على السيطرة على مجريات حياتهم، متفائلون، يتصرفون على نحو منبسط واجتماعي^(٢).

والداعية المتفائل بروحه الجميلة يرى كل ما حوله جميلاً بالرغم مما يصادفه من عناد وتكبر واستهزاء بعض من يدعوهم، ولكنه ينظر إلى النصف الممتلئ من الكوب فتزداد نفسه جمالاً وأملاً وحماسة في الدعوة إلى الله.

وللتفاؤل وطول العمر علاقة وثيقة تبينت بالدراسة^(٣)، وأثبتت دراسات أخرى أن المعمرين عادة هم المتفائلون في حياتهم^(٤)، مع التأكيد أن الأعمار بيد الله.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر ٤٦، باب: الأمر بالقوة وترك العجز، برقم ٢٦٦٤، (٤/٢٠٥٢).

(٢) انظر: كتاب كن متفائلاً، ماجد سعيد العوشن، ١٤٢٨هـ ص ٣٢ - ٣٥.

(٣) ولدراسة ما إذا كان التفاؤل يدل على طول العمر، انتقى العلماء في عيادة مايو في روشستر بولاية منسوتا، ٨٣٩ مريضاً عرضوا أنفسهم للعلاج الطبي منذ أربعين عاماً مضت بعد خضوعهم لاختبار سمة التفاؤل، توفي بينهم ٢٠٠ في عام ٢٠٠٠، وكان المتفائلون أطول عمراً بنسبة ١٩٪ وذلك بالقياس إلى أعمارهم المتوقعة وذلك بالمقارنة بالمتشائمين. انظر كتاب السعادة الحقيقية، مارتن سيليجمان ص ٩، مرجع سابق.

(٤) في ناد أقيم في كوبا حضره عدد من المعمرين الذين تجاوزت أعمارهم مائة وعشرين سنة تبين أن هؤلاء جميعاً تلقوا الحياة بقدر من التفاؤل انظر كتاب متفائلون، ماجد بن سعود العوشن، ص ٣٤.

وإنّ الكثير من الوقائع الميدانية تذهب بنا إلى إمكانية عيش الإنسان - بفضل الله تعالى - بأعضاء صحيّة وصحة نفسيّة عالية ليصل إلى أعمار متقدّمة؛ إذا ما نجح في تغيير أسلوب حياته، وحسّن نظره الإيجابية إلى الحياة، واستحضر منافعها بشكل عام واعتبر الأخصائيون أنّ التفاؤل يساعد على إفراز بعض الطاقات؛ فإذا انخفضت طاقة التوتر في الجسم مثلاً، فإن هذا يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب.

❁ ثالثاً: الآثار الدعوية:

إن نجاح الدعوة يتوقف على نجاح الداعية، وقد رأينا الأثر العظيم للتفاؤل على الداعية من الفرح والسرور والرضا والنشاط والجد والحماس والأمل وتوقع الخير من الجميع مما يؤدي بدوره إلى انتشار الدعوة وانتشار الخير بكثرة ملازميه والدعاة إليه، والثابتين عليه، وعندما تتزايد هذه الدوائر ويتكاثر أفرادها تكون سبباً من أسباب رضوان الله ﷻ وتنزل نصره، وحصول التغيير الصالح في الأمة ضمن السنة الإلهية الماضية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، ومن ناحية أخرى فكلما أقبل على الخير واستجاب للدعوة نفر من الناس بما يحققه الله من نجاح للدعاة المتفائلين فإن ذلك يثمر عند الآخرين قناعة عميقة، وحماسة قوية للمتابعة دون تردد أو رهبة، وخوف التفرد بالالتزام، ومخالفة التيار العام، كما أن انتشار الخير يبرز صورة مشرقة للمسلمين الملتزمين من خلال سلوكياتهم في سائر شؤون الحياة وهذا له أثر إيجابي في زيادة الإقبال على الالتزام^(٢).

إن الداعية المتفائل يفسر الأزمات تفسيراً إيجابياً ويواجه العقبات التي تمر به أمام الدعوة بالتخطيط والتنظيم فيؤدي بذلك إلى تطوير العمل الدعوي واتساع دائرته.

(١) سورة: الرعد، جزء من آية: ١١.

(٢) مقومات الداعية الناجح، بقلم الدكتور علي بن عمر بن أحمد بادحدح ص ٦.

يؤثر التفاؤل على عطاء واستمرار وثبات الداعية؛ فإن للتفاؤل أثراً بالغاً وأهمية قصوى في الحث على العمل ورفع الهمة والرغبة عند صاحبه يجدد النشاط، ويخلص صاحبه من الخمول والكسل، قال البغوي: «وإنما أحب النبي ﷺ الفأل لأن فيه رجاء الخير والفائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير»^(١).

إن الداعية المتفائل أكثر الناس نشاطاً، وأعلاهم همة ورغبة، وأقواهم أثراً، يمتلك رؤية واضحة، يضع أهدافاً واضحة وبذلك يحقق ما يرجوه من انتشار الخير وهداية الناس، وسلوكهم الصراط المستقيم، يأخذ بالأسباب، ويعمل بجِد واجتهاد مهتدياً بقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»^(٢).

صاحب الأمل والتفاؤل مجدٌ ومِعطاء؛ فالمزارع؛ مثلاً: يرمي بذوره في الأرض وأمله كبير بأن هذه ستنتب بإذن الله تعالى؛ والطالب يدرس وفي نفسه أن هذا سبيل النجاح؛ والمجاهد يجاهد وفي نفسه أن الله سينصره. فكَذلك الداعية المتفائل يدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأمله في الله كبير بنجاح دعوته وثبوت أجره عند الله. وإذا مات الأمل في نفس المرء أصابها الذبول وآثرت السكون على الحركة وفي هذا فتكٌ بها، وإفسادٌ لطاقتها^(٣).

التفاؤل عنوان الإيجابية في حياة الداعية؛ فالداعية المتفائل مشرق النفس، عالي الهمة، مقتنص للفرص لا يدع فرصة سانحة للبذل والعطاء إلا اغتنمها وسارع إليها^(٤).

(١) شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ١٢، ص ١٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: اصطناع المال ٢٢٢، رقم الحديث ٤٧٩ (١/١٦٨).

(٣) الأمل وأثره في الأمة ص ٢٢، مرجع سابق.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

كما أن التفاؤل عنوان التجدد والتغيير؛ فالداعية المتفاؤل نفسه متوثبة لكل جديد، ساعية لكل تغيير يعود بالنفع عليه وعلى الدعوة، فففسه محلقة ومشركة، لا تستقر في مكان ولا تقف عند عقبة، تبحث عن التغيير للأفضل في كل مكان، نفسه تواقة كما قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «إن لي نفس تواقة»^(١).

وبالتفاؤل ينطلق الدعاة في ميادين الدعوة والجهاد بابتسامة أمل ونفسية عزيز دون أن يملكهم يأس أو يستحوذ عليهم القنوط..

إن رسوخ الأمل في قلب الداعية والتفاؤل الطيب بالمستقبل الزاهر هو الذي يحدوه للثبات والاستمرار في دعوته، والاستمرارية خير كما قال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»^(٢)، قال المناوي: «أدومها: أي أكثرها ثواباً، وأكثرها تتابعاً ومواظبة»، وذكر منافع العمل الدائم فقال: «لأن النفس تألفه فيدوم بسببه الإقبال على الحق، ولأن تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل» ثم قال: «وفيه فضيلة الدوام على العمل»^(٣)، ولقد خوطب عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٤)، فظل يدعو إلى الله ويبليغ رسالة الله حتى وهو على فراش الموت يوصي أمته كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٥)، ومن أوضح الصور

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق ١٨، باب: القصد والمداومة على العمل، برقم ٦٤٦٤، (٩٨/٨).

(٣) «فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ (١٦٥/١ - ١٦٦).

(٤) سورة الحجر، آية ٩٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، برقم ١٣٩٠، (١٠٢/٢).

الدالة على تفاؤله - عليه الصلاة والسلام - ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة، زوج النبي ﷺ، أنها قالت للنبي ﷺ: «هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَاسِلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجَبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجَبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

فالرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث، لم تقف جهوده ومحاولاته بعناد هؤلاء الآباء، ولكنه اطلع على من في أصلايهم وأحسن الظن بربه بأنه سيخرج من أصلايهم من يعبد وحده لا شريك له، فيجب على الداعية أن يتسلح بالأمل والتفاؤل مهما تأزم الموقف ومهما كثر الفساد ومهما حصل الصدود، فلا تزال الآمال قائمة، ولا تزال الأمة بخير، والمستقبل لهذا الدين وإن رغمت الأنوف، ولا تزال كلمة الحق هي العليا، فعلى الداعية أن يغذي قلبه بجرعاتٍ من الأمل ليواصل مشوار الدعوة إلى الله بلا تعبٍ ولا مللٍ وبدون فتور ولا كلل، فلا يقلق القلوب ولا يزعج الأرواح مثل اليأس والقنوط والفتور بسبب واقع الأحداث على الأمة، فالداعية لا ينبغي له أن يترك الدعوة بمجرد ضيقٍ مر عليه ولا لمجرد نازلةٍ حلت على الأمة، بل الداعية الموفق الناجح هو من يمضي قدماً بالعزيمة الصادقة والدعوة الهادفة والكلمة النيرة والقلب الذي يشع

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق ٥٩، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين، برقم ٣٢٣١، (٤/١١٥).

نوراً وأملاً وإشراقاً^(١).

ولنأخذ الدرس من قصة سيدنا يونس عليه السلام؛ عندما ضاق صدره بتكذيب قومه فأنذرهم بعذاب قريب وغادرهم مغضباً لأنهم كذبوه، وتوجه إلى شاطئ البحر، فركب سفينة مشحونة، فناوأها الرياح والأمواج، فقال الملاحون: عبدٌ أبق من سيده ولكي تنجو السفينة لا بد من إلقائه في الماء، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فألقوه في الماء، قال تعالى: ﴿فَالْقَمَّةَ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(٢)، فهو مُلام عندما تخلّى عن دعوة قومه وتركهم وخرج بغير إذن ربه، ولكن بسبب تسيّحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد^(٣)، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾^(٤) لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(٥).

ورده الله إلى قومه. قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٦) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ^(٧).

فكان هذا الدرس الربّاني الذي يجب على الدعاة أن يعوه جيداً وهو تكرار الدعوة مرات ومرات وإن لم يستجيبوا في الحال فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء^(٨). ولعلهم يستجيبون

(١) موقع ملتقى أهل الدعوة إلى الله، مقال للشيخ: وليد السعيدان، القاعدة الأربعون بعنوان: التفاؤل والأمل مطلب في العطاء والثبات والاستمرار. بتصرف.

(٢) سورة الصافات: آية ١٤٢.

(٣) تفسير السعدي: (٧٠٧/١).

(٤) سورة الصافات: الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) سورة فصلت: الآيتان: ١٤٧ - ١٤٨.

(٦) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر ٤٦، باب: تصريف الله تعالى للقلوب كيف يشاء، برقم ٢٦٥٤، (٢٠٤٥/٤).

في المرة التالية^(١)، لا بدّ للداعية إلى الله ﷻ من نفحة أمل تملأ قلبه، وتنير له طريقه. ولولا بصيص الأمل هذا ما كان له أن يمضي في دعوته هذه، بل ربما نكس رأسه، وداخله من اليأس شيء كثير، ولكن مقام الدعوة لا يَجْمُلُ فيه سوى الأمل، ولا يصحُّ فيه اليأس والقنوط^(٢).

إنّ الداعية المتفائل يكون ثابتاً في دعوته، راسخ القدمين، لا تزعزعه المضايقات، ولا يحطمه اليأس، لأنه واثقٌ من صحة طريقه، واثقٌ من بيان الحق وثواب الآخرة مع إخلاص النية وإصلاح العمل، مؤملٌ لإصلاح الخلق ولو بعد حين^(٣).



المطلب الثاني: آثار تفاؤل الداعية على المدعوين

مما تقدم تبين لنا أثر التفاؤل على الداعية من بث السعادة والرضا والفرح والاطمئنان والبشاشة في نفس الداعية، إنّ هذه الروح لا تقتصر على المتفائل فحسب ولكن تمتد لتعم المحيطين به؛ فالتفاؤل ينعكس على الغير، فمن يعمل مع إنسان متفائل فإن الشعور والإحساس بالتفاؤل ينتقل كالعدوى من هذا الشخص إلى من يعملون معه، فحينما يجالس المرء متفائلاً يحس بالبهجة والسرور بخلاف من يجالس المتشائم فإنه يحس

(١) الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة، ط٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) موقع بصائر، الأربعاء، ٢١ يناير ٢٠١٥ - ١ ربيع الأول ١٤٣٦هـ، www.alukah.net.

(٣) رسالة في الدعوة إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، ص ٢٦، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

بحبل يخنقه ويكتنم أنفاسه. والناس بطبيعتهم يفضلون صحبة المتفائل على المتشائم والداعية المتفائل يكون أكثر مرونة في العلاقات الاجتماعية وأكثر قدرة على التأقلم مع الوسط المحيط به؛ فهو يبشر المدعويين بالخير ويمد السامعين بعلو الهمة ويدفعهم إلى العلم، يطمئن القلوب المضطربة، يدخل عليهم السرور، يزرع فيهم الأمل يمسح عنهم غبار اليأس، فكما أنه لا بد أولاً من أن يتسلح الداعية بسلاح الأمل، كذلك لا بد للداعية من بث هذا الأمل في النفوس لتعود فتية تكبر على آلامها وذنوبها وتقصرها لتعود إلى الله تعالى، فالداعية المتفائل يؤثر على المدعويين؛ فإن كانوا عصاة مذنبين يبشرهم بأن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويذكرهم بسعة رحمة الله؛ قال تعالى: ﴿نَحْنُ عِبَادٌ آفٍ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، وبأن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وأن من استغفر غفر الله له وإن الله لا يطرده أحداً عن بابه، وأن خير الخطائين التوابون، وبهذا يفتح لهم باب الأمل، ويدفعهم إلى التوبة وتصحيح المسار وأن يكونوا من الصالحين بعد أن كانوا من الطالحين، هذا إن كان المدعوون من المسلمين العصاة أما إن كانوا من الكفار فالداعية المتفائل له أثره الكبير في دعوتهم للإسلام وتبشيرهم بأنهم إذا دخلوا في الإسلام وانتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٣)، وأن الإسلام يجب ما قبله، والحج أيضاً وكذلك الهجرة تجب ما قبلها، كما ورد في الحديث الصحيح، وأن ما عملوه من خير في الكفر فلهم أجره إذا أسلموا؛ كما ورد في الحديث: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلها ومحيت عنه كل سيئة كان أزلها ثم كان بعد ذلك القصاص

(١) سورة الحجر: آية: ٤٩.

(٢) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٣) سورة الأنفال: جزء من آية: ٣٨.

الحسنة بعشرة أمثالها^(١).

فكما أن الداعية المتفائل يبشّر العاصين من المسلمين برحمة الله وعفوه، ويبشّر الكفار إذا اعتنقوا الإسلام بأن الإسلام يهدم ما قبله فهو أيضاً يبشّر المستضعفين بالنصر والتمكين في الأرض، ويبشّر المريض بما يُكتب له من الحسنات ويكفّر عنه من السيئات ويرفع له من الدرجات إذا صبر واحتسب الأجر عند الله، ويبشّر أيضاً طالب العلم بالأجر الجزيل عند الله، مذكّراً له بالأحاديث الواردة في فضل طلب العلم، فيكون بذلك محفّزاً له على الطلب، ويبشّر الموحّدين بالجنة؛ كما ورد في الحديث قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرّة» فقال: بشّر أمتك من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة^(٢)، ويبشّر الخائفين الخاشعين بالمغفرة والوقاية؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنْ أَتْبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾^(٣)، ويبشّر الصابرين بنزول الرحمة عليهم؛ قال تعالى: ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٤) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ^(٥)، وأخيراً يبشّر أولياء الله بحسن الجزاء في العاجل والآجل؛ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ^(٧) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٨).

إذن تبين لنا مما سبق أن الداعية المتفائل يزرع التفاؤل والأمل في

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الإيمان وشرائعه ٤٧، باب: حسن إسلام المرء، برقم ٤٩٨٩، (١٠٥/٨)، وقال الألباني صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الزكاة ١٢، باب: الترغيب في الصدقة، (٦٨٨/٢).

(٣) سورة يس، آية: ١١.

(٤) سورة: البقرة الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

(٥) سورة: يونس، الآيات: ٦٢ - ٦٤.

نفوس الآخرين^(١).

إن الداعية المتفائل بهذه الروح الطيبة وهذا التأثير العظيم يكون قدوة لغيره من الناس؛ فينجذبوا له، ويقتدوا به ويحبونه، ويحبون تفاؤله، ويصبح مثلاً أعلى في نظرهم، فيقتنعون بما يدعو له ويتمسكون به. ويكون بذلك قد نجح في دعوته وأدى واجبه، فينبغي على الداعية التفاؤل والبذل الإيجابي الذي سيدعو الآخرين إلى أن يكونوا أيضاً متفائلين وإيجابيين معه وسعيدين بالنتائج ولو كانت قليلة. والعكس إنما يزرع الإحباط والتوقف^(٢).

إن تخلّق الداعية بالتفاؤل يدفعه إلى الحرص على المدعو أن يبقى ضالاً أو يموت على الفجور أو المعصية أو يُترك على بدعة، أو يهلك على الكفر؛ لأنه لم ييأس من توبته ورجوعه عن المعصية والفجور، فيستخدم كل الأساليب الدعوية لدعوته، وكله أملٌ باستجابة من دعاه، عاجلاً أم آجلاً: ﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾^(٣)، ﴿يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾^(٤)، هكذا كان تفاؤل الداعية إبراهيم عليه السلام، أثمر شفقة ورحمة بأبيه المدعو، وكما أنّ الداعية المتفائل حريصٌ على هداية وتوبة وأوبة المدعوين، فهو أيضاً يحب للمدعوين ما يحب لنفسه؛ فهو إذا كان على هدى، إذا كان على عبادة فهو يريد من المجتمع ومن الناس الآخرين أن يكونوا على هذه العبادة بل وعلى أحسن منها، كما أنّ التفاؤل يهون على الداعي ما يصيبه من أذى الناس أيضاً، فإنه إذا أصيب بالأذى ربما يترك الدعوة، لكن هو الراحم بالعباد وبالخلق الذين يدعوهم إلى الله يتحمل أذاهم ولسان حاله يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٥).

(١) موقع الشيخ المنجد بتصرف.

(٢) الاستشارات الدعوية، موقع أخوات طريق الإسلام.

(٣) سورة مريم، من آية ٤٤.

(٤) سورة مريم، من آية: ٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح ن كتاب احاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم ٣٤٧٧، ج ٤، ص ١٧٧.

إنّ الداعية المتفائل لا يحتقر العصاة؛ فيبادلونه الاحتقار أو يرفضون كلامه؛ فهو ينظر إليهم بعين الرحمة، على ما هم فيه من المعاصي، فيكلمهم بلسان الرحيم بهم المشفق عليهم وهذا من أسباب الاستجابة.

إن الداعية المتفائل يسمو بالروح المعنوية لدى المدعوين، ويرفعهم من هوة الماضي، كي لا يقيدهم بأغلاله، بل يطلق نفوسهم من عقال الشرك والضلال، كما فعل النبي ﷺ مع أهل مكة؛ فقد نهاهم عن التعبير بالماضي السيئ لمن حارب الإسلام وضاده، فيقول للمسلمين: «لا تسبوا عكرمة؛ لأنه قدم تائباً راغباً في الإسلام». قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وجمهور قريش لم يكن منهم أحد إلا وله أقارب كفار قتلوا أو ماتوا كفاراً، فهل كان في إسلامهم فضيحة؟ وقد أسلم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكانا من خيار المسلمين، وأبواهما قتلا ببدر، وكذلك الحارث بن هشام قتل أخوه يوم بدر، وفي الجملة الطعن بهذا طعن في عامة أهل الإيمان، وهل يحل لأحد أن يطعن على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن عمه أبا لهب كان شديد العداوة للنبي ﷺ، أو يعيره بكفر أبي طالب، أو يعير بذلك العباس؟ وهل مثل ذلك إلا كلام من ليس من المسلمين؟»^{(١)(٢)}.



(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م (٤٣/٤).

(٢) موقع الألوكة www.alukah.net، مراعاة أحوال المدعوين النفسية، هند بنت مصطفى شريف.

الفصل الثاني:

**مواقف للتفاؤل في حياة النبي ﷺ
والأنبياء والصحابة والتابعين
وما بعد عصر تابعي التابعين**

● وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التفاؤل في حياة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: التفاؤل في حياة الأنبياء.
- المبحث الثالث: التفاؤل في حياة الصحابة والتابعين وما بعد تابعي التابعين.

المبحث الأول:

التفاؤل في حياة النبي ﷺ

● وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفاؤل النبي ﷺ بهداية قومه وانتشار الدين وإتمامه والهجرة.

المطلب الثاني: تفاؤله ﷺ في الأزمات والغزوات.

المطلب الثالث: النبي ﷺ يعلم أصحابه التفاؤل.



المطلب الأول:

تفاؤل النبي ﷺ بهداية قومه
وانتشار الدين وإتمامه والهجرة

إن المتأمل في سيرة رسول الله ﷺ يجدها نبعا ثريا لكل الأخلاق الطيبة، والصفات النبيلة، وكيف لا تكون سيرة - نبينا وحبينا - ﷺ كذلك وقد اصطفاه الله على بني آدم، وختم به أنبياءه ورسله.. فما أحوجنا إلى اتباع هديه ﷺ في التفاؤل بل في حياته وأخلاقه كلها، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام متفائلاً في كل أحواله، لا سيما في الدعوة إلى الله. ولهذا التفاؤل صور متعددة في حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - فلنتعرف على بعض هذه الصور:

✽ أولاً: تفاؤله ﷺ وحرصه على هداية قومه:

كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على هداية قومه، فكان دائماً يدعو ربه أن يهديهم ويشرح صدورهم للإسلام، وليس أدل على ذلك من قول السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سألت النبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت! وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»^(٢). فبعد كل هذه المتاعب، والإيذاء الذي أصابه من أهل مكة وأهل ثقيف يدعو الله ﷻ أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله، فانظر كيف كان تفاؤله ﷺ وبعد نظرته؟! فلم يمنعه اليأس من الآباء الأمل في الأبناء.

فيا أيها الداعية خذ قدوتك من نبيك فكن متفائلاً بعيد النظر، وتوقع الخير ولو في أحلك الظروف. وقد مضت السنون، وظهرت بركة أهل الطائف في خدمة الإسلام والدعوة إلى دين التوحيد الخالص، وتحققت

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سبق تخريجه صفحة ٦٦.

فيهم رؤيته ﷺ المتفائلة، وأخرج الله تعالى من بينهم ومن أصلا بهم مَنْ يعبد به ولا يشرك به.

وها هي قصة أخرى تدل على تفاؤله وحرصه عليه الصلاة والسلام بدعوة عمه أبا طالب، يدعو متى؟ في شبابه؟ أو عنفوان رياسته؟ أو قوة وجهته؟ جاء يدعو بعد أن دعاه مئات المرات، يدعو في آخر لحظة عند تغرغر روحه، وحضور سكراته، وحلول ساعته، ويقول: «يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»^(١)، إنها دعوة منذ البداية إلى النهاية: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَكُنْتُ وَمَمَّاقٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك لله وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٢﴾^(٢)، أنت أيها الداعية مأمور أن تدعوهم من بدايتك حتى آخر لحظة في حياتك، ومأمور أن تدعوهم في عنفوان عصيانهم إلى آخر لحظة عند موتهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وخذ من هذه القصة الفائدة والعبرة واقتد وتأسّ بنبيك - عليه الصلاة والسلام - في تفاؤله وحرصه على هداية الخلق لا سيما أرحامه المقربين.

وإليكم القصة الثالثة - وغيرها كثير -، والتي تدل على تفاؤله ﷺ وحرصه على هداية قومه: فقد كان له جار يهودي، وعلم أن ولد جاره اليهودي قد احتضر، وأنه أوشك أن يناعز وأن تفارق روحه بدنه، فدخل عليه ﷺ زائراً داعياً، فقال لهذا الغلام اليهودي في آخر لحظة من لحظات عمره: «يا غلام! قل: لا إله إلا الله واشهد أنني رسول الله»، ففاضت عين الصبي بالدمع، ونظر إلى والده اليهودي، ففهم أبوه أن غلامه يسأله، فقال والده: أطع أبا القاسم، فقال ذلك الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقام النبي ﷺ يكبر ويتهلل وجهه، ويقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجنائز ٢٣، برقم ١٣٦٠، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، (٩٥/٢).

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز ٢٣، باب: إذا أسلم الصبي هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم ١٣٥٦، (٩٤/٢).

والى القصة الرابعة التي تدل على تفاؤله - ﷺ - وإيجابيته في دعوة قومه :

أحدهم أُقيم عليه حد الخمر، والصحابة الكرام في أثناء جلده لعنوه، قال ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١)، الصحابة لعنوه، لكن النبي رأى فيه إيجابية.

ورجل آخر دخل بستان أنصاري، وأكل من دون إذنه، ساقه الأنصاري إلى النبي ليسجنه سارقاً، فقال النبي الكريم: «هلا علمته إن كان جاهلاً؟ وهلا أطعمته إن كان جائعاً؟»^{(٢)(٣)}.

❁ ثانياً: تفاؤله ﷺ في الهجرة:

قد كانت الهجرة النبوية الشريفة فتحاً ونصراً وعزة وانطلاقة كبرى لنشر الدعوة الإسلامية، وإعزاز دين الله تبارك وتعالى. ولسوف تبقى دروس الهجرة مثلاً يحتذى لجميع الأجيال المسلمة في حسن الثقة والتفاؤل واليقين بنصر الله تعالى، وأن العزة دائماً لله ولرسوله وللمؤمنين.

نجدته ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا لم ينس مهمته ورسالته فكان يدعو إلى الله وهو في طريقه إلى المدينة؛ وذكر ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ: أن النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة لقي بريدة بن الحصيص بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، فدعاه إلى الإسلام، وقد غزا مع الرسول ﷺ ست عشرة غزوة وأصبح بريدة بعد ذلك من الدعاة إلى الإسلام وفتح الله لقومه

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب الحدود ٨٦، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، برقم ٦٧٨٠، (١٥٨/٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب: من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه، برقم ٢٢٩٨.

(٣) موقع الرسول محمد ﷺ. www.muhammad-pbuh.com.

أسلم على يديه أبواب الهداية، واندفعوا إلى الإسلام^(١).

وفي طريق الهجرة أسلم لَصَّان على يدي رسول الله ﷺ: كان في طريقه ﷺ بالقرب من المدينة لَصَّان من أسلم يقال لهما: المهانان، فقصدهم ﷺ وعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان، فقال: «بل المكرمان»، وأمرهما أن يقدموا عليه المدينة^(٢).

فانظر أيها الداعية مدى تفاؤله عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله واجعله لك قدوة فهو مهتم بأمر الدعوة إلى الله لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود، بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى..

وفي الغار يتضح لنا مدى تفاؤله عليه الصلاة والسلام باستشعار معية الله له وحسن ظنه وثقته به، كما جاء ذلك في صحيح مسلم أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»^(٣).

وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤)، وفي تفسير هذه الآية يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ

(١) انظر: الإصابة، (٤١٨/١)، مرجع سابق.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ص ٤٨٤.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ٤٤، باب: من فضائل أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، برقم ٢٣٨١، (٤/١٨٥٤).

(٤) سورة التوبة: آية: ٤٠.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ﴿لَصَحْبِهِ﴾ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا حَزَنَ وَاشْتَدَّ قَلْقَهُ، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بِعَوْنِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ.

فانظر أخي الداعية كيف كان تفاؤله ﷺ وهو في أحلك الظروف، فليكن لك فيه القدوة والأسوة.

وفي موقفٍ آخر يتضح لنا أبلغ صورة للتفاؤل عند النبي - عليه الصلاة والسلام - نجده ﷺ يبشّر سراقَةَ بن مالك بن جشعم الكناني^(١) بكنز عظيم سيناله، وأنه سيتحقق له ملك سوارى كسرى فقد ورد في القصة كما رواها أبو بكر - رضي الله عنه - حيث قال^(٢): «فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فَلَمَّا أَنْ دَنَا مِنَّا وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَيْدَ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أَبْكِي عَلَيْكَ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِمَا شِئْتَ» قَالَ: فَسَاحَتْ بِهِ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، فَوَثَبَ عَنْهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَنْجِيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَا أَعْمِيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقَ رَاجِعًا إِلَى أَصْحَابِهِ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ

(١) هو أبو سفيان المدلجي، كان فارساً من فرسان قومه، طويل القامة، عظيم الهامة، بصيراً باقتفاء الأثر، صبوراً على أهوال الطرق، أريباً لبيباً شاعراً يقيم في قديد بالقرب من مكة . وكان من الذين يتتبعون أثره ﷺ ليقتلوه أو يسلموه إلى قريش مقابل مئة ناقة ت ٢٤هـ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، - ١٤١٥هـ، (٣/٣٥).

(٢) انظر دلائل النبوة، البيهقي، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: ١، - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٢/٤٨٣).

حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا» قال له: «يا سراقه، كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟» أي: أنا سأصل سالماً وسأنشئ دولة، وسأنشئ جيشاً، وسأحارب أكبر دولتين، وسأنتصر عليهما، وسوف تأتيني غنائم كسرى، ويا سراقه، لك سوارى كسرى، وقد وصل إلى قمة التفاؤل والإيجابية، تفاؤله بإسلام سراقه الكنانى، وهو يبعثه على ترقب ساعة دخوله فى دين الإسلام الخاتم؛ دين الله الحق، وعن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقه بن مالك بن جعشم قال: فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز، فجعلهما فى يديه فبلغا منكبيه فلما رأهما فى يدي سراقه قال: الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز فى يد سراقه بن مالك بن جعشم أعرابى من بنى مدلج. وذكر الحديث.

قال الشافعى رحمه الله: وإنما ألبسهما سراقه لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقه ونظر إلى ذراعيه: «كأنى بك قد لبست سوارى كسرى». قال الشافعى: وقال عمر رضي الله عنه حين أعطاه سوارى كسرى البسهما، ففعل فقال: قل: الله أكبر. قال: الله أكبر. قال: قل: الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقه بن جعشم أعرابياً من بنى مدلج.

هذا هو الإيمان، الإيمان أن تثق بالله، لأن الله عز وجل لا يتخلى عن عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) ^(١).

فكن أخى الداعية على يقين بأن جهدك الضخم، بحة صوتك، سهرك الطويل، مجافاتك للفراش، هذا الجهد سيكلل - إن شاء الله - بالنجاح.



(١) سورة آل عمران: آية: ١٣٩.

المطلب الثاني: تفاؤله ﷺ في الأزمات والغزوات

لقد تجلّى لنا مما سبق تفاؤل النبي عليه الصلاة والسلام في كل أحواله؛ لاسيما وقت اشتداد الأزمات، فإن التفاؤل في ظل الأزمة وفي قلب الغمة هو من الإيمان، وهو من التوكل على الله والثقة بوعده. وفي جهاده وغزواته ضد المشركين والتي تعتبر من أشد المواقف حاجة للتفاؤل بالنصر على الأعداء وإعلاء كلمة الله ونشر دين الله. وإليك نماذج من صور هذا التفاؤل:

✽ أولاً: تفاؤله ﷺ بقلب رداءه بعد خطبة الاستسقاء:

كان النبي ﷺ إذا استسقى بالناس قلب رداءه بعد الخطبة، ثم حوّل إلى الناس ظهره، تفاؤلاً بتحول حال الجذب إلى الخصب.

✽ ثانياً: تفاؤله ﷺ في غزوة بدر الكبرى:

وفي غزوة بدر سنة ٢هـ حينما بلغ النبي ﷺ نجاةُ القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي - ﷺ - استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر، وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم، وقد صور القرآن الكريم، موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عموماً في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝﴾ (١) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ (١)، وأيد

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٥ - ٨.

المهاجرون فكرة التقدم لملاقاة العدو، وكان للمقداد بن الأسود موقفٌ متميزٌ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: إِذَا لَا نَقُولُ لَكَ يَا رَسُولَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، قَالَ: فَتَمَنَيْنَا مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ أَنَّا قُلْنَا مِثْلَ مَا قَالَ الْمُقَدَّادُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَالٌ عَظِيمٌ وَلَكِنْ نَقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ، فَرَأَيْتَ الرَّسُولَ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسُرَّهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ»، وَكَانَ إِنَّمَا يَقْصِدُ الْأَنْصَارَ؛ لِأَنَّهُمْ غَالِبِيَّةُ جُنْدِهِ، وَلِأَنَّ بَيْعَةَ الْعُقْبَةَ الثَّانِيَةَ لَمْ تَكُنْ فِي ظَاهِرِهَا مُلْزِمَةً لَهُمْ بِحِمَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الصَّحَابِيُّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، وَهُوَ حَامِلٌ لَوَاءِ الْأَنْصَارِ، مَقْصِدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَنَهَضَ قَائِلًا: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «أَجَلٌ». قَالَ: «لَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدُنَا وَمَوَاقِفُنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُونَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صَدَقَ عِنْدَ الْلِقَاءِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ»، سَرَّ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَقَالَةِ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، وَنَشِطَهُ ذَلِكَ فَقَالَ ﷺ: «سِيرُوا وَأَبْشُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»^(١). مَا أَعْظَمَ الْقَائِدَ الصَّامِدَ الْمَبْشُرَ! وَمَا أَكْرَمَهُ هُوَ بَيْتُ رُوحِ الثِّقَةِ فِي جُنْدِهِ، وَيَنْشُرُ رُوحَ التَّفَاؤُلِ فِي جَيْشِهِ، وَيَصُبُّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ فِي الْقُلُوبِ، كَالْمَطَرِ الْهَاطِلِ عَلَى السِّيُولِ، فَيَذْكُرُهُمْ بِبَشَارَةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَجَنَّةِ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْمَجَاهِدُونَ أَعْظَمُ الْأَوْلِيَاءِ، رَفَقَاءُ الرِّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْبِي أَصْحَابَهُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، (٢٦٢/٣)، بإسناد صحيح، المسند ج ٥ ص ٢٥٩، رقم ٨٣٦٩.

أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشَّم الرواسي، فيملاً قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء.

❁ ثالثاً: تفاؤله - عليه الصلاة والسلام - في غزوة الخندق:

وفي غزوة الخندق سنة ٥هـ حينما عمل المسلمون في الخندق مجتهدين، ونكص المنافقون، وجعلوا يتسللون لَوَاذًا* فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحاق وغيره. وَكَانَ مِنْ فَرَحٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حِصَّتِهِ عَادَ إِلَى غَيْرِهِ فَأَعَانَهُ حَتَّى كَمَلَ الْخَنْدَقُ. صَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ تَصْوِيرًا بَدِيعًا، يشرح بواطنهم وهم مُحَاصِرُونَ فِي الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ، تُحِيطُ بِهِمْ جِيُوشُ الْكُفَّارِ الْمَجِيشَةِ، وَيَتَنَابَهُمُ الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالتَّعَبُ؛ ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ (١).

كان الصحابة بشرًا لهم إحساس وشعور مثل كل الناس، أحاطت بهم المحنة، فأثرت فيهم أيما تأثير، وحركت قلوبهم وزلزلتهم نفسيًا، حتى كاد اليأس يُسيطر عليهم، لكنهم ثبتوا وقاوموا عوامل القنوط والهزيمة النفسية التي تلازمه، فجاءهم النصر من حيث لم يحتسبوا: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوْتًا عَزِيزًا﴾ (٢٥) (٢).

وَكَانَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَعَلَامَاتٌ لِلنَّبَوَاتِ مَذْكُورَاتٍ عِنْدَ أَهْلِ السَّيْرِ

(*) لَوَاذًا: أي مستخفين ومستترين بعضهم ببعض وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى تَعَلُّقِهِمْ بِالْأَعْدَاءِ. انظر الحاشية تفسير القرطبي (١/١٢٩)، وانظر حاشية الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط: ٢، ١٤٠٣هـ، (١/١٧٠).

(١) سورة الأحزاب، الآيتين: ١٠ - ١١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٥.

والآثار، وَمِنْهَا أَنْ كَدِيَّةٌ (*) اعتاصت على المسلمين، فدعوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا، فضربها بالفأس ضَرْبَةً طَارَ مِنْهَا الشَّرَارُ وَقَطَعَ مِنْهَا الثُّلُثُ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ فُتِحَ قَيْصَرٌ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى الْقُصُورَ الْحُمْرَ». ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ مِنْهَا الثُّلُثَ الثَّانِي، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ فُتِحَ كِسْرَى، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى الْقُصُورَ الْبَيْضَ». ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَطَعَ الثُّلُثَ الْبَاقِي، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ فُتِحَ الْيَمَنُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى بَابَ صَنْعَاءَ» وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَصَدَّقَ وَعْدَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهَمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي زَمَنِ عُمَرَ، وَزَمَنِ عُثْمَانَ، وَمَا بَعْدَهُ: افْتَتَحُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ فَوَ الَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ - بِيَدِهِ، مَا افْتَتَحَ تَمَّ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتِحُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدًا ﷺ مَفَاتِحَهَا» (١).

❁ رابعاً: تفاؤله ﷺ في صلح الحديبية:

وفي صلح الحديبية في آخر سنة ست للهجرة، وبعد قبوله ﷺ بشروط الصلح المجحفة واعتراض بعض الصحابة عليها، (حتى قال عمر رضي الله عنه: نعطي الدنيا) عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ قَالَ: «بَلَى» قَالَ:

(*) الكدية: الحجر الضخم الصلب. انظر حاشية الدرر في اختصار المغازي والسير، (١٧٠/١) المرجع السابق.

(١) انظر دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ (٤١٨/٣).

أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضِيعَنِي اللَّهُ أَبَدًا قَالَ: فَأَنْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضِيعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ فَتَحَ هُوَ قَالَ: «نَعَمْ فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ»^{(١)(٢)}.

تأمل يا رعاك الله إلى قوله ﷺ: «إني رسول الله ولن يضيعني أبداً»، وليكن هو قدوتك وأسوتك.



المطلب الثالث: النبي ﷺ يعلم أصحابه التفاؤل

كان النبي ﷺ يبت في نفوس صحابته رضوان الله عليهم روح التفاؤل والجد والإقدام حتى في أحرَج الظروف وأشدّها وأقساها حتى يستمروا في الثبات على الدين والانتشار به هاهنا وهاهنا، دون يأس يُقْعدهم، ودون تشاؤم

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجزية ٥٨، لم يسم الباب، برقم ٣١٨٢، (١٠٣/٤)، وأخرجه أيضاً مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير ٣٢، برقم ١٧٨٥، باب: صلح الحديبية في الحديبية، (١٤١١/٣).

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤، ص ٢٨٤، مرجع سابق.

يصدّهم عن تبليغ دعوة ربهم، ويتجلى هذا الأمر في صورٍ كثيرةٍ منها ما يلي:

١ - عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ، فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا، فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيَمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ، لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

إنه جواب المتفائل الواثق المطمئن إلى ربه رجلٌ مجلودٌ الظهر، كثير الهم يأتي قائه ليدعو له، فيوقد النبي في نفسه شعلة الأمل والتفاؤل، فيبين له أن ما أصابهم من أذى وعذاب أقل مما أصاب مَنْ قبلهم من المؤمنين، وقد صبروا هم، فلتصبروا أنتم، وبشّره بأن الله سيظهر هذا الدين تدينٌ به العباد، وتُفتح به البلاد حتى يبلغ الأراضى الوعرة في أقصى جزيرة العرب، التي لا يأمنُ فيها المرء على نفسه، ولا على غنمه من قاطع طريق أو غيره، حتى يسودها الأمن، فيأمن المرء على نفسه وغنمه من بني آدم، فهي يومئذٍ أرض إسلام، فلا سلبَ فيها ولا قطع للطريق، ولا إخافة. وحتى يقتلع جذور استعجال الثمرة قال له: «ولكنكم تستعجلون»؛ إذ لا بد لمرحلة الرخاء من مقدمات شدة، ولا بد لطلوع الفجر من ظلام يحفُّ به، ولا بد للنصر من تبعات؛ جلد الظهر، وسفك الدماء، وترك المطعم الهنيء، وهكذا. ولا يريد رسول الله لصحابته استعجال الثمار، فإن أخطر ما يواجهه العامل أن يستعجل ثمرة عمله فيفسد هذا العمل بهذا الاستعجال، ولا يريد رسول الله لمن تصدى لرد الشاردين

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب المناقب ٦١، باب: علامات النبوة في

إلى الله أن يستعجل الثمار، فإن هذا مفسدٌ للأعمال، مُذهبٌ للنتائج، موغرٌ للصدور، صاُدٌّ عن سبيل الله. ولعل ما يصيب المسلمين في هذه الأيام نابع في كثير من حيثياته من استعجال الثمار، ولنتذكر هنا مقولة الفقهاء: «مَنْ تَعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ أَوَانِهِ عُوقِبَ بِحَرَمَانِهِ».

بهذا الحديث العظيم أراد النبي زرعَ الأمل في نفس خباب أولاً، والأمة ثانياً؛ لكنه يريد الأمل الواقِعَ وَثِيْدَ الخطى، ولا يريد الأمل الذي يستعجل به الثمار، وتفسد به الجهود^(١).

٢ - عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي! هل رأيت الحيرة؟»، قلت: لم أرها، وقد أنبت عنها، فقال: «إن طالت بك حياة لترين الظعينة - المرأة - ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلتُ في نفسي: فأين دَعَار طيئ - قطاع الطريق - الذين سعروا في البلاد؟!، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز!!، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه».

قال عدي: «فرايتُ الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه»^(٢).

٣ - موقف النبي - ﷺ - مع آل ياسر وهم في أشدِّ المواقف تعذيباً، فقد كان يمر عليهم ويعطيهم الأمل في النعيم المقيم الخالد، وأن ما عند الله خير وأبقى، روى ابنُ إسحاق ذلك فقال: وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ

(١) انظر الأمل وأثره في الأمة ص ٣٥ مرجع سابق.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المناقب ٦١، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث ٣٥٩٥، (٤/١٩٧).

يَخْرُجُونَ بَعْمَارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَيِّهِ وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ إِذَا حَمِيتِ الظَّهِيرَةُ يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ، فِيمَا بَلَغَنِي: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مُوَعِدُكُمْ الْجَنَّةَ»^(١).

ولقد آتت هذه الكلمة أكلها وثمارها وأورقت، فكان من ثمارها استشهاد سمية أم عمار، وياسر أبي عمار، في سبيل الله ﷻ. وابنه عمار بن ياسر رجلٌ مصابر مجاهد حتى يلقي ربه سبحانه وتعالى. أرايت كيف أثمر الأمل وأورق؟^(٢).

٤ - وعندما رأى أحد الصحابة وقد أصابه الحزن والهموم وتراكت عليه الديون، فعلمه كلاماً يقوله، كما ورد في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ «يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ». قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ». قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي»^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٣/٣١٨ - ٣١٩)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً البيهقي في الدلائل، (٢/٢٨٢). وانظر السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين المتوفى: ٢١٣هـ تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م (١/٣١٩).

(٢) انظر الأمل وأثره في الأمة ص ٣٣ مرجع سابق.

(٣) أخرجه أبي داود، كتاب الصلاة، باب: من الاستعاذة، برقم ١٥٥٥، (٢/٩٣)، وقال الألباني: ضعيف.

٥ - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك يا معاذ - إن طالت بك حياة - أن ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً»^(١).

٦ - وحين يمرض بعض الأعراب فيعوده ﷺ قائلاً: «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال: كلاً، بل حُمى تفور، على شيخ كبير، كيما تُزيره القُبور، قال النبي ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا»^(٢)..

وجاء في السنن عن أم العلاء رضي الله عنها قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياها كما تذهب النار خبث الذهب والفضة».

٧ - وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتفأل بالأسماء الحسنة ويحبها؛ لذلك أمرنا بتحسين أسمائنا وأسماء أبنائنا لأن في تحسينها مدعاة للتفاؤل والاستبشار، عن عبد الله بن بُريدةَ عن أبيه: «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةٌ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ بِهَا وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةٌ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»^(٣). عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَكَانَ يَحِبُّ الْإِسْمَ الْحَسَنَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الفضائل ٤٣، باب: في معجزات النبي ﷺ (١٧٨٤/٤)، برقم ٧٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المرضى ٧٥، باب: ما يُقال للمريض وما يُجيب، برقم ٥٦٦٢، (١١٨/٧).

(٣) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الطب ٢٧، رقم الحديث ٣٩٢٠، باب: في الطيرة، (١٩/٤)، وصححه الألباني في الصحيحة ص ٧٦٢، وفي مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، (٣٤٨/٥)، وروى الإمام أحمد في (مسنده) بسند حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، كتاب الطيرة (التشاؤم)، باب: ذم الطيرة ومدح الفأل، برقم ٢٣٢٨، (٤٠٥/٤).

عن بريدة رضي الله عنه قال: «ولما شارف رسول الله ﷺ المدينة لقيه أبو عبدالله بريدة بن الحصيب الأسلمي في سبعين من قومه من بني سهم، فقال نبي الله ﷺ: «من أنت؟» قال: بريدة، فقال لأبي بكر: «برد أمرنا وصلح». ثم قال: «ممن؟» قال: «من أسلم». فقال لأبي بكر: «سلمنا». ثم قال: «من بني من؟» قال: من بني سهم. قال: «خرج سهمك يا أبا بكر». فقال بريدة للنبي ﷺ: من أنت؟ قال: «أنا محمد بن عبدالله رسول الله». فقال بريدة: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً. قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين، فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ: «يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء». فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة»^(١).

ولا يقتصر تفاؤله - عليه الصلاة والسلام - بالأسماء الحسنة والأمر باختيار الاسم الحسن فحسب - ولكنه كان يغير الاسم إذا لم يكن حسناً، أو إذا أوهم معنى يدعو إلى التشاؤم؛ فقد ورد أن أم المؤمنين السيدة عائشة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنه أخبرت بأن النبي الأكرم ﷺ مرّ بأرض تُسمّى غدره فسمّاها خضرة، وهو بذلك يعلم الأمة منهج التحول السلوكي نحو الإيجابية ومحاكاة التفكير البشري بما يستجلب له السعادة؛ لصرفه عن الأنماط السائدة في السلبية، وكان ذلك منه ﷺ؛ لئلا ينزلها نازل واسمها عنده غدره فيتطير بذلك؛ فحول عليه الصلاة والسلام اسمها إلى خضرة ليعالج بالألفاظ ومعانيها الحسنة كل ما يصيب الإنسان أو يتوهم هم، وسواء في ذلك أسماء الأفراد أو الأماكن أو الأشياء عموماً، ولا سيما

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٢٢١. ومنه أيضاً على مستوى السلوك الفعلي: إعجابه ﷺ بالتيمن ما استطاع، ولا سيما في ترجله ووضوئه عليه الصلاة والسلام. أخرج ذلك البخاري في صحيحه، باب: الترجيل والتيمن (٥٨/٥)، برقم ١٥٥٨٢ و٥٩٢٦.

التي قد يتأثر البعض من ذكرها أو سماع اسمها^(١).

ومن الذين غيّر رسول الله ﷺ أسماءهم هشام بن عامر؛ من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ذكر رسول الله ﷺ رجلاً يقال له: شهاب - والشهاب كما في القاموس المحيط شعلة من نار ساطعة -، فقال رسول الله ﷺ: «بل أنت هشام»^(٢).

قال ابن عمر: «إن ابنة لعمر كانت تسمى عاصية فسمّاها رسول الله ﷺ جميلة»^(٣). وتسمّى رجل بحزن أي: صعب - فسمّاه الرسول ﷺ (سهل). كما ورد أن رجلاً كان يقال له: أصرم كان في نفر الذين أتوا رسول الله ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟»، قال: أنا أصرم، قال: «بل أنت زُرْعَة»^(٤)، وقال عبدالله بن الحارث بن أبزى: حدثني رائلة بنت مسلم عن أبيها قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حُنيئاً فقال لي: «ما اسمك؟» قلت: غراب، قال: «لا، بل مسلم». وغير رسول الله ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وشهاب، وحباب فسمّاه: هاشمًا، وسمى حربًا سلمًا، وسمى المضطجع المنبعث. كما غيّر ﷺ في أسماء المواضع،، وشعب الضلالة سمّاه شعب الهدى. وغير في أسماء بعض القبائل فبنو الزينة سمّاهم بني الرشدة، وسمّى بني مغوية بني رشدة^(٥).

(١) انظر شرح مشكل الآثار، الطحاوي، باب: بيان مشكل ما روي عن رسول الله أنه كان يعجبه الفأل الحسن، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م (١٠٤/٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٨٢٥ باب: شهاب، (٢٨٧/٥).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، برقم الحديث ٣٩٨٦، كتاب الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما.

(٤) أخرجه أبي داود في سننه، باب: في تغيير الاسم القبيح، برقم ٤٩٥٤، (٢٨٨/٤)، وصححه الألباني.

(٥) انظر تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، ص ١٢٠ - ١٢١ - ١٣٠ - ١٣١. موقع نبي الرحمة.

وكذلك غير الأسماء التي لها معان تكرهها النفوس ولا تلائمها كحرب ومرة وكتب وحية وأشباهها، فقد ذكر مالك في موطئه أن رسول الله ﷺ قال: «من يحلب هذه؟» فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك» قال الرجل مرة فقال له: «اجلس» ثم قال: «من يحلب هذه؟» فقام رجل آخر، فقال له: «ما اسمك؟» قال: حرب فقال له: «اجلس» ثم قال: «من يحلب هذه؟» فقام رجل فقال: أنا قال: «ما اسمك؟» قال: يعيش، فقال له رسول الله ﷺ: «احلب»^(١)، فكره مباشرة المسمى بالاسم المكروه لحلب الشاة وقد كان النبي ﷺ يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه جداً من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال حتى أنه مر في مسير له بين جبلين فسأل عن اسمهما ف قيل له: فاضح ومخز فعدل عنهما ولم يمر بينهما، ولما جاء إلى المدينة وقد سموها يثرب - ولا يخفى ما يحمله هذا الاسم من إحياءات سلبية - فغير النبي - عليه الصلاة والسلام - هذا الاسم وسماها طيبة أو طابة، من الطيب والخير. وكان ﷺ شديد الاعتناء بذلك ومن تأمل السنة وجد معاني في الأسماء مرتبطة بها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكان الأسماء مشتقة من معانيها فتأمل قوله ﷺ: «أسلم سألها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله»، حديث سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال: أتيت إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك» قلت: حزن، فقال: «أنت سهل» قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي قال ابن المسيب: فما زالت تلك الحزونة(*) فينا بعد^(٢).

(١) ذكره مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب: الاستئذان والصور والتماثيل، ما يكره من الأسماء، (٧٤١/١).

(*) (باب اسم الحزن) بفتح المهملة وسكون الزاي: ما غلظ من الأرض، وهو ضد السهل، واستعمل في الخلق يقال: في فلان حزونة أي: في خلقه غلظة وقساوة. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩، (٥٧٤/١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: اسم الحزن، برقم ٥٨٣٧، ج ٤.

٨ - كان محمد (ﷺ) يتفأل بالرؤيا الحسنة، فحين يرى الرؤيا يستنتج من قرائنها ما يتوقع منه خيراً في حياته. فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأننا في دار عقبة بن رافع، فأتيننا برطبٍ من رطب ابن طاب» (*) فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب»^(١)، ولا يسلم الإنسان من أن يرى في منامه ما قد يسره أو يسوؤه، فيوجه محمد (ﷺ) إلى التعامل الإيجابي مع الرؤيا التي يراها المرء في منامه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «الرؤيا ثلاث: فبشرى من الله، وحديث النفس، وتخويف من الشيطان؛ فإن رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصّ إن شاء، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصّه على أحدٍ، وليُقمِ يصلي»^(٢)..

لقد كان محمد (ﷺ) يتعامل مع الرؤيا تعاملًا معتدلاً، فهو لا يعطيها أكبر من حجمها، ولا تتحول إلى دستور يوجه حياته ويصرفها. إنه يتفأل بما يراه فيها من خير، لكنه في الوقت نفسه لا يقف عند مجرد التفاؤل النفسي، بل يتجه منه إلى العمل. في غزوة أحد رأى محمد (ﷺ) رؤيا فقصّها على أصحابه، وتفاءل بها خيراً. فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «رأيت كأنني في درع حصينة، ورأيت بقراً منحرّة، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير». فقال: لأصحابه: «لو أننا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم». فقالوا: يا رسول الله! والله ما دُخلَ علينا فيها في الجاهلية، فكيف يُدخَلُ علينا

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الرؤيا ٤٢، باب: رؤيا النبي (ﷺ)، برقم ٢٢٧٠، (١٧٧٩/٤).

(*) (رطب ابن طاب) هو نوع من الرطب معروف يقال له: رطب ابن طاب وتمر ابن طاب وعذق ابن طاب وعرجون ابن طاب وهو مضاف إلى ابن طاب رجل من أهل المدينة (وأن ديننا قد طاب) أي: كمل واستقرت أحكامه وتمهدت قواعده. انظر: شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، دار الخير، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، حاشية رقم ١.

(٢) أخرجه أبي داود في السنن، كتاب تعبیر الرؤى، ٣٥، برقم ٣٩٠٦، باب: الرؤية ثلاث (١٢٨٥/٢)، وصححه الألباني دون قوله فإذا رأى.

فيها في الإسلام؟ فقال: «شأنكم إذا» فلبس لأُمَّتَهُ. فقالت الأنصار: ردنا على رسول الله (ﷺ) رأيته؛ فجاءوا فقالوا: يا نبي الله! شأنك إذا. فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأُمَّتَهُ أن يضعها حتى يقاتل»^(١)، لقد تفاعل محمد (ﷺ) بهذه الرؤيا فقال: «والله خير»، لكنه في الوقت نفسه تعامل مع الموقف بما يقتضيه، فعرض الأمر على أصحابه واستشارهم، وأخذ برأي الأغلبية، رغم أن رأيته بخلاف ذلك، واستعدَّ للموقف بما يتلاءم معه فلبس سلاحه وأخذ أهْبَتَهُ.

فهو ﷺ من تلك المواقف كلها يريد أن يبعد عن نفوس أصحابه؛ بل عن نفوس المسلمين جميعهم روح التشاؤم والاستسلام والخنوع، واستبدال تلك الروح بروح المتفائل الواثق بنصر الله.

لقد تبين لنا مما سبق كيف أن التفاؤل كان خلقاً من أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام متصفاً به في كل أحواله وأفعاله لا سيما وقت اشتداد الأزمات. فحري بك أيها الداعية ان تتأسي به؛ فهو إمام الدعاة، وسيد المرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب: مسند جابر بن عبد الله، (٩٩/٢٣) رقم الحديث ١٤٧٨٧، وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (٦٦/٣ - ٦٨).

المبحث الثاني:

التفأول في حياة الأنبياء

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التفأول في حياة أنبياء الله نوح وإبراهيم عليهما السلام.

المطلب الثاني: التفأول في حياة أنبياء الله يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام.



**المطلب الأول: التفأول في حياة
أنبياء الله نوح وإبراهيم عليهما السلام**

إن الله سبحانه وتعالى قد قص علينا في القرآن الكريم أخباراً كثيرة، للاعتبار بما جاء فيها، والاستفادة من القصص الواردة فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

ومن أهم وأبرز القصص القرآني: قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن فيها المنهج الذي يجب أن تسير عليه الأمة، وتهتدي بهديه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، ففيها الدروس والعبر الكثيرة التي يستفيد منها السائرون في الدعوة إلى الله تعالى، إذ أن الأنبياء هم الصفوة من الخلق الذين اختارهم الله تعالى لتبليغ رسالته، وعصمهم من الوقوع في الخطأ، وترفعوا عن الأهواء، واهتدوا بهدي الله، واستناروا بنور الله تعالى^(٣).

ومن أهم وأبرز الأخلاق التي تحلّى بها هؤلاء الأنبياء عليهم السلام في مسيرتهم الدعوية - خلق التفاؤل - وهو الذي جعلهم بتوفيق الله يواصلون دعوة أقوامهم إلى الله دون كللٍ أو مللٍ أو يأسٍ أو ضيقٍ، بالرغم مما كانوا يلاقونه من نفورٍ واعتراضٍ وأذى أقوامهم - أملاً في هدايتهم في مقتبل الأيام؛ فالأمل هو الدافع للإنسان إلى العمل، ولولا الأمل لصعب على الداعية مواصلة الدعوة إلى الله ولتملك اليأس قلبه؛ فهو أعظم خلق يتخلّق به الداعية في مسيرة الدعوة إلى الله.

وإليك أخي الداعية نماذج من أولئك الأنبياء المتفائلين؛ لتحذو حذوهم وتسير في ركبهم، وتتخلّق بهذا الخلق العظيم.

❁ أولاً: تفاؤل نبي الله نوح عليه السلام:

قصة نوح عليه السلام من أكثر القصص التي وردت في القرآن الكريم وفي

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام، ص ١، صالح يحيى صواب الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب - جامعة صنعاء، بحث محكم، منشور في مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، العدد (٢٦) عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

سور كثيرة؛ وذلك لأنه ﷺ أول الرسل وهو من أولي العزم منهم، وقد نص الله على اصطفائه ﷺ على العالمين، إضافة إلى آدم وآل إبراهيم وآل عمران، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١) (٢).

وهم يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته وكمال أخلاقه، فقال: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٣)، يقول صاحب الظلال عن قصة نوح ﷺ: «تعرض صورة من صور الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل - صلوات الله عليهم - لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجامحة. وهم لا مصلحة لهم في القضية ولا أجر يتقاضونه من المهتدين على الهداية، ولا مكافأة ولا جعل يحصلونه على حصول الإيمان! كالمكافأة أو النفقة التي تتقاضاها المدارس والجامعات والمعاهد والمعلمون، في زماننا هذا وفي كل زمان في صورة نفقات للتعليم، وإن الإنسان ليأخذه الدهش والعجب، كما تغمره الروعة والخشوع، وهو يستعرض - بهذه المناسبة - ذلك الجهد الموصول من الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - لهداية البشرية الضالة المعاندة. ويتدبر إرادة الله المستقرة على إرسال هؤلاء الرسل واحداً بعد واحد لهذه البشرية المعرضة العنيدة!» (٤).

ظل نوح ﷺ يدعو قومه إلى الإيمان بالله تعالى تسعمائة وخمسين عاماً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥)، يقول ابن عاشور: «وَفَائِدَةُ ذِكْرِ هَذِهِ الْمُدَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ مُصَابِرَتِهِ عَلَى أَدَى قَوْمِهِ وَدَوَامِهِ

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) معالم الدعوة في سورة نوح ﷺ، ص ١ مرجع سابق.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦/٣٧٠٦ - ٣٧٠٧) مرجع سابق.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ١٤.

ودعاهم أيضاً سرّاً وجهاراً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ (٤)، ويقول ابن عاشور أيضاً: «فإنه تَوَخَّى مَا يَظُنُّهُ أَوْغَلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ صِفَاتِ الدَّعْوَةِ، فَجَهَرَ حِينَ يَكُونُ الْجَهْرُ أَجْدَى مِثْلَ مَجَامِعِ الْعَامَّةِ، وَأَسَرَ لِلَّذِينَ يَظُنُّهُمْ مُتَجَنِّبِينَ لَوْمْ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ فِي التَّصَدِّي لِسَمَاعِ دَعْوَتِهِ وَأَكْدَ إِسْرَارِ الدَّعْوَةِ؛ أَنْ الْإِسْرَارَ بِالدَّعْوَةِ كَانَ فِي حَالِ دَعْوَتِهِ سَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَمْتَعِضُونَ مِنْ إِعْلَانِ دَعْوَتِهِمْ بِمَسْمَعٍ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ» (٥).

واستعمل نوح عليه السلام أيضاً أسلوب الترغيب؛ فقد رغب قومه في مغفرة الله ﷻ وعفوه عنهم إن هم استجابوا له وعبدوا الله سبحانه، قال سبحانه: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿٦﴾﴾.

(١) انظر التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - ١٩٨٤ هـ - تونس، (٢٠/٢٢٢).

(۲) سورة نوح، آية: ۵.

(٣) التحرير والتنوير، (٢٩/١٩٤).

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٥) انظر التحرير والتنوير، (٢٩/١٧٩).

(٦) سورة نوح، الآيات: ٢ - ٤.

ولا شك أن مغفرة الذنوب ودخول الجنة هو الفوز العظيم، كما وصفه الله تعالى، في قوله سبحانه: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)، وكما قال سبحانه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

وكما رغبهم في خير الآخرة بمغفرة الذنوب ودخول الجنة، إن هم آمنوا واستجابوا، رغبهم أيضاً بتحصيل المنافع العاجلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾^(٣)، يقول الرازي: «وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي وَعَدَهُمْ مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَمْسَةٌ؛ أَوَّلُهَا: قَوْلُهُ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، وَثَانِيهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ وَهَذَا لَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمَالِ بَلْ يَعْمُ الْكُلَّ، وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَبَنِينَ﴾ وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَمِيلُ الطَّبْعُ إِلَيْهِ، وَرَابِعُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ أَيِ بَسَاتِينٍ، وَخَامِسُهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾»^(٤).

وفي مقابل الترغيب، استخدم نوح عليه السلام أسلوب التهيب، ولذلك توعد الله تعالى الكفار من قوم نوح بالعذاب الأليم والعظيم، فقال سبحانه: ﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

(١) سورة غافر، آية: ٩.

(٢) سورة الصف، آية: ١٢.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١١ - ١٢.

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (٦٥٢/٣٠)، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٥) سورة نوح، من آية: ١.

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾^(٢).

كما استخدم معهم أسلوب العتاب والتوبيخ، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾^(٣)، يقول سيد قطب في هذه الآية: «ونمضي مع نوح في جهاده النبيل الطويل، فنجده يأخذ بقومه إلى آيات الله في أنفسهم، وفي الكون من حولهم، وهو يعجب من استهتارهم وسوء أدبهم مع الله، وينكر عليهم ذلك الاستهتار»^(٤).

ومن الأساليب التي استخدمها نبي الله نوح عليه السلام في دعوة قومه: إبراز الآيات الدالة على ربوبية الله تعالى ووحدانيته، وذلك بلفت أنظار قومه إلى آيات الله الكثيرة في الأنفس والكون، وبدء خلق الإنسان ونهايته وبسط الأرض، وفي ذلك دلالة على ربوبية الله تعالى ووحدانيته، وفيه دليل على البعث وإمكانية، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾^(٥).

مما سبق اتضح لنا أن نوح عليه السلام أدى ما أمره الله به من تبليغ دعوة الله تعالى إلى قومه، بشتى الأساليب والوسائل ولكنه في المقابل لم يجد من قومه إلا الإعراض والنفور والعناد والإصرار على التكذيب، فرفع شكواه إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّا يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٢) سورة هود، الآيات: ٢٥، ٢٦.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٤) في ظلال القرآن، (٣٧١٣/٦) مرجع سابق.

(٥) سورة نوح، الآيتان ١٤ - ١٩.

إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾^(١)، وهكذا حال المؤمن حين تضيق عليه الأمور يشتكي إلى الله ﷻ، فأوحى الله ﷻ إلى نوح بقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾^(٢)، حينئذ دعا على قومه وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فُلَجْرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾^(٣).

نعم، لم يدع عليهم إلا بعد أن بلغه الوحي بيقين الغيب من عند الله ﷻ أن هؤلاء لن يؤمن منهم أكثر ممن آمن، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾^(٤). فحينما نرى متشائماً ينظر إلى مجتمعه وواقعه، مدبراً، مفضلاً عزلةً على خلطةٍ لدعوة، ومفضلاً قوقعةً على مشاركةٍ بحسبة، نقول له: هل عندك وحي من الله أن قومك هؤلاء قد يئست من دعوتهم، وما عاد فيهم أمل في الهداية ولا انزجار عن الهوى والغواية؟ إننا ليس عندنا وحي بذلك. إذاً فلماذا القنوط؟ ولماذا اليأس من الدعوة؟ ولماذا القعود عند أو أمام حادثة صغيرة أو كبيرة؟ ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٥﴾^(٦).

✽ ثانياً: تفاؤل سيدنا إبراهيم عليه السلام :

أولاً: تفاؤل سيدنا إبراهيم عليه السلام بطلب الولد:

فهذا إبراهيم عليه السلام النبي الأمة، خليل الرحمن، بعد أن هاجر من بلاد قومه، سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، وكان عمره آنذاك ستاً

(١) سورة نوح، آية: ٢١.

(٢) سورة هود، آية: ٣٦.

(٣) سورة نوح، الآيتين: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة هود، آية: ٣٦.

(٥) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٦) دروس الشيخ سعد البريك، الدكتور سعد البريك، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام

وثمانين سنة، حسن ظنه بالواحد الأحد وتفاؤله بالفرد الصمد أن يدعو ليرزقه ولداً من الصالحين، فاستجاب الله له فبشره الله تعالى بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾^(١)، وصل إبراهيم عليه السلام سن الشيخوخة كما قالت: زوجته عندما بشرها الله بإسحاق ومن بعده يعقوب، قال تعالى: ﴿وَأَمَرْنَاهُ فَضَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قَالَتْ يَنْوِلْنِي أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾^(٢)، فزوجته تعجبت من هذا الأمر؛ فهي عقيم وعجوز وزوجها إبراهيم صار شيخاً، فكيف تلد مع وجود هذه الأسباب، ولكن ردَّ الله عَمَلُهَا بما يزيل العجب فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣)^(٣) يقول صاحب الظلال: «ولا عجب من أمر الله. فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل. وعندما يشاء الله لحكمة يريد بها - وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه - يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها، ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود، ونحن لا نستقرئ جميع الحوادث في الوجود»^(٤)، ولم يكن هذا العجب خاصاً بزوجة إبراهيم عليه السلام بل إن إبراهيم عليه السلام، أيضاً تعجب لما جاءته البشري بالولد؛ قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾^(٥).

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) سورة هود، الآيتين: ٧٠ - ٧١.

(٣) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٤) في ظلال القرآن، (١٩١٢/٤) مرجع سابق.

(٥) سورة الحجر، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

ثانياً: تفاؤل إبراهيم عليه السلام في الدعوة^(١):

ويتجلى لنا تفاؤل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهو يدعو أباه ويدعو قومه؛ فقد استعمل في دعوتهم أساليب متنوعة، لا يمل ولا يكل ولا يتوقف ولا يتردد ولا يقول: أنا يئست، ولذلك الرب سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمد - ﷺ - لما بدأ اليأس يداعب قلبه قال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(٢)، اصبر كصبر أولئك الذين كانوا أهل عزائم قوية وأهل إرادات تهد الجبال. فما هي الأساليب التي استعملها إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه وقومه؟؟ لقد استخدم سيدنا إبراهيم عليه السلام في إقناع المدعويين وترويضهم على قبول الدعوة شتى الطرق والأساليب الدعوية ولا عجب فقد سنَّ للناس من بعده من الدعوة أساليب لم تعهد لأحد من قبله ولم تقف عند حد الكلمة بل تخطتها إلى الحركة والفعل.

❁ أولاً: الأساليب النظرية:

١ - تقرير توحيد الألوهية ببيان دلائل الربوبية:

اتفقت جميع دعوات الرسل عليهم السلام على تقرير توحيد الألوهية؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣)، أما توحيد الربوبية فأكثر الناس متفقون عليه، وهو الإقرار لله بالخلق والتدبير والملك ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤)، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فالذي يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، وينفع ويضر ويملك ويدبر، هو الذي يستحق أن

(١) انظر: موقع صيد الفوائد بتصرف، www.saaaid.net.

دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن، محمد بن عبدالعزيز الخضير، كلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية.

(٢) سورة الأحقاف، من آية ٣٥.

(٣) سورة النحل، من آية: ٣٦.

(٤) سورة لقمان، من آية: ٢٥.

يُعبَد وحده دون سواه، وقد قام الأنبياء بتبيين ذلك لأقوامهم أتم بيان، ومنهم إبراهيم ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾^(١)، فبعد أن بيّن أن الله هو الرزاق، فيلزم من ذلك أن يكون هو المستحق للعبادة دون سواه ممن لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - رزقاً ولا نفعاً ولا ضرراً، وأيضاً قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾^(٢)، والأمثلة في ذلك كثيرة.

٢ - التصريح بقصد النصيحة وأن لا هدف للداعي إلا نفع المدعوين وأنه لا يريد على ذلك الدنيا :

أن توضيح هذا الأمر للمدعوين، له أعظم الأثر في تليين قلوبهم والتأمل فيما يُدعون إليه، وعلى هذا سار جميع الأنبياء؛ فقال نوح: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٣)، ومثل هذا القول قال به لوط وصالح وهود وشعيب ونبينا محمد - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وحكى الله عن إبراهيم أنه قال لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(٤)، فهو لا يريد شيئاً من أبيه، وإنما يخاف عليه من عذاب الرحمن، فيكون ولياً للشيطان، وتأمل في العبارات التي قالها إبراهيم: ﴿أَخَافُ﴾ و﴿يَمَسَّكَ﴾ و﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ تجدها تعبر بصدق عما يكنه إبراهيم لأبيه.

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨١.

(٣) سورة هود، من آية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٥.

٣ - الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

ويظهر هذا الأسلوب جلياً في دعوة إبراهيم لأبيه وخطابه الرقيق، الحاني، اللين، الأبوي، ليكون قريباً من أبيه فيستميل قلبه للاستجابة، ويتضح في مناداته له بلفظ الأبوة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۚ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ﴾^(١).

٤ - التشنيع على المعبودات الباطلة وعابديها:

استخدم إبراهيم عليه السلام اللين والرفق في دعوة قومه المشركين، ولكن دون جدوى، بل تمادوا في باطلهم، فانتقل إلى بيان تهافت معبوداتهم، وأنكر عليهم عبادتها، فقال: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٢)، ولما ظهر له أنهم لا حجة لهم وبرهان على فعلهم، قال لهم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣)، وزاد فقال: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤)، وسقاهم لعبادتهم لمعبودات لا تسمع، فكيف ينتظرون منها جلب نفع أو دفع ضرر، فسألهم سؤال تهكم: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ يَتَّبِعُونَ ۚ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾^(٥).

٥ - التذكير بنعم الله على عباده:

النفوس بطبيعتها تحب من أحسن إليها، فليغتنم الدعاة هذا وليقوموا

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ - ٤٥.

(٢) سورة الأنبياء، من آية ٥٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٥٤.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٦٧.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٧٢ - ٧٣.

بتذكير المدعويين بإحسان الله لهم لأن ذلك أدعى لقبول الدعوة، وهكذا فعل إبراهيم عليه السلام فقد قال لقومه مستخدماً هذا الأسلوب: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾^(١).

٦ - العبرة بالأمم السابقة:

وذلك للاستفادة من الإيجابيات والحذر من السلبيات، قال إبراهيم لقومه: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾^(٢).

٧ - المناظرة:

وتعني محاجة المشركين وأهل الباطل وكسر حججهم وأباطيلهم، وكانت لإبراهيم مناظرتان:

الأولى: مناظرته لعبدة النجوم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَارِزَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءِلَٰهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِضُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ... ﴿٨٠﴾﴾^(٣).

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ١٨.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٧٤ - ٨٠.

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) (١).

الثانية: مناظرته للملك:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨) (٢).

❁ الأساليب العملية:

١ - القدوة: لقد كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الخير، ولذلك وصفه الله بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (٣).

٢ - اللين والشدّة: وهذا ظهر جلياً في دعوته لأبيه، وفي دعوته لقومه، فقد دعا كلاً منهم باللين والاستعطاف، لعل كلامه يتخلل قلوبهم، ولينه يعطف أفئدتهم لقبول الحق الذي جاء به.

٣ - الدعاء والتضرع: وهو السلاح الذي لا يحق للمؤمن أن يسير في ركاب الحياة بدونه، وقد امتدح الله خليله بدعائه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ﴾ (٧٥) (٤).

الهجرة: إن الهجرة أسلوب يلجأ الدعاة إليه لأن أرضهم ما عادت تقبل الكلمة الطيبة، فهم يبحثون عن أرض طيبة تحمل دعوتهم، أو لأن القوم المعرضين بدؤوا يناوشون الداعية، ويوصلون الأذى إليه فهو يفر بدينه من الفتن، قال تعالى: ﴿وَنَجِّنْهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٣) سورة النحل، من آية: ١٢٠.

(٤) سورة هود، آية: ٧٥.

فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾^(١) وَأَيْضاً قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾^(٢).

وأخيراً ، هذا هو نبي الله إبراهيم عليه السلام وتلك هي أساليبه في الدعوة، فيا سبحان الله كم كان تفاؤله وصبره في الدعوة إلى الله! مستخدماً شتى الأساليب والطرق للوصول إليهم ودعوتهم، من غير كلل ولا ملل ولا سأم، وأنت أيها الداعية ما هي أساليبك التي استخدمتها في الدعوة؟؟؟

أم أنك من أول أسلوب تنحيّت جانباً وتركت الدعوة معللاً أن الأمة لا ينفع فيهم وعظّ ولا إرشاد؟!



المطلب الثاني: التفاؤل في حياة أنبياء الله يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام:

❁ أولاً: تفاؤل نبي الله يعقوب:

فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام ، فقد ابنه يوسف عليه السلام ، ثم أخاه، فصبر على محنته ولم ييأس ولم يقنط، بل تفاؤل ورجا أن يجد لمحنته مخرجاً، قال بقلب ملؤه اليقين والتفاؤل: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) ، وفي قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧١.

(٢) سورة الصافات، آية: ٩٩.

(٣) سورة يوسف، من آية: ٨٣.

يقول صاحب الظلال: «كلمته ذاتها يوم فقد يوسف. ولكنه في هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾»، هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور بوجوده ورحمته.

ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المختارة، فيصبح عندها أصدق وأعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار»^(١)، ويقول ابن عاشور في هذه الآية: «وَجُمْلَةُ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ تَعْلِيلٌ لِرَجَائِهِ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مَوَاقِعُهُمُ الْمُتَفَرِّقَةُ. حَكِيمٌ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِجَادِ أَسْبَابِ جَمْعِهِمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ»^(٢).

ويحاول أبناء يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - أن يطمسوا شعاع الأمل بعودة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام قائلين لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(٣)، فرد عليهم وقلبه مفعم بالتفاؤل والأمل بعودته قائلاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)، يقول صاحب الظلال: «وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر، ولآلئها الباهرة. إن هذا الواقع الظاهر الميئس من يوسف، وهذا المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته فضلاً عن عودته إلى أبيه، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمد الطويل في وجه هذا الواقع الثقيل.. إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه. فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور! وهذه قيمة الإيمان بالله، ومعرفته سبحانه هذا

(١) في ظلال القرآن، (٤/٢٠٢٥).

(٢) التحرير والتنوير، (٤/١٣).

(٣) سورة يوسف، من آية: ٨٥.

(٤) سورة يوسف، من آية: ٨٦.

اللون من المعرفة . معرفة التجلي والشهود وملايسة قدرته وقدره، وملايسة رحمته ورعايته، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين»^(١).

ويوجه يعقوب عليه السلام أبناءه إلى تلمس يوسف وأخيه والبحث عنهما، وعدم اليأس من رحمة الله في العثور عليهما؛ فإن رحمة الله واسعة، وفرجه منظور. قال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ (٨٧) ^(٢).

يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية: «فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإيأس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه، ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه»^(٣).

فما زال في بحثه وأمله حتى أكرمه الله تعالى ببغيته، وحقق الله أمله ورجاءه ورد عليه بصيره وولديه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) ^(٤).

ويظهر تفاؤل نبي الله يعقوب عليه السلام أيضاً بصورة جلية عند حضور أجله، فهو في ساعة الموت، وفي تلك اللحظة يدعو إلى الله وَعَلَىٰ، يقول ابن سعدي: «فقال لبنيه على وجه الاختبار لهم، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾»^(٥)، فأجابوه بما قرت

(١) في ظلال القرآن، (٢٠٢٦/٤).

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١/٤٠٤).

(٤) سورة يوسف، آية: ٩٦.

(٥) سورة البقرة، من آية: ١٣٢.

به عينه فقالوا: لا نشرك به شيئاً، ولا نعدل به أحداً، فجمعوا بين التوحيد والعمل^(١).

فخذ قدوتك أيها الداعية من هذا النبي الكريم، وتفاءل ولا تيأس، واحرص على دعوة قومك حتى آخر لحظة في حياتك وآخر لحظة في حياتهم، واعلم أنك مأمورٌ بهذا.

❁ ثانياً: تفاؤل نبي الله يوسف ﷺ

يتجلى لنا تفاؤل هذا النبي الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، في سورة من القرآن تحمل اسمه الشريف، سورة يوسف، وهي من أعظم السور التي تحمل بشائر النصر والتمكين والنجاح بعد الابتلاء والصبر والظلم ومشاهد الأمل والتفاؤل، بعد الألم واليأس، ولا عجب أن تكون هذه السورة أعظم تسلية وتسرية وتطمين وتثبيت للمؤمنين المطاردين المضطهدين. كأنهم يلمحون فيها أنهم سيخرجون من مكة إلى دار أخرى مكرهين ولكن سيكون لهم فيها النصر والتمكين، كما أخرج يوسف من حضن أبيه ليواجه المحن والشدائد ثم تكون له الرفعة والنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، جاءت آية التمكين هذه، ويوسف في أشد حالات الضعف البشري؛ يباع مع الرقيق في أرض مصر، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^(٣)، يقول ابن عاشور: «وَكَانَ ذَلِكَ عِتَابًا إِلَهِيًّا لِيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى اشْتِغَالِهِ بِعَوْنِ الْعِبَادِ دُونَ اسْتِعَانَةِ رَبِّهِ عَلَى خَلَاصِهِ»^(٤)، بل جعل نجاته وسبب رفعة تمسكه بالركن الشديد الذي يأوي إليه، خالقه، وهذا ما ظل يوسف يشي به

(١) المصدر نفسه ونفس الجزء، ص ٦٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٢١.

(٣) سورة يوسف، آية: ٤٢.

(٤) التحرير والتنوير، (٢٧٩/١٢) مرجع سابق.

على ربه في عاقبة التمكين والظفر حين قال لأبيه: ﴿يَتَابَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

وهذا هو درس التوحيد الأكبر في عام الحزن، هذا الذي يجب على عباد الله المخلصين أن يتمسكوا بربهم سبحانه، ويخلصوا العبادة له وحده دون سواه، ويستغيثوا به وحده ولا يعلقوا آمالهم ببشر مهما كانت درجته، وأن يسلموا له وحده قيادهم كما أسلموا له أمرهم من قبل. وحين يعجزون بسبب ضعفهم البشري في أول الأمر، فإنهم يلجؤون إليه وحده بأن يتفضل عليهم بمنازل التسليم له والثقة به والرضا عنه. وفي لحظة الافتقار هذه، يتنزل عليهم مدد ربهم سبحانه ويتفضل عليهم بلطفه وإحسانه، ويتجلى لنا تفاؤل هذا النبي الكريم يوسف عليه السلام حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانَهُ إِلَّا نَبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَبَابٌ مُنْفَرِقٌ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْفَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾^(٢).

انتقل يوسف من ظلمات السجن إلى عرش الملك، وأصبح مليكاً عزيزاً بيده خزائن مصر، يتخذ منها المنازل التي يريد في مقابل الحب

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٣٧ - ٤٠.

الضيّق المظلم، ويتنقل في أبهة الملك برفقة الحرس والحاشية بعد سنوات الخوف والغربة والسجن، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) وَلَا جُرْ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾^(١)، فبدله الله من العسر يسراً، ومن الضيق فرجاً، ومن الخوف أمناً، ومن القيد حرية، ومن الهوان على الناس عزاً ومقاماً علياً. وفي ختام السورة يتكرر التثبيت للطائفة المؤمنة بمكة، ويعود التذكير بمجرى سنة الله عندما يستئس الرسل، والتلميح بالمخرج المكروه الذي يليه الفرج المرغوب. معانٍ تدركها القلوب المؤمنة، فيغمرها الإيمان واليقين، والصبر والثبات. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) (٢) (٣).

❁ ثالثاً: التفاؤل في قصة نبي الله موسى عليه السلام:

إن في قصة موسى عليه السلام صوراً كثيرة، يتجلى لنا فيها التفاؤل بأعلى صورته، تتضح لنا هذه الصور من خلال عرض القصة^(٤):

ولد موسى عليه السلام في وقتٍ قد اشتد فيه فرعون على بني إسرائيل، فكان يذبح كل مولود ذكر يولد من بني إسرائيل، ويستحيي النساء للخدمة والامتهان؛ لأنه بلغه أن غلاماً منهم سيولد، وسيكون هلاك ملك مصر على يديه.

ولما حملت أم موسى بموسى، حزنّت لذلك حزناً شديداً خوفاً عليه

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٥٦ - ٥٧.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١٠.

(٣) انظر: موقع صيد الفوائد، بدر عبد الحميد هميسة، وانظر: التفاؤل والأمل في قصة يوسف عليه السلام، صالح بن محمد آل طالب - دراسات إسلامية - موقع حراء الإسلامي.

(٤) انظر ويتصرف كتاب متفائلون، عبد الكريم بن عبدالعزيز القصير، دار وجوه للنشر والتوزيع، ص ٤٣ - ٤٧ مرجع سابق.

من هذا المصير - الذبح -، ولكن الله تعالى أخفى ولادتها عن القوم المجرمين فوضعت خفية، ولكنها ظلت خائفة عليه، حتى أوحى الله إليها بأن ترضعه فإذا خافت عليه فلتضعه في صندوق ثم تلقي به في البحر، ووعدها الله تعالى بحفظه، وبأن يردّه إليها سالماً، فاستجابت لأمر الله؛ ووضعت في الصندوق وألقت به في البحر. وهذه هي الصورة الأولى لقمة التفاؤل لهذه المرأة المؤمنة؛ طفلٌ صغير لم تكتمل عظامه وبُنِيته تضعه في التابوت ثم تلقي به في اليمّ ثم في الساحل ليذهب إلى عدوه اللدود فرعون، ليس ليقتله بل ليتربى في قصره، وتحت رعايته رغماً عن أنفه، لأن الأمر أمر الله، والملك ملك الله، والحافظ هو الله، إن التأمل في هذه الآيات يزيج عنا جميع المخاوف والأحزان.

ترعرع موسى عليه السلام في قصر فرعون، وفيما بعد أنزل عليه الوحي، وأمره بدعوة فرعون وقومه بعبادة الله تعالى، فطلب موسى من ربه أن يشد عضده بأخيه هارون، فاستجاب الله له وأمرهما بدعوة فرعون للإسلام، فاستجابا ودعياه للتوحيد ورفع الظلم عن بني إسرائيل ولكن فرعون لم يؤمن بل جمع السحرة لمقابلة موسى، وألقوا حبالهم وعصيهم، وألقى موسى عصاه فإذا هي حية تلقف كل ما أتى به السحرة، هنا أيقن السحرة أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة من الله فأمن كل السحرة بوحدانية الله في مشهدٍ مؤثر. وهذه هي الصورة الثانية للتفاؤل في هذه القصة، فتفاءل السحرة وأحسنوا الظن بربهم وأملوا في أن ما عند الله هو خيراً لهم، بالرغم من تهديد فرعون لهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل، ولكن هيهات هيهات إنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب صنع المعجزات، ووقف أمام التحديات. وقد صوّر لنا القرآن ما حدث؛ قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۚ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ وَلَاصِلَتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَابْقَى ۚ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ﴾ (٧٢) إِنَّا ءَمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ

السَّحَرُ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٧﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ ﴿١﴾.

بعد هذا الموقف ازداد فرعون عناداً واستكباراً، واستمر موسى يدعوه بشتى الأساليب ولكن بدون جدوى بالرغم من نزول الآيات عليهم، بل واشتد تعذيبه لبني إسرائيل قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٢)، وفي خضم هذه المحنة والأزمة التي يواجهها بنو إسرائيل، قال موسى لقومه بوحى من الله الذي يملك الجواب: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، فرد عليه بنو إسرائيل: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾^(٤)، فرد عليهم موسى ﷺ رد المتفائل بربه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٥)، فكأنه يقول لهم إذا جاءكم يوم وانتصرتهم فيه على عدوكم وامتلكتم البلاد والعباد، كونوا صادقين مع الله في تصرفاتكم لأنكم في هذه الحال أنتم مبتلون بالسراء بعد أن كنتم ممتحنين بالضراء، يقول لهم هذا القول وهم في أشد حالات الضعف والعجز، وهذه هي الصورة الثالثة للتفاؤل في قصة موسى ﷺ.

اشتد الأذى على المؤمنين من بني إسرائيل، وهنا عزم فرعون على القضاء على موسى ومن آمن معه، ففرّوا، فر موسى والمؤمنون معه بدينهم من الطاغية فرعون، مع إصرار هذا الطاغية، وجنده على اللحاق بهم ويرسل في المدائن حاشرين، ويقول عن المؤمنين كما قال تعالى عنه

(١) سورة طه، الآيات: ٧٠ - ٧٦.

(٢) سورة الأعراف، من آية: ١٢٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٤) سورة الأعراف، من آية: ١٢٩.

(٥) سورة الأعراف، من آية: ١٢٩.

على لسانه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾^(١)، ويشتد الكرب بالمؤمنين، فالبحر أمامهم، والعدو خلفهم، ولا يعلمون ما كُتب لهم في الغيب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾﴾^(٢)، أي: سيلحقنا فرعون وجنده ويقتلوننا، فردّ عليهم نبي الله موسى ردّ المتفائل الواثق بربه، وهو موقن بتوفيق الله، الذي وعدهما من قبل، قال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَآ أَسْمَعُ وَارَىٰ ﴿٣﴾﴾، هذه المعية التي لا تتخلف عن عباده المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾^(٤)، وفي هذه الظروف الحرجة؛ البحر أمامهم بأموواجه المتلاطمة، وفرعون بجنوده وجيشه من خلفهم، أتى الوحي من الله على موسى، قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾^(٥)، فانشق البحر نصفين، بعصا أفل في الطول من المتر الواحد، فكان كل شق كالجبل العظيم في الارتفاع، بينهما أرض يابسة، فمشوا فيها مطمئنين، وعندما اكتملوا بالدخول، اقتحم فرعون وجنده البحر، فعاد البحر بأمر الله كما كان، وعندها أدرك فرعون وجنوده ضعفهم أمام قدرة الله، وصاحوا يلتمسون النجاة، وظنوا أن إيمانهم في هذه الساعة سينفعهم، ولكن هيهات هيهات، قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾^(٦)، وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾^(٦).

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٦١.

(٣) سورة طه، من آية: ٤٦.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٦٢.

(٦) سورة يونس، الآيات: ٩٠ - ٩٢.

غرق فرعون وقذفت به أمواج البحر إلى الشاطئ ليكون عبرة لمن خلفه، وهكذا انتصر الإيمان على الكفر، كما هي الحقيقة الثابتة التي لا تبدل ولا تتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: أن العاقبة الحميدة للمتقين، والأرض يرثها عباد الله الصالحون. فهل بعد هذا يبقى أي أثر للتشاؤم واليأس في قلوب المتشائمين والآيسين؟ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(١)، وهذه هي الصورة الرابعة للتفاؤل في هذه القصة.

أيها الدعاة! هذه بعض النماذج من سيرة أنبياء الله عليهم السلام أئمة الدعاة، وصفوة الخلق، رأيتم كيف كان التفاؤل خلقاً أصيلاً من أخلاقهم، وصفة أساسية من صفاتهم؛ فلم يحتاجوا أن يتعلموا خلق التفاؤل ليُطبقوه في أمر الدعوة إلى الله، ولكنهم كانوا دعاة متفائلين بالطبع والسجية، فليكنوا لك - أيها الداعية - القدوة والأسوة الحسنة، وتمسك بهديهم وسر على خطاهم، كما أمر الله نبيك من قبل فهو أيضاً أمرٌ لك، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَرُهُ﴾^(٢).



(١) سورة النور، من آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنعام، من آية: ٩٠.

المبحث الثالث:

صور من التفأول عند الصحابة والتابعين وما بعد عصر تابعي التابعين

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صور من التفأول عند الصحابة.

المطلب الثاني: صور من التفأول عند التابعين وما بعد عصر تابعي التابعين.



المطلب الأول: صور من التفأول عند الصحابة

✽ أولاً: تفأول الصحابي الجليل: مصعب الخير (مصعب بن عمير) رضي الله عنه، وتفأول أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها:

كلما تقدم الزمان احتاج الناس إلى نماذج بشرية مشرقة تحيي فيهم الأمل، وتبعث فيهم الفأل، تستعيد الأجيال اللاحقة منها سر نهضتها

وتميزها لتستنير بها في سيرها إلى المولى سبحانه، ولقد كان أصحاب محمد ﷺ خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، ومن هؤلاء القوم الصحابي الجليل الداعية المتفائل: مصعب بن عمير رضي الله عنه، يظهر لنا تفاؤل هذا الصحابي الجليل جلياً ابتداءً من لقبه الذي لُقّب به - مصعب الخير - تفاؤلاً به؛ لأنه ماحلٌ في مدينة إلا ونشر الخير فيها.

فهياً بنا نستلهم العبر والفوائد من قصته، ونرى كيف كان أثر تفاؤله العظيم في إسلام زعيمين من زعماء المدينة هما: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما الذين أسلم بإسلامه ما قبيلة كاملة كما سنرى في القصة التي أوردها ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق، قال ابنُ إسحاق^(١): خرج مصعب بن عمير بصحبة أسعد بن زرارة، يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخلوا حائطاً من حوائط بني ظفر وقالوا هناك، فسمع بهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير - وكلاهما مشرك على دين قومه - فأمر سعد بن معاذ أسيد بن حضير أن ينطلق إلى هذين الرجلين، وأن يزجرهما وأن يأمرهما بالرحيل من دارهما، وقال له: لولا أن أسعد بن زرارة ابن خالته لقام هو بذلك بدلاً منه، فأخذ أسيد بن حضير حربته، ووقف عليهما متشمتاً، وقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اذهبا إن أردتم البقاء على قيد الحياة، فقال مصعب قول الداعية المتفائل، الواثق بربه وبما يدعو إليه: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت. فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فأشرق وجهه فعرفا أنه قد أسلم قبل أن يتكلم. فقال أسيد: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! ماذا يجب عليّ فعله للدخول في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر

(١) انظر السيرة النبوية، ابن هشام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (٥٨/٢ - ٦٠) بتصرف.

ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم قال لهما: سأرسل لكما رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد في قومه، يقصد بذلك سعد بن معاذ، فرجع أسيد إلى قومه، فرأى سعد تغير وجه معاذ، وأقسم على أن شيئاً ما قد حدث، فسأله ما فعلت مع الرجلين؟ قال: كلمتهما ولم أرى بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت. وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه عندما عرفوا أنه ابن خالتك لينقضوا عهدك، فقام سعدٌ مغضباً وذهب إليهما تخوفاً من بني حارثة، فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيداً يريد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتاً، وقال لهما: أتغشانا في دارنا بما نكره؟ فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت. ففعل معه مثل ما فعل مع أسيد، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فأشرق وجهه متهللاً، فعرفا أنه قد أسلم قبل أن يتكلم، فقال سعدٌ: ماذا يجب عليّ أن أفعله للدخول في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل وتطهر ثوبيك، وتشهد شهادة الحق ثم تصلي، ففعل ذلك وأقبل على قومه وقال لهم: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، قال لهم: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ أو امرأة إلا مسلماً ومسلمة.

فانظر أخي الداعية كيف دخل هؤلاء في دين الله أفواجا، قبل أن يروا النبي عليه الصلاة والسلام -، وكيف كان لتفاؤل مصعب بن عمير رضي الله عنه - واختياره لأحسن الكلام وأطيبه الأثر الكبير في إسلام هؤلاء، ولا عجب في ذلك؛ فقد تخرج من مدرسة محمد - عليه الصلاة والسلام - التي تعلّم فيها أن يدعو الناس وهو متفائل، واثقٌ بربه وبدينه، فقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن التفاؤل، فقال: «الكلمة الطيبة»^(١)، نعم

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم برقم ٢٢٢٤، (١٧٤٦/٤).

الكلمة الطيبة التي يجب أن يبثها الداعية في كل مكان لتتخلخل في أفئدة العصاة والمعاندين، فتنهض بهم إلى نور الله، وتعيدهم إلى صراط الله المستقيم.

❁ تفأول أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام:

لما نزل الوحي على النبي ﷺ ورجع إليها خائفاً يقول: «زملوني زملوني، لقد خشيتُ على نفسي». قالت: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(١).

❁ ثانياً: مواقف من تفأول الصحابيَّين عمرو بن الجموح وعمير بن الحمام رضي الله عنهما:

أ - تفأول الصحابي الجليل عمرو بن الجموح:

التفأول الإيجابي هو الذي جعل صحابياً أعرج كعمرو بن الجموح رضي الله عنه يقاتل في أحد ويقول: والله، إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه الجنة، فقد كان عمرو أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد، قال له بنوه: إن الله ﻋَظَمَ قد جعل لك رخصة فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني هؤلاء يمنعون أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن أستشهد فأظأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، باب: بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى

رسول الله ﷺ -، برقم ٣، ج ١، ص.

أحد شهيداً^(١).

فتأمل أخي الداعية إلى تفاؤل هذا الصحابي الجليل؛ يرجو أن يطأ بعرجته الجنة، وأنت أين ترجو أن تطأ بقدميك وأنت لم تقدم للدعوة شيئاً سوى زم شفيتك تحسراً على ما وصلت إليه حال الأمة بحجة أن العباد لا ينفع فيهم وعظ ولا إرشاد؟!!

ب - تفاؤل الصحابي الجليل عمير بن الحمام رضي الله عنه:

ويبدو هذا التفاؤل واضحاً في حياة الصحابي الجليل عمير بن الحمام رضي الله عنه عندما سمع النبي ﷺ يقول لأصحابه في غزوة بدر: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ^(*)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ^(**)، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ^(٢).

فانظر أيها الداعية ماذا كان يرجو هذا الصحابي بقوله: بَخٍ بَخٍ؟!!

(١) البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير ٥٨، باب: من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة والعدر في ترك الجهاد، برقم ١٧٨٢١، (٤٢/٩).

(*) (بَخٍ بَخٍ) فِيهِ لُعْنَتَانِ إِسْكَانُ الْخَاءِ وَكُسْرُهَا مُنَوَّنَا وَهِيَ كَلِمَةٌ تُطْلَقُ لِتَفْخِيمِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ فِي الْخَيْرِ انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ٢، ١٣٩٢، (٤٥/١٣).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة ٣٣، باب: ثبوت الجنة للشهيد، برقم ١٩٠١، (١٥٠٩/٣).

(**) أي: جعبة النشاب، انظر شرح النووي (٤٦/١٣)، المرجع السابق.

أقسم بأن الذي حمله على هذا القول ما هو إلا رجاؤه وحسن ظنه بالله تعالى أن يكون من أهل الجنة، وتأمل كيف كان رد النبي ﷺ بقوله: «فإنك من أهلها»، مصداقاً لحديث النبي ﷺ عن ربه ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء»^(١)، فمن كان بهذا التفاؤل والرجاء وحسن الظن بالله فإنها في حقه لحياة طويلة إن بقي حتى يأكل تمراته.. ألا يدعوك هذا أن تمسح عنك غبار التشاؤم واليأس وتنهض بحماس ونشاط وجدية؛ رجاء أن تكون من أهل الجنة؟؟؟!



المطلب الثاني: صور من التفاؤل عند التابعين وما بعد عصر تابعي التابعين

* التابعي عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللهُ (٢):

التابعي الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمّد، القرشي

(١) سبق تخريجه، ص ١٦.
(٢) الفهرست مؤلّاهم أبو محمّد المكي، أحد كبار التابعين الثقات الرُفَعَاء، يُقالُ إِنَّهُ أَدْرَكَ مائتي صحابيٍّ وَكَانَ ثِقَةً فَقِيهًا عَالِمًا كَثِيرَ الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ الْبَاقِرِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مَا وَقَدْ رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ. بَقِيَ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ أَعْلَمَ بِالْمَنَاسِكِ مِنْهُ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ، وَكَانَ قَدْ حَجَّ سَبْعِينَ حَجَّةً، وَعَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَسَمِعَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ التفسير وغيره. * مَاتَ عَطَاءٌ سَنَةَ أَرْبَعٍ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. وَقَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ: سَنَةَ أَرْبَعٍ، أَوْ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَرَوَى عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ عِدَّةٌ، مِنْهُمْ الزَّهْرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ط ٢، (٧٨/٥) وما بعدها، وانظر البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، =

مَوْلَاهُمْ، كَانَ مِنْ مُوَلَّدِي الْجَنْدِ. لَقَدْ كَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ أَسْوَدَ،
أَعُورَ، أَفْطَسَ، أَشْلَ، أَعْرَجَ، ثُمَّ عَمِيَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ أَنْفُهُ كَأَنَّهُ بَاقِلَاءٌ.
عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ، قَالَ: كَانَ عَطَاءُ أَسْوَدَ، شَدِيدَ السَّوَادِ، لَيْسَ فِي رَأْسِهِ
شَعْرٌ إِلَّا شَعْرَاتٌ، خَمْسَةٌ عِوَبٌ كَانَتْ فِي عَطَاءٍ.

يا تُرى ماذا فعل بها هل استسلم؟ هل تكسرت أحلامه وطموحاته؟
هل تهدمت عزائمه؟ هل بكى على قدره وبكى يائساً منتظراً موته؟ هل قال
عطاء لنفسه: أنا عبد مملوك وسأظل هكذا إلى الأبد، أنا أعور أشل
أعرج... ولن يقبلني أحد؟! طبعاً لا لم يقل أيّاً من ذلك.

لقد نظر عطاء لنفسه بعين المتفائل الراضي الذي يمتلك الكثير من
النعم، لقد كان لعطاء أذنان تسمعان ورجلان تمشيان وكان لعطاء لسان
يتكلم ويد تكتب وعقل يفكر ويحفظ.. هذا ما وجده عطاء في نفسه.. لقد
كان يعلم أن الله لا ينظر إلى صورنا وأجسادنا ولكن ينظر إلى قلوبنا
وأعمالنا، وأن العبرة بالجواهر لا بالمظهر.

لقد صاح المنادي في زمن بني أمية في مكة أيام الحج: لا يفتي
الناس إلا عطاء.

وقال عنه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: جاء سليمان بن عبد الملك أمير
المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي فلما صلى التفت
إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ثم قال
سليمان لابنيه: قوماً فقهما. فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم، فإني لا
أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

= (٣٣٥/٩) * الجند، بفتح الجيم والنون، بعدها دال مهملة: بلدة مشهورة باليمن،
خرج منها جماعة من العلماء، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً. انظر حاشية
سير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ص ٧٩.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ أُمِّهِ: أَنَّهَا أَرْسَلَتْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ! تَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَعِنْدَكُمْ عَطَاءٌ! وَقَالَ بَشْرُ بْنُ السَّرِيِّ: عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أُمِّهِ: أَنَّهَا رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِهَا، فَقَالَ لَهَا: (سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ: عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ). وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ الثَّقَفِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ يَقُولُ لِلنَّاسِ - وَقَدْ اجْتَمَعُوا -: عَلَيْكُمْ بِعَطَاءٍ، هُوَ - وَاللَّهِ - خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانَ الْمَسْجِدُ فِرَاشَ عَطَاءٍ عَشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَلَاةً.

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: لَزِمْتُ عَطَاءً ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ بَعْدَ مَا كَبُرَ وَضَعْفَ يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيَقْرَأُ مَائَتِي آيَةٍ مِنَ الْبَقَرَةِ وَهُوَ قَائِمٌ، لَا يَزُولُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَتَحَرَّكُ.

لقد أصبح عطاء بن أبي رباح عالم عظيم في عصره.. رسم صورة ذهنية متفائلة مشرقة عن نفسه وواقعه فكان له ما رأى وتوقع.. فتفاعل بالخير وتوبة العاصين وأوبة المذنبين وانتصار الدين أخي الداعية، وبإذن الله تجد ما تفاعلت به، وليكن لك في سيرة هذا التابعي القدوة والأسوة الحسنة.

❁ الشيخ علم الدين البرزالي شيخ الإمام الذهبي: (١)

كان هذا الشيخ سبباً - بعد الله - في ظهور العلامة كبير المحدثين وأئمة الحديث، الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

فكيف كان ذلك؟؟؟ لنقرأ ما قاله عنه الإمام الذهبي نفسه، فقد ذكر

(١) عَلَمُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْبِرْزَالِيِّ مُؤَرِّخُ الشَّامِ الشَّافِعِيُّ، وَلَدَ سَنَةَ ٦٦٥ هـ - وَمَاتَ سَنَةَ ٧٣٩ هـ.

الذهبي أن علم الدين البرزالي هو الذي حُبب إليه العناية بالحديث النبوي الشريف، فقال في «معجم شيوخه الكبير»: «الإمام الحافظ المتقن الصادق الحجة مفيدنا ومعلمنا ورفيقنا محدث الشام مؤرخ العصر»^(١)، وقال في موضع آخر: «وهو الذي حُبب إلي طلب الحديث، فإنه رأى خطي، فقال: خطك يشبه خط المحدثين! فأثر قوله في، وسمعت منه، وتخرجت به في أشياء».

فانظر أخي الداعية كيف كان أثر العبارة التفاؤلية (خطك يشبه خط المحدثين) في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب القيّمة في علم الحديث وغيره من العلوم، من هذه الكتب: مصطلح الحديث، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وغير ذلك الكثير.

أفلا يكون هذا محفزاً لك أخي الداعية لانتقاء العبارات التفاؤلية وبثها لمن حولك، فلا تدري لعلها تكون سبباً في ظهور إمام ذهبي جديد.

✽ شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢):

في سنة (٧٠٢هـ) تحرك التتار لغزو بلاد الشام فأخبر ابن تيمية الناس والأمراء أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، قال ابن القيم: وسمعتة يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عليّ قلت: لا تكثرُوا، كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمراء

(١) انظر معجم الشيوخ الكبير للذهبي، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الطائفة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ، (١١٥/٢).

(٢) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، وُلد بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة. توفي من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م، (١١٥/٢) نقلاً عن الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، المقدمة، ص ٣٥ - ٣٦.

والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكان النصر حليف المسلمين^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)(٤).

ومن أعظم المواقف التي تدل على تفاؤل شيخ الإسلام، موقفه عندما سُجن في سجن القلعة بدمشق بعد أن وشى به بعض علماء السوء الذين وجدوا في الإمام كاسراً لأحكام زمانه من التقليد والاتباع الأعمى، فيا تُرى كيف كان موقفه وردة فعله من هذا الفعل؟؟

فلنقرأ ما قاله الشيخ نقلاً عن تلميذه ابن القيم^(٥): «وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

أرأيت أخي الداعية كيف كان تفاؤله؟؟؟

لقد رأى في حبسه خلوة بربه، وخروجه من بلده سياحة، وقتله شهادة، وقبل ذلك هو يعيش في جنان وبساتين، فله دره من إمام إيجابي متفائل!

هذا ما يفعله التفاؤل وحسن الظن بصاحبه، بل الأعجب من ذلك ما كان يقوله في محبسه في القلعة: «لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة» أو قال: «ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من

(١) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، محمد عزيز بن شمس وعلي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة، ط ٢، شوال ١٤٢٢هـ، (٤١٥/١).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٤.

(٣) سورة الروم، آية: ٤٧.

(٤) www.alukah.net انظر: موقع الألوكة.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩ م، (٤٨/١).

الخير» ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله»، وقال لي مرة: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه».

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١).

وقال عنه أيضاً تلميذه ابن القيم: «وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضائق بنا الأرض أتينا، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة»^(٢).

هذه هي آثار التفاؤل وحسن الظن بالله واليقين به والتوكل عليه والثقة به وبنصره وولايته ومعيته وغير ذلك مما يدخل ضمن معاني التفاؤل.

ولم يقف تفاؤل الشيخ عند هذا الحد؛ بل له شأن آخر أيضاً؛ إن سجنه كان فاتحة خير على من في السجن؛ فلقد أقام الشيخ فيه داعياً إلى الله، أمراً بالمعروف والطاعات، نابذاً للبدع والمنكرات؛ فأصبح السجن تقام فيه صلاة الجمعة بعد أن كانت لا تؤدي فيه، فكيف كان حال السجناء قبل أن يسجن معهم الشيخ وبعده؟

يقول الإمام ابن عبد الهادي^(٣): «لما دخل الحبس وجد المحاييس

(١) سورة الحديد، من آية: ١٣.

(٢) كل ما ذكر سابقاً من الأقوال هي نقلاً عن تلميذه ابن القيم من كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب، المرجع السابق ص ٤٨.

(٣) العقود الدرّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، المحقق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي - بيروت، (١/٢٨٥).

مشتغلين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمّا هم فيه، كالشطرنج، والنرد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات.. فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشدّ الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجّه إلى الله بالأعمال الصالحة والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلمهم من السنّة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير، وحضّهم على ذلك؛ حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من الزوايا والرُّبُط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحاييس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثُر المتردّدون إليه، حتى كان السجن يمتلئ بهم».

تأمل أيها الداعية: كيف يفعل التفاؤل بصاحبه وبمن يحيط به؛ حتى الذين يطلق سراحهم يرغبون في البقاء معه في السجن.

فأين أنتم أيّها المتشائمون، دعاة اليأس من مثل هؤلاء؟؟؟



الفصل الثالث:

التشاؤم، مفهومه وأدلته وآثاره وأسبابه وعلاجه

• وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم التشاؤم وأدلته.
- المبحث الثاني: آثار التشاؤم على الدعوة.
- المبحث الثالث: أسباب التشاؤم وعلاجه.

المبحث الأول: مفهوم التشاؤم وأدلته

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهومه في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الأدلة الشرعية التي تحذر منه وتبين حكمه الشرعي.



المطلب الأول: مفهوم التشاؤم في اللغة والاصطلاح

❁ التشاؤم لغة:

يطلق على عدة معانٍ منها:

١ - الشُّؤْمُ: خلافُ اليُمْنِ، ورجل مَشْؤوم على قومه، والجمع مَشَائِمٌ... وقد شُئِمَ عليهم، وشُؤِمَ، وشَأَمَهُمْ، وما أَشَأَمَهُ، وقد تَشَأَمَ به، والمَشَأَمَةُ: الشُّؤْمُ، ويقال: شَأَمَ فلانٌ أصحابه: إذا أصابهم شُؤْمٌ من قَبْلِهِ... والشُّؤْمَى من اليدين نقيض اليُمْنَى ناقضوا بالاسْمَيْنِ حيث

تناقضت... والشَّأْمَةُ: خلاف اليمَّةِ، والمَشْأَمَةُ: خلاف الميمَّةِ. والشَّأْمُ: بلادٌ تذكر وتؤنث؛ سميت بها؛ لأنها عن مَشْأَمَةِ القِبلة... وهي الشَّأْمُ، والنسب إليها: شاميٌّ وشَامٌ... والمَشْأَمَةُ: الميسرة، وكذلك الشَّأْمَةُ، وأشَامَ الرجلُ والقومُ: أتوا الشَّأْمَ، أو ذهبوا إليها... وتَشَامَ الرجلُ: انتسب إلى الشَّأْمِ مثل تَقَيَّسَ وتَكَوَّفَ. ويأمنُ بأصحابك أي: خذ بهم يَمَنَةً، وشائِمُ بأصحابك: خذ بهم شأمةً أي: ذات الشمال، أو خُذْ بهم إلى الشَّأْمِ، ولا يقال: تَيَّأَمَنَ بهم^(١)..

٢ - التطير قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «والتطير التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قولٍ أو فعلٍ أو مرئيٍّ، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينقرون الطباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثيرٍ من الأوقات عن مصالحهم، فنفي الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضرر^(٢)».

ومن الأشياء التي يُتطير منها قديماً وحديثاً: الغراب، الهامة، الواق، الثور المكسور القرن، التطير ببعض الأسماء وذوي العاهات، التشاؤم بالأيام والشهور، التشاؤم ببعض الأرقام، فتح الآي، التطير بأهل الصلاح، التطير بالمصائب والبلايا.

ومن التطير التشاؤم من أحوال المسلمين: فمن الناس من إذا رأى ما عليه الباطل من صولة، وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعفٍ وتخاذل، وحطّة، وذلةٍ، وتبعيةٍ للأعداء تطير من ذلك، وتشاءم من المستقبل، ويأس من إصلاح الأحوال، وظن أن الباطل سيستمر وأن الحق وأهله إلى زوالٍ

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ٢٠٠٣م، (٨/٨٨٥) مرجع سابق.

(٢) شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢، (ج ٢١٨/١٤ - ٢١٩).

واضحلال^(١)، وهذا المعنى ما نقصده في هذه الدراسة.

٣ - توهم أو توقع الشر، عكسه تفاءل: - ينظر إلى المستقبل نظرة تشاؤم. تشاءم بالغراب / تشاءم من الغراب: توقع الشر ولم يتفاءل لرؤيته: - تشاءم من انقطاع التيار الكهربائي^(٢)..

٤ - حالة نفسية تقوم على اليأس والنظر إلى الأمور من الوجهة السيئة، والاعتقاد أنّ كلّ شيء يسير على غير ما يُرام، نزعة تشاؤمية: يغلبُ عليها التشاؤم. عكسه تفاؤل^(٣). وهذا التعريف هو الذي تقصده الباحثة في هذا البحث.

❦ التشاؤم اصطلاحاً:

وأما في اصطلاح علماء الشريعة فإننا نجد الحافظ ابن حجر العسقلاني ينقل عن الحلبي أنه قال: التشاؤم: سوء ظنّ بالله تعالى بغير سبب مُحَقَّق^(٤).. أنّ الشؤم سوء الظنّ بالله وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ يَرْجِعُ الظنّ إِلَيْهِ، وَيُبْنَى فِي الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ.

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التشاؤم: هو عَدُّ الشَّيْءِ مَشْؤُومًا، أي: يكون وجوده سبباً في وجود ما يُحْزَنُ وَيُضُرُّ^(٥).

أما تعريف التشاؤم في المصطلح الدعوي فيتلخص في:

التطير أو توهم حصول الشر والمكروه بصورة تؤدي إلى القعود عن

(١) الطيرة، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٤٥ مرجع سابق.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (١١٥٣/٢).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، دار الدعوة، (٤٦٩/١).

(٤) فتح الباري ج ١١ ص ٣٧٦ مرجع سابق، وعبارة الحلبي في المنهاج في شعب الإيمان (٢٥/٢).

(٥) التحرير والتنوير، (٦٦/٩).

أداء الواجب، أو على الأقل الكسل والتواني، والتراخي نتيجة إساءة الظن بكل شيء في هذا الوجود، أو في هذه الحياة^(١)..

التشاؤم في علم النفس:

عرف علماء النفس التشاؤم بعدة تعريفات منها ما يأتي:

عرفه الدكتور بدر محمد الأنصاري بأنه: التوقع السلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما خلا ذلك إلى حد بعيد^(٢).

عرفه مارشال: بأنه استعداد شخصي وسمة كامنة داخل الفرد تؤدي إلى التوقع السلبي للأحداث^(٣).

وعرفه أندريسين واساسيلمان وبارق بأنه: نزعة لدى الأفراد للتوقع السلبي للأحداث المستقبلية^(٤).

وترى الباحثة أن التشاؤم بالنسبة للداعية - وهو المعنى المقصود في هذه الدراسة - هو أن يعيش الداعية وهو يتأمل ويتألم للواقع الفعلي للأمة، والحالة المزرية التي وصلت إليها من حيث الانحراف عن منهج الله القويم، وانتشار الفساد، وقلة المتمسكين بالدين، وكثرة المجانبيين له، فتتولد داخله حالة من الحزن والأسى، وفقدان الأمل والرجاء، واليأس والقنوط من صلاح الأمة، وقد تخلق منه متطرفاً، فيتوقف أو يكسل

(١) آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ (١٠٢/٣)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ش م م - المنصورة.

(٢) نقلاً عن كتاب التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، الدكتور بدر محمد الأنصاري الطبعة الأولى، ١٩٩٨ ص ١٦، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مجلس النشر العلمي.

(٣) نقلاً عن كتاب التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، ص ١٦.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ويتوانى عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، بحجة أن الناس لا ينفع معهم وعظ ولا إرشاد.

وستعتمد الباحثة هذا التعريف دون غيره من التعريفات.



المطلب الثاني: الأدلة الشرعية التي تنهى عن التشاؤم وتبين حكمه الشرعي

مما سبق اتضح لنا أن التشاؤم من المصطلحات الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة، وكما مرّ بنا في الفصل الأول من هذه الدراسة^(١)، من أن مصطلح التفاؤل لم يرد بلفظه في القرآن الكريم، كذلك أيضاً نجد أن مصطلح التشاؤم لم يرد بلفظه في القرآن الكريم والسنة النبوية وإنما ورد بمعاني كثيرة منها التطير من الأنبياء وأتباعهم، فقد ورد بهذا المعنى ست مرات في ثلاثة مواضع: قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) (٢)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَيَّرْنَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٤٧) (٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١) (٤)، كلها جاءت في معرض ذم الله تعالى

(١) انظر الصفحة رقم ١٢ من هذا البحث.

(٢) سورة يس، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٧.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٣١.

لأعداء الرسل الذين كانوا يتشاءمون من الأنبياء وأتباع الأنبياء^(١)، إذ كانوا يظنون أن المصائب التي تحل عليهم هي بسبب أنبيائهم وما يدعونهم إليه، فبين لهم تعالى أن ما أصابهم من خير أو شر إنما هو بقضاء الله وقدره بسبب كفرهم ومعاصيهم وتنكبهم طريق الحق والخير^(٢).

أما المعاني التي يُقصد بها التشاؤم في هذه الدراسة من سوء الظن، واليأس والقنوط، والحزن والأسى، وفقدان الأمل والرجاء، فهو بهذه المعاني له أدلة عديدة من الكتاب والسنة، تنهى عنه، وتحذر منه، وتبين حكمه الشرعي، وتعيب على من اتصف به؛ لأنه بذلك يصبح محبطاً، ويركن إلى الخمول ويرضى بالواقع أياً كان شأنه، من هذه الأدلة ما يأتي:

❦ أولاً: الأدلة الشرعية من القرآن الكريم:

أ - التشاؤم بمعنى اليأس:

أدلة النهي عن التشاؤم بهذا المعنى من القرآن الكريم:

● قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾^(٣).

يقول ابن عاشور: «وجملة إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون تعليل للنهي عن اليأس، فموقع إن التعليل. والمعنى: لا تيأسوا من الظفر بيوسف عليه السلام معتلين بطول مدة البعد التي يبعد معها اللقاء عادة. فإن الله إذا شاء تفريج كربته هياً لها أسبابها، ومن كان يؤمن بأن الله واسع القدرة لا يحيل مثل ذلك فعليه أن يأخذ بالأسباب ويعتمد على الله في التيسير وأما القوم الكافرون بالله فهم يقتصرون على الأمور الغالبة في

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة التراث الإسلامي، لبنان - بيروت.

(٢) التطير مفهومه وآثاره وسبل علاجه، ص ٨، مرجع سابق.

(٣) سورة يوسف، آية: ٨٧.

العادة وينكرون غيرها»^(١).

ويقول سيد قطب: «والذي ييأس في الضرّ من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رحيّة، وكل رجاء في الفرج، ويستبدّ به الضيق، ويثقل على صدره الكرب، فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء.. ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله، ولا سبيل إلى الفرج إلا بالتوجّه إلى الله، ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضرّ والكفاح للخلاص إلا بالاستعانة بالله، وكل يائسة لا ثمرة لها، ولا نتيجة إلا زيادة للكرب ومضاعفة الشعور به»^(٢).

● قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

يقول ابن سعدي أيضاً في تفسير هذه الآية: «إن الله وصف هؤلاء الكفار الذين كفروا بآيات الله ولقائه باليأس من رحمة الله لذلك لم يعملوا سبباً واحداً يحصلون به الرحمة ولو أنهم طمعوا في رحمة الله لعملوا لذلك أعمالاً، وذكر أن الإياس من رحمة الله تعالى من أعظم المحاذير وهو نوعان إياس الكفار وإياس العصاة»^(٤).

● قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥).

وفي تفسير هذه الآية يقول سيد قطب في الظلال: «إنها صورة رهبة ترسم غاية ما وصل إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام من الشدة والكرب والضيق في مواجهة الكفر والعمى والإصرار والجحود، وتمر الأيام

(١) التحرير والتنوير (٤٢/١٤)، مرجع سابق.

(٢) في الظلال (١٨٧/٥)، مرجع سابق.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٢٣.

(٤) تفسير السعدي (٦٢٩/١) مرجع سابق.

(٥) سورة يوسف، آية: ١١٠.

والأعوام، والباطل يقوى ويكثر أهله، والمؤمنون تقل عدتهم وقوتهم، والرسول ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض، فتجتاحهم الهواجس بالتكذيب في هذه الحياة الدنيا، وفي هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب، ويأخذ بها الضيق بمخائق الرسل، وفي هذه اللحظة يجيء النصر كاملاً، حاسماً، وفاصلاً، وتلك سنة الله في الدعوات^(١).

● قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾^(٢).

يقول ابن السعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كالمرض ونحوه ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبداً وأما من هداه الله فإنه - عند النعم - يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء^(٣).

● قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾^(٤).

يقول صاحب التحرير والتنوير: «فَشَأْنُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَنَّهُمْ إِنْ حَلَّتْ بِهِمُ الضَّرَاءُ بَعْدَ النِّعْمَةِ مَلَكَهُمْ الْيَأْسُ مِنَ الْخَيْرِ وَنَسُوا النِّعْمَةَ فَجَحَدُوهَا وَكَفَرُوا مُنْعِمَهَا»^(٥).

● قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾^(٦).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٠٣٦/٤) مرجع سابق.

(٢) سورة الإسراء، آية رقم: ٨٣.

(٣) تفسير السعدي، (٤٦٥/١)، مرجع سابق.

(٤) سورة هود، آية: ٩.

(٥) الطاهر بن عاشور، (١٢/١٢) مرجع سابق.

(٦) سورة فُصِّلَتْ، الآية: ٤٩.

يقول ابن السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: «هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ، مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَعَدَمُ صَبْرِهِ وَجَلْدِهِ، لَا عَلَى الْخَيْرِ وَلَا عَلَى الشَّرِّ، إِلَّا مَنْ نَقَلَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ إِلَى حَالِ الْكَمَالِ، فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أَي: لَا يَمْلِكُ دَائِمًا، مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ، فِي الْغِنَى وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا، وَلَا يَزَالُ يَعْمَلُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَقْتَنِعُ بِقَلِيلٍ، وَلَا كَثِيرٍ مِنْهَا، فَلَوْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، مَا حَصَلَ، لَمْ يَزَلْ طَالِبًا لِلزِّيَادَةِ. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أَي: الْمَكْرُوهُ، كَالْمَرَضِ، وَالْفَقْرِ، وَأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، ﴿فَيُؤْسُ قَنُوطٌ﴾ أَي: يَبْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُظَنُّ أَنَّ هَذَا الْبَلَاءَ هُوَ الْقَاضِي عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، وَيَتَشَوَّشُ مِنْ إِتْيَانِ الْأَسْبَابِ، عَلَى غَيْرِ مَا يَحِبُّ وَيَطْلُبُ»^(١).

ب - التشاؤم بمعنى القنوط:

أدلة النهي عن التشاؤم بهذا المعنى من القرآن الكريم:

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ^(٢).

يقول الطبري في التفسير: «إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْهَا خَصْبٌ وَرَخَاءٌ وَعَافِيَةٌ فِي الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ، فَرِحُوا بِذَلِكَ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ مِنْ شِدَّةٍ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ وَبَلَاءٍ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَقُولُ: بِمَا أَسْلَفُوا مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَرَكَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ^(٣) يَقُولُ: إِذَا هُمْ يَبْأَسُونَ مِنَ الْفَرَجِ، وَالْقَنُوطُ: هُوَ الْإِيَّاسُ»^(٤).

● قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(٤).

(١) تفسير السعدي، (١/٧٥٢).

(٢) سورة الروم، آية: ٣٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٠٢/٢٠) مرجع سابق.

(٤) سورة الشورى، آية: ٢٨.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ أي: من بعد إياس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقدهم إليه، كقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾^(١) ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله»^(٢).

● قال تعالى: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾^(٣) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ^(٤).

يقول ابن السعدي في التفسير: «﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً»^(٥).

قال العلامة الراغب^(٥): «والقنوط هو اليأس من الخير»^(٦).

وتفسيراً لهذه الآية يقول الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وبرزت معها الحقيقة الكلية أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، الضالون عن

(١) سورة الروم، آية: ٤٩

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٠٦/٧). مرجع سابق.

(٣) سورة الحجر، الآيتان ٥٥ - ٥٦.

(٤) تفسير السعدي، (٤٣٢/١) مرجع سابق.

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن) مات سنة ١١٠٨م.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط ١، ١٤١٢هـ، (٦٨٥/١).

طريق الله الذين لا يستروحون روحه، ولا يحسون رحمته، ولا يستشعرون رأفته وبرّه ورعايته؛ فأما القلب النديّ بالإيمان، المتصل بالرحمان، فلا يئأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبّد، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر، فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين وقدرة تنشيء الأسباب كما تنشيء النتائج وتغير الواقع كما تغير الموعود»^(١).

● قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥٢) يقول السعدي في تفسيره: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي لا تئأسوا منها وتقولوا ذنوبنا كثيرة فليس لها طريق ولا سبيل لتصريفها فتصروا عليها فتغضبوا بذلك ربكم ولكن اعلموا أن الله يغفر جميع الذنوب كبارها وصغارها»^(٢).

● قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾^(٤٩)^(٣).

يقول صاحب البحر المحيط: «وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ»، أي: الفقر والضيقة، ﴿فَيَئُوسٌ﴾: أي: فهو يئوس قنوط، وَأَتَى بِهِمَا صِغَتَي مَبَالِغَةٍ. وَالْيَأْسُ مِنْ صِفَةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْقَنُوطُ: أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارُ الْيَأْسِ فَيَتَضَاعَلُ وَيَنْكَسِرُ. وَبَدَأَ بِصِغَةِ الْقَلْبِ لِأَنَّهَا هِيَ الْمُؤَثِّرَةُ فِيمَا يَظْهَرُ عَلَى الصُّورَةِ مِنَ الْإِنْكَسَارِ»^(٤).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فالقنوط من رحمة الله، واستبعاد الرحمة: من كبائر الذنوب، والواجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه، إن دعاه أحسن الظن به بأنه سيحييه، وإن تعبد له بمقتضى شرعه فليحسن

(١) في ظلال القرآن (٤/٢١٤٨).

(٢) تفسير السعدي (١/٧٢٧).

(٣) سورة فصلت، آية: ٤٩.

(٤) ابن حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ.

الظن بأن الله سوف يقبل منه، وإن وقعت به شدة؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يزيلها، لقول النبي ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١).

ج - التشاؤم بمعنى سوء الظن:

أدلة النهي عن التشاؤم بهذا المعنى من القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَطَافَتْهُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٢).

يقول صاحب الظلال: «فهم يظنون بالله غير الحق، كما تظن الجاهلية . ومن الظن غير الحق» بالله أن يتصوروا أنه - سبحانه - مضيعهم في هذه المعركة يقصد معركة أحد^(٣).

● قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾^(٤).

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية هذا الحديث^(٥)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ، فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرَادَهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

فإذا دخلت إساءة الظن بالله على القلب ضَعُفَ التوحيد، وعلى

(١) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٦، ١٤٢١هـ (٢٩/٢).

(٢) سورة آل عمران، من آية: ١٥٤.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/٤٩٦).

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، (٧/١٧٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم ١٥١٩٧، (٣٧٣/٢٣).

المؤمن أن يُنْقَى قلبه من كل ظن سيئ بالله، ولا يظن به إلا الحق، حتى لو أصيب بأعظم المصائب، ووقعت عليه أشد الكروب، وعليه أن يعتقد أن هذا من حكمة الله جل وعلا، وأنه يفعل ذلك بمقتضى مشيئته وقضائه وقدره جلا وعلا^(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن ظنَّ بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم، ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وبأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدبل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً؛ فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته»^(٢).

● قوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾^(٣).

يقول الشوكاني في التفسير: «أي: مَا يَظُنُّونَهُ وَيَتَرَبَّصُونَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ، حَائِقٌ بِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْعَذَابَ وَالْهَلَكَ الَّذِي يَتَوَقَّعُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَاعَانِ عَلَيْهِمْ نَازِلَانِ بِهِمْ»^(٤).

● قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾^(٥).

يقول السعدي في التفسير: «ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها

(١) انظر: <http://www.alukah.net>.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م (٣/٢٠٥).

(٣) سورة الفتح، آية: ٦.

(٤) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط ١، ١٤١٤ هـ.

(٥) سورة الحج، آية: ١٥.

المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أن سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول - إن كان ممكناً - اتت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأيس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم^(١).

❦ ثانياً: أدلة النهي عن التشاؤم من السنة بمعانيه المختلفة:

نجد أن النبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا الحديث قد حذر من إشاعة حالة الإحباط في الأمة، واعتبار ذلك من الأمور المهلكة لصاحبها وللأمة على حد سواء.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»^(٢).

قال ابن حجر رحمته الله مبيناً معنى الحديث: «قيل: المراد: إن الكافر لو يعلم سعة الرحمة لغطى على ما يعلمه من عظم العذاب فيحصل له

(١) تفسير السعدي، (١/٥٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب التوبة ٤٩، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، برقم ٢٧٥٥، (٤/٢١٠٩).

الرجاء، أو المراد أن متعلق علمه بسعة الرحمة مع عدم التفاته إلى مقابلها يطمعه في الرحمة، فمن علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه: لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته، ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانية السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة^(١).

● قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةً أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَأَمْرَأَةً غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَذَكَرَهَا مُؤَنَّةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارُهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(٢).

فهذا ظاهر في أن القانط من رحمة الله مصيره إلى الهلاك، وقوله: «لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ» مبالغة في بيان مآلهم، والتحذير من سلوك نهجهم وسبيلهم، والبعد عن طريقتهم وحالهم حيث وصلوا في الهلاك والبعد درجة لا يُسأل معها عن مصيرهم وعاقبتهم؛ لأن القنوط يُبعد المطلوب، ويورث الحسرة، إذ هو يقنط الإنسان من رحمة أرحم الراحمين^(٣).

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»^(٤).

(١) فتح الباري (٣٠٣/١١)، مرجع سابق.

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، (٣٩٥/٣٩)، رقم الحديث ٢٣٩١٤.

(٣) الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مجلة البحوث العلمية.

(٤) أخرجه البزار، كشف الأستار برقم ١٠٦، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤٨٥/١). وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (١٧/٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٨٧٣٢، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٦٠/١٠)، وابن جرير (٤٦/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٤/١): وإسناده صحيح.

• قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

❦ ثالثاً: أدلة النهي عن الأسباب التي تؤدي للتشاؤم من القرآن والسنة:

نهى الشارع الحكيم عن الأسباب التي تؤدي للتشاؤم كلطم الخدود وشق الجيوب والتلفظ بتمني الموت أو الانتحار أو الاعتراض على القدر. ومن هذه الأدلة ما يأتي:

• قال الرسول ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢).

• قال ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(٣).

• قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح ٦٧، باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، برقم ٥١٤٣، (١٩/٧)، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب ٤٥، برقم ٢٥٦٣، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، (٤/١٩٨٥). واللفظ لهما.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجنائز ٢٣، باب: ليس منا من شق الجيوب، برقم ١٢٩٤، (٢/٨١).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المرضى ٧٥، باب: تمنى المريض للموت، برقم ٥٦٧١، ج ٧، ص ١٢١. وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٤٨، باب: كراهة الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨٠، (٤/٢٠٦٤). واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التمني ٩٤، باب: ما يكره من التمني، برقم ٧٢٣٣، ج ٩، ص ٨٤.

● قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝﴾ (٢٩) (١).

● وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ (*) بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ (**) فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى (***) مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» (٢).



نقترح استبدال (*) بأرقام الهوامش .

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الطب ٧٦، باب: شرب السم والدواء به ومما يُخاف منه والخبيث، برقم ٥٧٧٨، ج ٧، ص ١٣٩، أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان ١، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ون من قتل نفسه بشئ عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، برقم ١٠٩، (١٠٣/١). واللفظ لمسلم.

(*) يتوجأ بها في بطنه معناه يطعن.

(**) يتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه.

(***) يتردى أي: ينزل، انظر شرح صحيح مسلم، للمحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المبحث الثاني: آثار التشاؤم على الدعوة

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التشاؤم على الداعية.

المطلب الثاني: آثار التشاؤم على المدعوين.



المطلب الأول: آثار التشاؤم على الداعية

التشاؤم داءٌ نفسيٌّ خطيرٌ يصيب كثيرًا من الناس، وله عليهم آثار خطيرة، ولكن آثاره ومظاهره على الدعاة والعاملين في حقل الدعوة أشد خطورة وأعظم ضررًا، ويتضح ذلك بعد معرفة أثر وأهمية الداعية في المجتمع^(١). ومن أبرز هذه الآثار:

(١) انظر ص ٥٦ - ٥٧ من هذا البحث.

١ - الآثار النفسية:

● إن التشاؤم يصيب صاحبه بالهزيمة النفسية؛ والتي تعتبر من أبرز آثار التشاؤم واليأس والقنوط من رحمة الله؛ فاليأس يفل القلوب ويأسر النفوس ويغتيال الأحلام ويقتل الآمال، فيتحول الداعية لمهزوم نفسياً، وينعكس ذلك على قراراته وخطواته وتحركاته وخططه ومشروعاته، وتنعكس هذه الهزيمة أيضاً على سلوكه وهديه وسمته ودله، فتري كثيراً من المنهزمين نفسياً أسرى الأوهام والظن، ويتولد عندهم فقدان ثقة وشك في صحة المنهج والطريق والعاقبة، كما أن التشاؤم يعتبر مظهراً من مظاهر انخفاض أو اعتلال الصحة النفسية لدى الفرد، لأن التشاؤم يستنزف طاقة الشخص، ويقلل من نشاطه، ويضعف من دوافعه وتفكيره، ويبعده عن مظان الأمل والسعادة والثقة بالنفس والنجاح، ولذلك فإن التفاؤل من مظاهر الصحة النفسية الجيدة.

● الانبهار بما عند الغير - خاصة الغرب - من قوة وتقدم، والشعور المتنامي بالدونية أمام جبروت الخصوم وقوتهم، والثقة المطلقة بأعداء الأمة أنهم قادرون على إنفاذ مخططاتهم ومؤامراتهم ضد الأمة، وأنهم ممسكون بزمام الأمور في العالم بأسره، ويستتبع ذلك أيضاً تصديقاً لأعداء الأمة في كل ما يروجونه من أباطيل وأراجيف، لا سيما ما يتعلق بتاريخنا العظيم الذي تعمّد الغرب تشويهه وإهالة التراب على نقاطه المضيئة والنظر لكل ما هو أجنبي من أشخاص، وأفكار، وإنتاج، بعين الإكبار، والإجلال، والاحترام، والتوقير، أما ما هو وطني من أشخاص، وأفكار، وإنتاج، فينظر إليه بعين الاحتقار، والسخرية، والازدراء، والاستهزاء^(١).

● التشاؤم يؤدي إلى الاكتئاب وكثير من الأمراض النفسية، فقد أظهرت نتائج دراسة نفسية، وجود علاقة إيجابية دالة بين كل من الاكتئاب

(١) آفات في طريق الدعوة، السيد محمد نوح، ص ١٠٣، مرجع سابق.

والتشاؤم واليأس والقلق والوسواس القهري، وكذلك بين التشاؤم وكل من عدد ساعات النوم في النهار، وعدد مرات الاستيقاظ أثناء الليل، وبين التشاؤم والشعور بالوحدة، وبين التشاؤم والشخصية الفصامية، وبين التشاؤم والأعراض الجسمية، وبين التشاؤم والعصابية، وبين التشاؤم ومصدر الضبط الخارجي، من ناحية أخرى وجدت ارتباطات سلبية دالة بين التشاؤم والاكتئاب، والتشاؤم والصحة، وبين التشاؤم وكل من الصحة النفسية والشعور بالسعادة^(١).

● المتشائمون يقيمون أداءهم بصورة أكثر سلبية ويقللون من قيمة كفاءة أدائهم، وأن هناك تدهوراً في تقدير الذات لديهم، يبالغون في إدراك جوانب الضعف والقصور، والتهوين من المزايا والإيجابيات والنجاح الشخصي ويشعرون عادة بعدم الاستقرار، ويرجع هذا إلى سيطرة المشاعر السلبية نحو الأشياء والأحداث وجوانب الحياة بصفة عامة، والشعور بأن ما يؤديه المتشائم من أنشطة وأعمال غير مجدية، وقد تلقى الإهمال والتجاهل من جانب الآخرين^(٢).

● التشاؤم يؤدي إلى الانطواء والانعزال والانسحاب الاجتماعي؛ فالروح السلبية والكآبة التي يعيشها المتشائم تجعله يرى أنه لا فائدة ترجى من الحياة والناس، فيدعوه ذلك إلى الانطواء على الذات والانعزال عن الناس، فيقل أثر الداعية، وتنكمش دعوته^(٣).

(١) دراسة علمية نُشرت في مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد الثاني، العدد الأول، كلية التربية، جامعة البحرين، محرم ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، وللمزيد عن الدراسة انظر في صفحة ١٤ من هذا البحث ضمن الدراسات السابقة . وانظر. التفاؤل والتشاؤم، المفهوم، القياس، المتعلقات مرجع سابق ص ١٨، بدر محمد الأنصاري (١٩٩٨) جامعة الكويت، الكويت ص ١٨.

(٢) موقع النور للدراسات، التفاؤل والتشاؤم مفهومها أسبابها والعوامل المؤثرة فيها د. فضيلة عرفات ٢٠٠٩/٠٣/١٢. www.alnoor.se/article.

(٣) دع التشاؤم واربح الحياة، محمد العلوي، دار الكلمة الطبية بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١٨. متفائلون، ص ٤٠، مرجع سابق.

٢ - الآثار الصحية والبدنية:

● يؤثر التشاؤم على صحة البدن؛ فيؤدّي إلى ضعف البدن وهزاله؛ لأن المتشائم يضع في ذهنه ألا فائدة من العلاج فيستسلم للمرض، وألا فائدة من مقاومة أدواء النفس فيقعد عن التطب الذي أمر به الرسول - ﷺ - في قوله: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ»^(١)، قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - في زاد المعاد في شرح هذا الحديث: «وفي ذلك تقوية لنفس المريض والطبيب وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا شعرت نفسه أن لدائه دواء يزيد تعلق قلبه بروح الرجاء، ويرد من حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه»^(٢).

وقال ﷺ: «إن الله لم ينزل داء - أو - لم يخلق داء إلا أنزل - أو - خلق له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام قالوا: يا رسول الله وما السام؟ قال: الموت»^(٣).

● التشاؤم يضعف جهاز المناعة، ويقلل من نسبة الشفاء، ويزيد من معدلات الموت المبكر^(٤).

● التشاؤم يؤدّي إلى الشعور بآلام حسية تتضاعف بسبب الآلام المعنوية: كفقدان الشهية، وآلام الظهر، واضطرابات النوم، والإغراق في الحزن، وآلام المعدة وسوء الهضم، والصداع، وفقدان الرغبة الجنسية،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام ٣٩، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، برقم ٢٢٠٤، (١٧٢٩/٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط ٢٧، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م (١٥/٤).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ، كتاب الطب، (٤٤٥/٤)، برقم ٨٢٢٠.

(٤) موقع النور للدراسات، د فضيلة عرفات / ٢٠٠٩/٠٣. www.alnoor.se/article.

والفشل في العلاقات العاطفية وقد يسبب ذلك انهيار أسر وتشتتها^(١).

● تشويه عقل الداعية من كثرة التفكير والظنون المستميتة فيضعف ذكاؤه وبالتالي يتخذ قراراته بعجلة فلا يراقب نفسه ولا يزن كلامه، ثرثار بلا وعي وأحمق نحو روحه عرض نفسه للمهالك فلا يصلح أن يوجه أحداً، ولا يدعو أحداً، ولا أن يترأس أحداً لأن قراراته تعيسة وأفكاره مريرة فيهدم مشاريع ويحطم أجيالاً، فهو لا يصلح لقيادة الأمة ونهضتها^(٢).

❁ ٣ - الآثار الدعوية:

بعد أن تعرّفنا على أثر التشاؤم النفسي والصحي البدني على الداعية، نأتي إلى الأهم من ذلك وهو التعرف على أثر هذا التشاؤم على الدعوة.

أولاً: دنو الهمة:

التشاؤم، لا يثير الهمة، ولا يدفع إلى العمل، بل يجعل صاحبه ينتظر النهاية التي وضعها هو لنفسه، فمثله كمثل من شبّ في مكانه حريق، وسيطر عليه شعور بأنه ليس هناك مخرج، فماذا يصنع؟ لن يصنع شيئاً، لن يفكر، لن يحتال، سيبقى ينتظر الموت، وهي النهاية التي تنتظره، وهكذا التشاؤم.

حين يسيطر التشاؤم على الداعية، فإنه لن يصنع شيئاً، بل يتسبب في الفشل والتأخر في الدعوة مع التشاؤم واليأس يرتدي الداعية منظاراً أسود، يرى به كل الأمور من حوله قاتمة لا نور فيها، ميتة لا حياة فيها، بائسة لا أمل فيها، مع اليأس يتحول الداعية من شعلة نشاط إلى رماد فاتر، ومن منارة للهدى إلى حطام إنسان، لا يفكر ولا يعمل ولا يحلم؛ بل لا يفكر حتى في الحلم^(٣).

(١) متفائلون، عبدالكريم بن عبدالعزيز القصير، ص ٣، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٣) موقع نصلح. www.noslih.com.

إن الداعية المتشائم لا يتصور سوى الإخفاق في كل عمل يعمل به، فلا يقدم على أي مشروع ولا يبدع ولا يخدم دينه وأمته؛ فقد ثبت بالدراسة^(١) وجود ارتباطات سلبية دالة بين التشاؤم والدافعية للإنجاز، وبين التشاؤم وكل من الدراية بالعمل وجودته ومعدل الإنتاج والانضباط وحصافة الرأي والتوجيه والأداء بشكل عام والمبادرة والتعاون والقدرة على التخطيط، فالمتشائم خائر النفس، كسل فاتر، مبغض لكل نشاط، متعلل بهذه الجملة: أنا قدرتي أن أكون مريضاً تعيش غيباً... وهذا حظي فاتركوني على حالي، لأن الله خلقني هكذا.. فلا يعمل بالأسباب ولا يتكل على الرب جل جلاله، فهو يعيش في الإرجاء ولا شك أن تكرار تأنيب النفس وتحطيمها من الداخل، يؤدي إلى الشلل واليأس، وهذا مذموم في الشرع! عكس المتفائل الذي يقوم لعمل ويقول: قدرتي أن أفعل السبب ثم أتكل على ربي!!.. قال ابن قدامة^(٢).

«واعلم أن الرجاء محمود لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم، لأنه صارف عن العمل»^(٣).

إن التألم والسخط والتضايق من الواقع بسبب انتشار الفساد وانتهاك حرمانات الله، دليل على الغيرة، وربما يكون أكثر دفعاً للإصلاح، إذا وقف هذا الشعور عند حد معين، ولكن إذا زاد هذا الشعور عن هذا الحد

(١) الاكتتاب والتشاؤم، د. سامر جميل رضوان، أستاذ مساعد في قسم الصحة النفسية، كلية التربية، جامعة البحرين، عام ٢٠٠١م.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله، ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل، ثم الدمشقي الصالحي، ولد سنة ١٣٠٥ ومات سنة ١٣٤٣م، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة. يقال له «ابن عبد الهادي» نسبة إلى جده الأعلى. أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما. وصنف ما يزيد على سبعين كتاباً، ومات قبل بلوغ الأربعين. من كتبه: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية وفضائل الشام. انظر الأعلام (٣٢٦/٥).

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، تقديم الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، (٢٩٩/١).

وتجاوز ذلك فإنه لا يحرك في الداعية ساكناً حتى في أبسط المواقف؛ فالداعية بهذا التشاؤم عندما يرى شخصاً يقع في منكر ويهم بنصحه وهو بهذه الحالة من اليأس والتشاؤم من استجابته، فلن يندفع إلى العمل ولن يعمل، وفي حال أنه تجرأ وقام بالنصح والإنكار عليه، فإن غاية ما يفعله أن يسجل موقف الاعتراض وأنه قال كلمة، أما أن يعمل وينتظر التغيير فهذا لا يمكن أن يحصل مع التشاؤم واليأس، فعندما يتشائم الداعية، حتماً سيؤدّي به هذا التشاؤم إلى القعود عن العمل والدعوة والتربية والبناء، والقعود عن نصره دين الله في الغير أو في النفس وفي الغير معاً بدعوى أننا أهل الله وأولياؤه، وقد عملنا طويلاً وتعبنا كثيراً ولم نجن من وراء ذلك نصره على أعدائنا بل على العكس كانت الشدائد والامتحانات شدة بعد شدة، وامتحاناً بعد امتحان، كما حكى الله ﷻ عن نفر من الناس يوم أحد: ﴿وَطَافَهُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾^(١)، هذا القعود والتخلف عن نصره دين الله وعن التربية والبناء ينعكس في صور كثيرة من أبرزها التخلي عن السنن والآداب الإسلامية، امتلاء القلوب بالخوف والفرع من قوة الخصوم، الانشغال بأمور الدنيا والانغماس في مباحاتها وشهواتها^(٢).

ثانياً: التشاؤم يقضي على الاتجاه نحو الإصلاح والتغيير:

إن الداعية المتشائم اليأس لا يفكر في التغيير والإصلاح، سواءً في واقعه هو أو في واقع أسرته أو في واقع مجتمعه الذي ينبغي أن يتحمل - هو وغيره من المسلمين - مسؤولية تغييره. يجد نفسه جامدة لا تقبل تغييراً ولا تطلب تجديدًا، ولا تبحث عن دافع يحركها من مقامها التي هي فيه لا

(١) سورة آل عمران، من آية: ١٥٤.

(٢) موقع الخطباء www.khutabaa.com، وانظر كتاب آفات على طريق الدعوة، ص ٤، مرجع سابق.

يغير نفسه، ولا يجدد قلبه ولا يعمل على تحريك ساكن حوله؛ فهو ميتٌ في ثوب حي. فلا بد للداعية المصلح من بذرة أمل تنبت في نفسه، لتشرق بيضاء نقية تعمل على دفعه إلى تحقيق ما يريد إصلاحه؛ فالمصلح يقف عكس اتجاه الرياح، ويعاكس التيار، ولا بد له من الأمل حتّى يتمكن من تصور إمكانية الإصلاح والتغيير، واستمرارية هذا الإصلاح، وإقناع الناس بجدواه، مع اتباع خطوات علمية مدروسة، والاستعانة بصحبة صالحة، فإذا تحقق ذلك، تحقق الإصلاح بإذن الله، وإلا كان العكس، فكم من داعية مصلح أخفق في عمله لما فقد الأمل، وكم من تغيير وُئِدَ قبل أن يرى النور ليأس أصحابه وتشاؤمهم، وعدم أملهم في حصول الإصلاح، وعدم اتخاذ الخطوات العملية المناسبة، وإنه مما ينبغي أن يُعلم أن كل مجتمع مهما بلغ من التردّي والانحطاط؛ فإنّ فيه قابلية للإصلاح، ومهما بلغ من الضعف؛ فإنّ فيه قابلية للقوة^(١).

ثالثاً: الفهم الخاطئ للأحداث:

التشاؤم يؤثر على تفكير صاحبه، فتراه يفترض مخاطر وأموراً لم تقع أصلاً، وتتحول الأوهام عنده إلى حقائق، وتصبح الأحلام واقعاً ملموساً لدى هؤلاء، هذا على مستوى ما لم يقع، أما ما يقع من الأحداث فهو يفهمها فهماً آخر يتفق مع نفسيته اليائسة التي سيطر عليها الوهن، تسيطر عليه دائماً النظرة التآمرية، يشعر أن هذه الأحداث مؤامرة، وأنها مؤامرة ضخمة، وأنها قد حيكت خيوطها، ودبرت بليل. فكل ما يقع من أحداث يفسره من خلال نفسيته، وطريقة تفكيره ويبالغ في تصور المؤامرات، كمن يرى أن الإنترنت ما هو إلا مؤامرة للتجسس على المسلمين، ومثل هؤلاء لا يمكن أن يعملوا، ولو عملوا بروح الفشل والهزيمة، والشعور بأن كل صيحة يمكن أن تدور عليهم وتصبح

(١) الأمل وأثره في حياة الأمة، ص ٥٣، وانظر كتاب متفائلون، ص ٤٠، مرجع

عليهم. كما أنهم يفهمون الأحداث المبشرة فهماً يتفق مع نفسيتهم، فالمتشائمون كعادتهم يشككون في صحة الأخبار السارة ويهونون من شأنها، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيشككون في الدوافع التي كانت وراء هذه الأحداث، متصورون أن هذا استدراج من العدو حينما يعطي مثل هذه الفرص، ويقولون: إن هذه مؤامرة يراد من خلالها الانقضاء أو كشف صفوف الأتباع إلى غير ذلك من التصورات الخاطئة، فإذا حدث أحدهم عن الصحة وانتشارها، تراه يهون من شأنها ويقول لك: إن هذه الظاهرة محدودة وضعيفة، فهي من حيث الحجم أقل مما تتصورون، ثم هي من حيث الكيف ومن حيث المحتوى ضعيفة وضئيلة، وأقل من أن تواجهه... إلى آخره فكيف لمن كان بهذا الفهم أن يعمل ويدعو وينجح؟!^(١).

رابعاً: تفويت فرص النجاح:

إن الداعية المتشائم من فقد الأمل وضعفت نفسه، وقلت عزيمته، وتأخر عن أقرانه، وفاته خلانه، وتأخر عن بلوغ الآمال، وتحصيل معالي الأمور. ولذا، فكم من فرصة سانحة قد فوّت؟ وكم من مقام خير قد نكل عنه؟ وكم من موقف شجاع قد أحجم عنه؟ ولكن تشاؤمه ونظرته السلبية للحياة، تفوّت عليه فرص الخير والنجاح، فلا يحقق شيئاً ذا أهمية في حياته، فلسان حاله اليأس، وعنوانه القصور، ولا ينطق إلا بعدم جدوى أيّ فعل؛ فهو جامد ساكن لا يتحرك، فالسكون مدعاة للفساد، والهمة الساكنة مدعاة للنضوب. ولذا، فكم جنى اليأس على نفسه أولاً؛ وعلى أمته ثانياً؛ بالفت في عضدها، والإضعاف لقوتها، والإيغار لصدور أعدائها عليها، والتأخير لكل عمل خير فيها^(٢).

(١) موقع إسلام ويب، محاضرة (اليأس لا يصنع شيئاً) للشيخ: محمد الدويش . islamweb.net

(٢) الأمل وأثره في الأمة، ص ٦٥، مرجع سابق، وانظر كتاب دع التشاؤم واربح الحياة، ص ١٨، مرجع سابق.

خامساً: الحرمان من العون والمدد الإلهي:

إن من سنن الله - سبحانه - الماضية في خلقه - منح التأييد التام، والعطاء الكامل لمن وصلوا أنفسهم به، فأحسنوا الظن به ومضوا على الطريق مجاهدين، لا همّ لهم إلا مغفرته ورضوانه، أما إن أساءوا الظن به وتشاءموا، فإنه يقطع عنهم عونه، ومدده، وإن كان فلا يكون كاملاً، وربما يكون من باب: ﴿سَسَدْنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{(١)(٢)}.

سادساً: تعريض الداعية لغضب الله وسخطه:

وذلك أن التشاؤم إذا وصل إلى حد القعود عن أداء الواجب، وهذا يجر إلى كثير من المعاصي والسيئات، والمعاصي والسيئات توجب غضب الله، وسخطه، وماذا يجني من حل عليه غضب الله وسخطه، سوى الضياع والعذاب، وصدق الله: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^{(٣)(٤)}.

سابعاً: التسرع في اتخاذ الأحكام:

فالداعية المتشائم لا يُدقق ولا يترَوَّى ولا يفكر بصورة منهجية؛ لأنه ينظر إلى الأمور نظرة سلبية فيتسرع في اتخاذ الأحكام والقرارات، فتأتي خاطئة أو خطيرة أو مهلكة بخلاف الداعية المتفائل صاحب النظرة الإيجابية، فإنه يرى في الحياة بياضاً وسواداً، أما هو فينظر إلى الحياة بنظرة سلبية فيراها كلها سواداً، وبالتالي فمنهجيته سوداء بل لا منهجية له؛ لأن المنهجية تأتي من التنوع والخيارات المتعددة أمّا السلبي فلا يرى الحياة إلا بلون واحد فأين هو من المنهجية؟!^(٥).



(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٢.

(٢) آفات على الطريق، ص ١١٧، مرجع سابق.

(٣) سورة طه، آية: ٨١.

(٤) آفات على طريق الدعوة، السيد محمد نوح، ص ١١٧، مرجع سابق.

(٥) دع التشاؤم واربح الحياة، محمد العلوي، ص ١٩ - ٢٠، مرجع سابق.

المطلب الثاني: آثار تشاؤم الداعية على المدعوين^(١)

ممّا تقدّم تبين لنا أثر التشاؤم على الداعية من إصابته بالكآبة والروح السلبية التي لا تتوقّف عنده ولكنها تمتد لتعم المحيطين به؛ فالتشاؤم شعور ينتقل كالعدوى من صاحبه إلى من حوله؛ فالداعية المتشائم لا يكتفي بهدم نفسه، وإنما ينزع بطبيعته إلى نشر وبائه النفسي للعالم، فتراه دائماً يتحدث مع الآخرين أنه لا أمل، يثبط همم الدعاة والمخلصين والعاملين لدين الله بصدق وجدية، بدعوى أنه لا فائدة من كل هذه الجهود، وأنها ستذهب أدراج الرياح، وبدعوى الإشفاق والرحمة بهذا الصنف من الناس، وأنه لا داعي أن يتعب هؤلاء أنفسهم، وأن يجروا عليها من المحن والشدائد ما لا يعلمه إلا الله، ولا سيما بعد أن صار الأمر بأيدي أعدائهم وقد أصبحوا اليوم هم حكام العالم، وساسته في النظام العالمي الجديد، يكفيهم أن يكونوا - هم، وأهلوه، وأولادهم وذووهم - مسلمين في أنفسهم، ولا علاقة لهم بالآخرين، إذ الحق - تبارك وتعالى - يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٢)، وحينئذٍ يتحمل الداعية المتشائم إثمين؛ الأول: إثم تشاؤمه وقعوده عن أداء دوره، والقيام بواجبه.

والآخر: إثم تشييط همم الآخرين، وتعطيلهم عن المضي في الطريق. فهو إذا سمع موعظة تنهد وظن أنه يعيش في ققام الرعب فحوقل صارخاً، يسمم حياته ويوهن غيره عن العمل ويثبط عزائم العظماء بأسلوب التهويل والمبالغات، وإذا شاهد مشروعا قائماً وقف محذراً. فهو يئد المشروعات

(١) انظر موقع الإيمان بتصرف، www.al-eman.com، وانظر آفات على الطريق، الدكتور السيد محمد نوح، (١٠٣/٣)، مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

والأفكار الطموحة، والتي يتوقع منها أصحابها أن تثمر وتنتج، فعندما تُطرح مثل هذه المشروعات على مجتمع المتشائمين اليائسين، فإنها توأد؛ لأن نظرتهم سوداء قاتمة فهم ينظرون إلى جوانب الفشل ويتنبؤون بالفشل قبل النجاح.

وإذا لم يستطع الدعاة اليائسون والمتشائمون أن يبنوا الحياة السوية، والسعادة الحقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يبشّرون بها سواهم، وفقد الشيء لا يعطيه....

ومكلف الأشياء ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار^(١)

كما أنّ الداعية المتشائم ينظر إلى العصاة والبغاة نظرة اليأس من إصلاحهم بالحكم عليهم مسبقاً بعدم الإجابة؛ ونسي هذا الداعية أو تناسى أنّ الله تعالى يقلّب القلوب والأبصار كما يقلّب الليل والنهار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢)، إنّ الداعية المتشائم اليأس من توبة العاصين المذنبين، قد يكون داعية لهذا اليأس وسبباً فيه؛ حينما يتهم العصاة بغلظة، وينهرهم بقسوة، فتدفعهم هذه الخصومة المنكرة، أن يتمادوا في غيهم معاندين مكابرين، وقد كانوا يرجون منه كلمة حانية، ونصيحة هادية!

لماذا يغفل كثير من الدعاة أن يكون هؤلاء العصاة في يوم من الأيام أفضل منهم عند الله، حينما يفيق أحدهم من غفلته، ويتوب إلى ربه، ويتحول بذل المعصية، من أخشع الخاشعين، بينما غيره يتعالى منتشياً بطاعته.

وليتأمل الدعاة المتشائمون هذه الأحاديث الشريفة:

(١) أبو الحسن علي بن محمد التهامي الشاعر المشهور، انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ٣٧٨ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) سورة القصص، آية ٥٦.

- قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَّيْنِي وَرَبِّي أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَفَبَضَّ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدُ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»^(١).

وَعَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى ^(*)(٢) عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَاتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا. مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ فُغْفِرَ لَهُ»^(٤).

(١) أخرجه أبى داود في سننه، كتاب الأدب ٤٠، باب: في النهي عن الغي، برقم ٤٩٠١، (٢٧٥/٤).

(٢) * معنى يتألى يحلف والألية اليمين، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ٤٥، باب: النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، برقم ٢٦٢١، ج ٤، ص ٢٠٢٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء ٦٠، باب: حديث الغار، برقم ٣٤٧٠، (١٤٧/٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة ٤٩، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم ٢٧٦٦، (٢١١٨/٤).

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَنْ لَمْ يُقْنِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَا سِوَاهُ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ وَلَا عِلْمٌ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُُّمٌ وَلَا قِرَاءَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَذَبُّرٌ»^(١).

ومعروف عن عمر رضي الله عنه أنه كان شديداً في الحق، ولكنه في الوقت نفسه كان رقيقاً ليناً بالعصاة يدعوهم ويرجو هدايتهم، ويذكرهم بغفران الذنوب، قبل أن يذكرهم بشدة العقاب؛ فعن يزيد بن الأصم: أن رجلاً كان ذا بأس وكان يوفد على عمر رضي الله عنه لبأسه وكان من أهل الشام، وأن عمر فقدته فسأل عنه ف قيل له: تتابع في هذا الشراب.. فدعا كاتبه فقال اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمن من عنده، ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأ ويقول: غافر الذنب.. قد وعدني الله أن يغفر لي، وقابل التوب شديد العقاب. قد حذرني الله عقابه، ذي الطول، والطول الخير الكثير، لا إله إلا هو إليه المصير، فلم يزل يرددّها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره، قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحداً لكم زل فسدوده ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه. وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة، فقرأ عمر رضي الله عنه ﴿حَمِّ﴾ تَنْزِيلُ أَلَكُنْتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿٣﴾، وقال: اعمل ولا تيأس^(٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، مرفوع، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) سورة غافر، الآيات: ١ - ٣.

(٣) تفسير ابن كثير، سورة غافر، (١٢٨/٧).

إن دعاة التشاؤم واليأس.. يجرّون الناس للمعاصي جرأً؛ فحينما تُرتكب المعصية لا يُفكّرون أبداً في شيء من معاني التوبة والندم والرجوع إلى الله تعالى.. وإنما أول ما يشغل تفكيرهم إنكار المنكر، والأخذ على يد الجاني.

إن الله ﷻ - كما قدّمنا سابقاً - نهى عن التشاؤم واليأس، ورغب في التوبة، فكيف بداعيةٍ حصيف أن يُعرض عن هذه الرغبة الإلهية، أو تغيب عنه هذه المعاني التي تؤهل المخطئ لصفحة جديدة في حياته؟!

كما أن الرسول ﷺ أيضاً قاوم كل بذور اليأس، ووقف في وجه كل دعوة للقنوط من رحمة الله، وأقسم بربه.. أن توبة هذا المذنب، لو وزعت على أهل الأرض لكفتهم أجمعين!

إنّ الداعية المتشائم لا يتسع صدره للعصاة؛ نظرته لهم قاسية، فإذا مرّ بأحدهم عبس في وجهه وأعرض عنه، بل ربما لمزه أو غمزه بكلمةٍ أو حركة، حتى يدفع هذا المذنب لا لكي يتوب، وإنما ليرمي نفسه في البحر منتحراً، أو يلقي بها من فوق قمة جبل شاهق، ليتحمل وزره في النهاية بحماقته وجهله. وإذا عاتبت هذا الداعية المؤنب، يبرّر فعله هذا بأنه يريد أن يشعره بذنبه، ويُجرّعه مرارة معصيته، حتى لا يعود لمثله مرة أخرى، ولكنه للأسف لم ينصرف عنها فقط، وإنما انصرف عن الحياة جملة.

إن الداعية الذي فقد التفاؤل بعودة وتوبة وأوبة المذنبين العاصين فسلك القسوة مركباً له، لن يُكتب له القبول ولن تتمكن دعوته من قلوب المدعويين... ولو أن هذا الداعية على درجة من الفهم... ولو أنه سلك مسلك التفاؤل لكان له مع المذنب شأنٌ آخر يقوده للتوبة والإنابة، ويزرع في قلبه الأمل والرجاء، ويفتح له صفحة جديدة من الطاعة والإيمان.

فكما أن الله تعالى شديد العقاب، فهو أيضاً غفورٌ رحيم، ولكن؛ يغفل دعاة اليأس عن المعنى الثاني، ولا يدركون من حقائق ربهم سبحانه إلا أنه شديد العقاب؟!

ألا فليعلم دعاة اليأس علم اليقين، أن الذنوب والمعاصي القديمة لا

يجوز أن تكون عائقاً أمام أوبة صادقة، وتوبة حقيقية، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) (١)، وقد قال الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «لا تؤودنك كثرة الخطايا، فلو كانت ركاباً أسود كزبد البحر، ما بالي الله عَنِّي بالتعفية عنها، إن أنت اتجهت إليه قصداً، وانطلقت إليه ركضاً» (٢).

إن التشاؤم يؤدي بالداعية إلى بغض المدعويين من العصاة والمذنبين، وهذا مخالفٌ لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والتي تحثنا وتدعونا إلى كره المعصية لا كره العاصي، وإلى كره الذنب لا كره المذنب؛ لأن كرهه وبغض العاصي بفعل معصيته، فإنه يؤدي إلى إصرار العاصي على معصيته. والمطلوب دائماً فك الارتباط بين الذنب والمذنب، وبين العاصي والمعصية.

ينبغي على الداعية أن يحاصر المعاصي ويحول دون اتساعها وانتشارها، أما العاصي فينبغي عليه أن يستمر في دعوته وإرشاده للإقلاع عن معاصيه.



(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) جدد حياتك، محمد الغزالي، إشراف عام داليا محمد إبراهيم، ط ٩، ٢٠٠٥م، ص ١٤.

المبحث الثالث: أسباب التشاؤم وعلاجه

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب التشاؤم عند الداعية.

المطلب الثاني: علاج التشاؤم عند الداعية.



المطلب الأول: أسباب التشاؤم عند الداعية

ليست ظاهرة التشاؤم واليأس والتي تتعلق بالدعوة والعمل الإسلامي من الأمور التي تحدث بلا سبب، بل لهذه الظاهرة أسبابها ومكوناتها، وفي الوقت نفسه لها أمور داخلية وخارجية تغذيها وتنميها، ومن هذه الأسباب:

❦ أولاً: عدم معرفة الله ﷻ حق المعرفة:

فمن عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته، وأنه منزّه عن كل نقص،

موصوفٌ بكل كمال، ﴿نَبِّزَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) (١) فهو الخالق، المالك، المدبر، الناصر لأهله، وأوليائه، الرحيم بهم، المنتقم من أعدائه، المذل لكبريائهم، الذي يمهل ولا يهمل، إلى غير ذلك من الصفات، أيقن أن من توكل على الله ﷻ وحده كفاه من شر كل ذي شر، وكيد كل ذي كيد، فالله كافٍ عبده، وناصر جنده، شريطة أن يكونوا أهلاً لهذا النصر، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) (٢)، متحلين بالتقوى والقوة واليقين والصبر؛ لأن طريق الدعوة طويل، والساقطون على جنباته كثير، لا ينجو إلا المخلصون، ومن تخلّفت عنه هذه المعارف، ساء ظنه بربه ﷻ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمَاتُ بِاللَّهِ ظَرْفٌ السَّوْءِ﴾ (٤)، وأصابه التشاؤم واليأس وفقد الثقة بالله سبحانه وتعالى وتصور أن الله لن يعفو عنه ولن يؤيده وينصره. ومن أجل أن يبتعد المسلم عن هذا الظن السيء، ألزم الله المسلم التأمل المستمر في النفس، وفي الكون، وجعل هذا التأمل طريقاً لمعرفة الله حق المعرفة، وتماثل الثقة واليقين، فقال - سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٦) (٥)، ﴿سَرِّبْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٦)، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَابِنِيهِ فَنَعْرِفُونَهَا﴾ (٧).

إن التعريف بالله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العليا، تتجلى بصورة واضحة في آيات القرآن الكريم، بصورة تزرع الثقة واليقين به سبحانه وتعالى، من أول آية نزلت على رسول الله ﷺ، يقول سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي

(١) سورة الرحمن، آية: ٧٨.

(٢) سورة محمد، آية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٦) سورة فصلت، آية: ٥.

(٧) سورة النمل، آية ٩٣.

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾^(١)، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾^(٣)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات.

وكما اهتم القرآن الكريم بالتعريف بالله وأسمائه وصفاته، اهتم النبي عليه الصلاة والسلام بذلك أيضاً فقال ﷺ وهو يبين قدرة الله ﷻ: «بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث» فقال الناس: سبحان الله، بقرة تتكلم، فقال: «إني أؤمن بهذا أنا، وأبو بكر، وعمر» وما هما ثم، «وبينما رجل في غنمه، إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري»، فقال الناس: سبحان الله: ذئب يتكلم، قال: «فإني أؤمن بهذا أنا، وأبو بكر، وعمر» وما هما ثم^(٥)، وقال ﷺ في بيان إمهال الله للظالمين، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»^(٦).

(١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

(٢) سورة الفاتحة، الآيات: ١ - ٤.

(٣) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: استعمال البقرة للحرث، (٢٩٠/١١)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ - برقم ٢٣٨٨ (١٨٥٧/٤) «بدون لفظة وما هما ثم».

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، آية]، ١٠٢، برقم ٤٦٨٦، (٧٤/٦).

(٦) آفات على طريق الدعوة ص ١٠٨ - ١٠٩ مرجع سابق، وانظر موقع

ثانياً: عدم معرفة النفس معرفة حقيقية:

ويُقصد بذلك أن الداعية إذا لم يعرف نفسه معرفة حقيقة، وأن الله قد أودع في هذه النفس طاقات وإمكانات هائلة تؤهلها لمهمة العبودية، والاستخلاف في الأرض، ويدلّ على ذلك الحديث الشريف إذ يقول ﷺ: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه يخفيها من شماله»^(١).

وإذا كانت النفس بهذه الإمكانيات والطاقات، فلم يتبقى للداعية إلا أن يجاهد نفسه، وأهواءه، ونزعاته، وإذا لم يعرف المرء نفسه بهذه الصورة، فإنه ينهزم من داخله، ويحتقر هذه النفس، ولا سيما في هذه الآونة التي نعيشها اليوم والتي أمسك فيها العدو بخناقنا، وأكثر فيها من إطلاق الدعايات والأكاذيب بأننا ضعفاء، ولسنا قادرين أن نفعل شيئاً، وحينما ينهزم المرء من داخله، ويحتقر نفسه يكون التشاؤم من أقل شيء، ومن أدنى موقف. ولهذا حذّرنا الرسول ﷺ من الانهزام النفسي، والاستسلام، والضعف، والخور، إذ يقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز...»^(٢). وقال ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمراً لله

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم ١٢٢٥٣، مسند الإمام مالك، (٢٧٦/١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير له، رقم ٢٦٦٤، (٢٠٥٢/٤).

عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فيأي كنت أحق أن تخشى^{(١)(٢)}.

يعتقد بعض الدعاة المتشائمين، أنه ليس في مقدورهم واستطاعتهم أن يحققوا إنجازاً ولا هدفاً، فيستهينون بمقدرتهم ومقدرة إخوانهم، ويظنون أن الأهداف الموضوعة هي أهداف كبيرة، يعجزون هم ومن معهم عن القيام بها وأدائها، فتميل نفوسهم إلى الركون وترك العمل، لأنها لن تحقق - بحسب زعمهم - أي نتيجة أو هدف. وإذا استطاع هو أو من معه تحقيق أي إنجاز، فإنه يستهين بها، ويظنها أموراً لا قيمة لها، في حين لو قام بها غيره لرأى فيها إنجازاً غير مسبوق^(٣).

❁ ثالثاً: التعجل في النتائج وعدم رؤية الثمرة:

ويعني ذلك أن يستمر الداعية في أنشطته ليلاً ونهاراً، سراً وجهاً من حيث التوجيه والإرشاد والوعظ والتذكير بالعديد من الوسائل الدعوية، ثم لا يرى لجهده ثمرة واضحة له أمام ناظره؛ فإذا به يتقاعس عن الاستمرار والمضي في دعوته، فإما أن يكسل أو يترك^(٤).

وكثيراً من الدعاة عندما يسировون في الطريق، ثم يجدون أن الأعوام تمضي وهم لم يحققوا شيئاً مما يدعون إليه، ويحاولون إعادة الكرة مرة بعد أخرى، ولا يرون أثراً مباشراً لدعوتهم، تبدأ عندهم الشكوك والأوهام، فمرة يتهمون أنفسهم، وأخرى أقوامهم، وثالثة أتباعهم ومؤيديهم، ثم يصلون في النهاية إلى أن هؤلاء القوم لا تنفع معهم دعوة،

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم ٤٠٠٨، (١٤٢/٥).

(٢) آفات على الطريق السيد محمد نوح ص ١٠٩ - ١١٠ مرجع سابق.

(٣) موقع بصائر، www.basaer-online.com.

(٤) الضغوط النفسية في حياة الداعية، بحث ممتاز، موقع شبكة أنا المسلم، عوض بن محمد مرضاح.

ولا يستجيبون لداع أو نذير، وهنا ييأس الداعية من قومه، ويقنط من هداية الله لهم، ثم يعتزل الدعوة ويترك القوم وشأنهم^(١).

إن أخطر ما يواجه الداعية إلى الله، أن يستعجل ثمرة عمله، فيفسد هذا العمل بهذا الاستعجال، وتذهب ثماره المرجوة منه، وقد يشعر الداعية بالفشل إذا لم يجد أثراً ملموساً لدعوته كاستقامة البعض على الجادة، أو كثرة المقبلين على دروسه ومحاضراته، ولْيَعْلَم الداعية إلى الله جل وعلا أنه لو أخلص النية واستعان بالله وبذل الأسباب، فلن تضع جهوده سدى، فستثمر دعوته ولو بعد حين، وإن طال الأمد، وستكون رصيдаً متجدداً في ميزان حسناته بعد موته بإذن الله تعالى، وستدخل في مكونات المدعو وفي خبراته، وقد تظهر بفعل موقف أو محرك يوماً ما^(٢)، يقول العدوي^(٣): «إذا سئم المدعوون من طول الدعوة فليس للداعي أن يسأم»، فلا بد لمرحلة الرخاء من مقدمات شدة، ولا بد لطلوع الفجر من ظلام يحفُّ به، ولا بد للنصر من تبعات؛ جلدُ الظهور، وسفك الدماء، وترك المطعم الهنيء. ومما ينبغي على الداعية الناجح فعله هو أن لا ييأس ولا يتشاءم بسبب عدم رؤية ثمرته في الحال، وعدم قبول الناس للحق، فإن عرض عليهم اليوم ورفضوا فلْيَعْرِضْ عليهم غداً، ولكن بأسلوب آخر وبطريقة أخرى، قد تكون سبباً في قبول دعوته، وإذا أراد أن يذهب لدعوة أناس مختلفين عنه في عاداتهم ولبسهم، فلْيَتَكَيَّفْ معهم ويحاول أن يلبس مثل هندامهم، ما دام هذا اللبس لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله، حتّى يكون أدعى لقبول الدعوة^(٤).

(١) موقع نصلح .. www.noslih.com.

(٢) مقومات الداعية المربي كما جاءت في القرآن الكريم، محمود خليل أبو دف، أ. مصطفى يوسف منصور، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، ١٧ أبريل ٢٠٠٥م - ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، الجامعة الإسلامية بغزة - كلية أصول الدين، ص ٦٠١.

(٣) دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، ١٩٣٥ ص ٣.

(٤) الدعوة إلى الله، أهميتها ووسائلها، فهد بن حمود العصيمي، دار ابن خزيمة، ص ٢٣.

وللداعية أسوة حسنة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلَدْنَا فِي الشَّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنِ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»^(١)، فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث، أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه واحد آمن به وصدق بدعوته، والنبي ومعه اثنان، والنبي ومعه رهط، والنبي وليس معه أحد، ولم يثبت أن أحداً منهم ترك الدعوة، أو تخلى عن الرسالة التي أمرهم الله بتبليغها^(٢).

والداعية إلى الله قد يشتد حرصه على من يدعو، ولكن لا يتلهف على نتائج عمله وثمره جهده فقد حصل ذلك للنبي - عليه الصلاة والسلام - ولكن الله ذكره بأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى يقبلها كيف يشاء، فما عليه إلا التبليغ، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: من لم يرق، برقم ٥٧٥٢، (١٣٤/٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، برقم ٢٢٠، (١٩٩/١).

(٢) موقع صيد الفوائد، بدر عبد الحميد هميسه.

بِهَذَا الْحَدِيثِ أَشْفَا ﴿٦١﴾^(١)، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، ولنعلم الداعية إلى الله، أنه مأمور بالعمل ولم يكلف بالنتائج؛ لأن الله سيسألنا عن كيف وليس عن الكم، كما بين ذلك سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾^(٤).

إن نجاح الدعوة لا يُقاس بقصر مدتها ولا بكثرة المستجيبين لها، بل بمدى مطابقتها لمنهج الرسول ﷺ دعوة وأسلوباً، أما النتائج فمردّها إلى الله لا يجليها لوقتها إلا هو، بالرغم من أن النفس تتوق لرؤية النصر، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾^(٥)، فعلى الداعية هداية الدلالة وأما هداية التوفيق فمن الله ﻋَﻠَﻴْهِ. كما يجب عليه عدم التركيز على الجانب السلبي الذي يظهر للداعية من الأشخاص من حيث تغير أحوال الكثير من المدعوين إلى حال أفضل مما كانوا عليه من قبل، وعليه أن يبحث عن الطرق والوسائل التي استخدمها غيره من الدعاة الذين ظهرت ثمار الهداية على كثير من مدعويهم^(٧).

رابعاً: مصاحبة اليائسين المتشائمين والمقنطين:

إن مجالسة اليائسين المتشائمين والمقنطين توهن العزائم وتضعف

(١) سورة الكهف، آية: ٦.

(٢) سورة البقرة، من آية ٢٧٢.

(٣) الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة، ط ٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) سورة الصف، من آية: ١٣.

(٦) قواعد وأصول، ص ٧٤ مرجع سابق.

(٧) موقع انا المسلم للحوار الإسلامي، الواقع الأليم، <http://www.muslm.org>.

الهمم، بما يعلق في القلب من أقوالهم من الشبه، وما يحصل بمجالستهم من ضياع للوقت، وإشغال بتوافه الأمور.. وكلما أردت العمل ثبوك وقال: أمامك ليل طويل فارقد^(١).

إن معاشة ذوي الهمم الساقطة والعزائم الخائرة تقود حتماً إلى الفشل والتشاؤم واليأس، فالطباع سراققة، وأمراض القلوب معدية، والصاحب ساحب، ومجالستهم تضعف الهمم وتوهن العزائم، بسبب ما يعلق في القلب من أقوالهم من الشبه وما يحصل بمجالستهم من ضياع للوقت، وانشغال بتوافه الأمور^(٢).

على الداعية أن يحذر من وجهات النظر اليائسة المتهالكة التي تقول: (انتهى آل شيء وعجزنا) (الزم بيتك فليس في الدعوة ولا الجهاد أي فائدة) (عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة).

ومن أحاديث المحبطين في المجالس، من يذكر السلبيات في المجتمع، ليس لإيجاد طرق العلاج، فيكون محموداً بذلك، ولكن المصيبة هي أن يسرد تلك السلبيات من باب صعوبة سلوك طريق الإصلاح^(٣).

لقد سمى القرآن الكريم هذه الزمرة اليائسة المتشائمة الميئسة بالمعوقين المثبطين قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٩﴾^(٤).

إن مثل هذه الطائفة اليائسة الميئسة المثبطة، تدل على هلاكها قبل

(١) دروس في التربية والدعوة، مازن الفريح، (٤/٢٧٤).

(٢) موقع نصلح، www.noslih.com.

(٣) كن متفائلاً، ماجد بن سعيد العوشن، ص ١٥٧ مرجع سابق.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٨ - ١٩.

كل شيء، وليس على هلاك المسلمين؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم»^{(١)(٢)}.

إن من المؤثرات النفسية التي يواجهها الدعاة ويشعرون بها، ويجدون الكثير ممن يُحسبون على الإسلام يتشدقون بها ويرفعون لواءها التشاؤمي التئيسي الانعزالي الذي يُعدهم عن مسؤولية الدعوة ويثبطهم عن فرضية الجهاد، ويدفعهم إلى عزلة المجتمع والركون إلى الاسترخاء والانطوائية، ظاهرة التئيس والتشيط، والتي إذا استفحلت في أمة وترسخت في نفسية الدعاة، فإنها في الحقيقة ستكون القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي، والحالقة التي تحلق التفاؤل بالنصر، فلم يبق لإقامة العزة الإسلامية في النفوس رجاء، ولم يعد لاستعادة الأمجاد التاريخية أمل^(٣).

❦ خامساً: الصعوبات والمعوقات التي تواجه الداعية:

ونعني بالصعوبات والمعوقات هنا «مجموعة الصعوبات والمعوقات التي يقع فيها الدعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم سواء كانت داخلية أو خارجية»^(٤).

فالبعض من الدعاة قد يستسلم حينما يجد صعوبات تواجه دعوته ومشروعه، سواء أكانت عراقيل داخلية طبيعية نابعة من ذات العمل، أم أخرى خارجية صادرة عن يعادون الدعاوات ويحاربونها، فيظن أن نتائج دعوته لن ترى النور، وأنها ستجهض لا محالة، وسينطفئ نورها وتغيب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب ٤٥، باب: النهي عن قول هلك الناس، برقم ٢٦٢٣، (٢٠٢٤/٤).

(٢) سلسلة مدرسة الدعاة، صفات الداعية النفسية، عبدالله ناصح علوان، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (١٢/٥).

(٣) أثر المرء في دنياه، محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٦٣.

(٤) موقع إسلام ويب .islamweb.net.

شمسها عاجلاً أم آجلاً^(١).

إن طريق الدعوة إلى الله جل وعلا ليس طريقاً ممهداً لا عوائق فيه ولا عراقيل، بل هو طريق محفوف بالأشواك والمخاطر، مليء بالعقبات والمحن والابتلاءات، التي تحتاج إلى العزيمة الصادقة، والهمة العالية حتى يتجاوزها الداعية، وبدونها يبقى خلف الحواجز أبد الدهر أسير ضعفه وخنوعه، وعلى من اختار أشرف المهن وأجلها (الدعوة إلى الله تعالى) أن يصبر على هذا الطريق، ويدرك أنه - لا ريب - مبتلى؛ ليعلم الله صدقه من كذبه، وليميز الله الخبيث من الطيب، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢). وقليل من الدعاة من يجتاز هذا الطريق وهو ثابت على دعوته، ملتزم بمنهجه. فعندما يرى بعضهم تفوق الأعداء، وتفرق الأصدقاء، والتضييق على الدعاة، وتشريدتهم، والزج بهم في السجون، ومكر الأعداء المستمر بالمسلمين، وكيدهم لهم، وتخطيطهم الدائم للقضاء على الدعوة الإسلامية، وتعاونهم فيما بينهم على تطبيق المكر، وتنفيذ تلك المخططات، وتداعيتهم على المسلمين، وقلة المعينين وندرة الأتباع للحق في مقابل شدة الإقبال على الباطل، وغير ذلك، فعندما يرى البعض من الدعاة مثل هذه الابتلاءات يتكاسلون، ويقولون: ما دام الناس قد فسدوا، فلا فائدة في دعوتنا ويأسون ويتشاءمون ويدب الوهن إلى قلوبهم؛ فتضعف هممهم، ويقعدون عن العمل، ويفقدون الأمل.. على الرغم من انتصارات الدعوة والبشائر التي تبدو في الأفق؛ ولكن يأبى بعضهم إلا النظرة المتشائمة^(٣).

يجب على الدعاة عدم جعل الصُّعوبات والمعوقات أدوات لتحقيق

(١) موقع بصائر www.basaer-online.com

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.

(٣) الرائد، دروس في التربية والدعوة، فريخ، مازن بن عبدالكريم. دار المعارج للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ ص ٣٤٤، موقع إسلام ويب al-islam.com.

التشاؤم والإحباط، فمن المعلوم أن الدعوات الحقّة الصحيحة، لا بد وأن تتعرض لكثير من العراقيل، لأنها لا تقبل المساومة والتفاوض على ثوابها، وإن ما تتعرض له الدعوات لا بد وأن يكون وقوداً ليلهب الدعوة إضاءة وتوهجاً، والصبر على ما تتعرض له سيؤدي بلا شك إلى انتصار الدعوة وانتشار نورها. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١) (٢).

❦ سادساً: معرفة تأريخ العاجزين في الدعوة إلى الله:

ويُعدّ من العوامل المهمّة في علاج التشاؤم واليأس، وأن هؤلاء العاجزين قبعوا في زوايا التاريخ لم يؤبه بهم ولم يعلم بهم أحد، وتفيد هذه المعرفة في إيقاظ الضمير عند الداعية وبث الأمل وإفاقة عقله الخامل إذا عرف عاقبة أمره من خلال أشباهه، فقد قيل:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضاع قوم ليس يدرون الخبر (٣).

❦ سابعاً: كثرة الإخفاقات والعجز:

من أسباب التشاؤم واليأس عند الدعاة تكرار العجز ودوام التعثر، فمن الدعاة من إذا لاحظ عجزاً في دعوته، وإخفاقاً في أسلوبه ووسيلته، وانصراف الناس عنه وعدم قبولهم منه، يصاب بالتشاؤم والإحباط، وليعلم الداعية أنه ما من عمل إلا وهو عرضة للنجاح والفشل، ولا يوجد من قضى حياته كلّها في نجاحات متواصلة، وكذلك الحياة ما هي إلا سلسلة متواصلة من النجاح والعجز والفوز والإخفاق، فمن يُمعن النظر في أحوال الأمة الإسلامية عبر العصور، كانت ظاهرة منتصرة في أوائل أمرها، ثم ما

(١) سورة الصف، آية: ٨.

(٢) موقع بصائر. www.basaer-online.com.

(٣) انظر عجز الثقات، د/ محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٦٣.

لبثت إلا وقد أخذت في التراجع والانحدار شيئاً فشيئاً، ولكنها في كل مرة كانت تتعرض لنازلة أو مصيبة كانت سرعان ما تتعافى منها وتواصل مسيرتها، ولو أنها وقفت يوماً عند مصائبها وهزائمها ودب اليأس والتشاؤم فيها لما ظلت إلى وقتنا الحاضر وإلى قيام الساعة.

ثم إن الفشل والإخفاق ليسا خاصين بالأمة الإسلامية؛ فأعداء الأمة يألون ويفشلون ويخفقون، بل وصلوا إلى لقمة في الإخفاق بدليل أنهم لم يستطيعوا حتى الآن القضاء على الأمة الإسلامية. وقد أشار الله ﷻ إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١)، فأعداء الأمة والمتربصون بالدعاة مهما كانوا أقوياء فهم أمام قوة الله وقدرته وقضائه لا شيء مطلقاً، ومجتمعاتهم التي زعموا أنها متقدمة ومزدهرة، تعج بالجريمة والانحراف والفساد والإلحاد، بل إنها تتن من حالة الإحباط والتشاؤم واليأس، وليس أدل على هذا من انتشار معدلات الانتحار في هذه المجتمعات والتي تنبئ عن مقدار الفشل التي وصلت إليه (٢).

ثامناً: المحيط والبيئة:

إن للبيئة التي تحيط بالداعية أثراً كبيراً في تحقيق ظاهرة التشاؤم أو محاربتها، حيث اختص البعض من الناس بنشر ظاهرة الإحباط والتشاؤم بين الناس مما جعل بعض الأفراد أهدافاً سهلة لنشر هذا المرض بينهم والاعتقاد به ونشره بين الآخرين، ومن جهة أخرى فإن للوسط المحيط بالداعية الأثر الواضح في تشاؤمه لا سيما إذا كان هذا الوسط كله أو جلّه من غير المسلمين أو ما يسمّى بالأقليات الإسلامية، فعندئذ يحتار الداعية

(١) سورة النساء، آية: ١٠٤.

(٢) انظر بتصرف بصائر دعوية، محمد أبو الفتح البيانوني، دار السلام للنشر والتوزيع، ص ٨. موقع نصلح www.noslih.com الاثنين ١ ذو الحجة ١٤٣٦ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠١٥.

من أين يبدأ وسط هذا العدد الضخم والكم الهائل من غير المسلمين،
ويجد معاناة في دعوتهم لقلة المعينين له في الدعوة، مما يؤدي إلى تشاؤمه
فيتركهم وشأنهم.



المطلب الثاني: علاج التشاؤم عند الداعية

إنّ الدعاة إلى الله من أكثر فئات المجتمع عُرضة لعواصف اليأس
والتشاؤم لولا تثبيت الله لهم؛ فهم يواجهون - بالإضافة إلى المحن الخارجية
- ما يرونه بين أهليهم من غربة الدين وتبرُّج المعاصي، وانتشار الأخلاق
السيئة، إلى جانب الاستبداد السياسي والفساد المستشري إداريًا وماليًا،
فيبدلون أقصى جهدهم لإصلاح كل هذا ويتحركون في سبيل الإصلاح على
أكثر من جبهة ملتهبة؛ لإعلاء كلمة الله وخدمة دينه وعباده، لذلك تأتي أهمية
تسلّحهم بالأمل والتفاؤل وقطع دابر اليأس والتشاؤم، حتّى يتسنى لهم القيام
بأعباء الدعوة حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً^(١). وهناك عوامل كثيرة تعين
الداعية - بعد الله - في القضاء على التشاؤم منها ما يلي:

١ - الإيمان بأسماء الله وصفاته وتقوية العقيدة في قلب الداعية:

إن الإيمان بالله من العوامل المهمة في بعث الأمل وتقويته عند
الداعية؛ فإنه يُورث صاحبه اليقين بالله والتوكل عليه واللجوء إليه بالكلية،
فيتخلّص الداعية بذلك من سيطرة اليأس على نفسه.

(١) المؤمنون بين اليأس والأمل مقال عبد العزيز كحيل موقع الألوكة <http://www.alukah.net/> 6/12/2011

وإن من ثمرات الإيمان العميق بالله تعالى: الرجاء وعدم القنوط من رحمة الله؛ فإن الله تعالى وعد عباده المؤمنين بما وعدهم به في كتابه المجيد، ومنعهم من القنوط؛ وحرى بالمؤمن الصادق أن يؤمن بهذا الوعد الصادق من الرب القادر الرحيم.

إن الإيمان بالله كنز من الآمال الصادقة لا ينفد، ويورث صاحبه رصيد غير منقطع من قوة القلب، وطمأنينة الروح، ويلقي في روعه أنه لو طرد من كل باب من أبواب الدنيا، وتقطعت به الأسباب الظاهرة، وفارقت الوسائل المادية كلها، فإن الله غير خاذله أبداً، فيتغلب بذلك على ما يعترضه من اليأس والقنوط، فعليه أن يظل في كل حين من أحيانه واثقاً بعفو الله، راجياً في نصرته وتأييده، فقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بالنصر لهم على أعدائهم، والتمكين لدينه في الأرض، والإعلاء لكلمته في الحياة. والتصديق بهذا الوعد إيمان بالله تعالى^(١).

٢ - علم الداعية بوجوب الدعوة إلى الله:

وهو من الأمور المهمة في علاج اليأس والتشاؤم، إذ لا بد أن يفهم الداعية أن الدعوة إلى الله واجبة وليست أمراً نفلاً يفعله إن شاء ويتركه إن رغب عنه بسبب تشاؤمه، بل يجب عليه وعلى أمثاله أن يبلغوا ما أنزل على النبي ﷺ كما بلغ هو ﷺ وأن يُنذروا كما أنذر ﷺ، فليقرأ الداعية المتشائم أخبار المسلمين المحتاجين إلى نصرته ودعوته، وأخبار الكافرين الذين يصدون عن دينه ويحاربونه ويبدلون جهوداً عظيمة في تحقيق هذا الغرض، وليترك العجز والتواني، وينهض للقيام بواجب الدعوة إلى الله^(٢).

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، (٣٤١/١)، وانظر كتاب الأمل وأثره في الأمة ص ٦٤.

(٢) عجز الثقات، محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٦١ - ١٦٢.

٣ - مراجعة النفس ومحاسبتها:

إن على الداعية إذا لاحظ فشلاً في دعوته، وإخفاقاً في أسلوبه ووسيلته، ورأى انصراف الناس عنه وعدم قبولهم منه.. عليه قبل كل شيء أن يراجع نفسه ويحاسبها في تقواها وإخلاصها لله من جهة، وأن يُعيد النظر في منهجه وأسلوبه ووسيلته من جهة أخرى، ليتيقن من مدى الصواب والسادد فيها، قبل أن ييأس من الناس ويوجه التهمة إليهم، أو يحكم عليهم.. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٢٠)، ^(١)، فإن كثيراً من الدعاة اليوم، لا يجدون تعليلاً لانهمزامهم وفشلهم في مواقف دعوية، إلا في كثرة أعدائهم ومكرهم بهم ^(٢).

٤ - تعزيز الثقة في النفس:

ومن الأمور المهمة أيضاً للداعية في علاج التشاؤم واليأس: النظرة الإيجابية تجاه النفس؛ فإنه قد يقع على الداعية العدوان من الآخرين، فمنهم من يسبه، ومنهم من يجحد جميله، ومنهم من يكتب مقالاً ينشره في مجلة أو جريدة، أو يكتب تعليقاً على ما يفعل ويقول، فلا ييأس ويتشاءم ولا ينبغي له ذلك؛ فإن الناس لا يركلون الجثث الهامدة، ولا يتعرضون إلا لمن له وجود وحضور، وفي الصبر والمصابرة على ذلك من الأجر والثواب ما الله به عليم، كما أن في ذلك أيضاً ترويضاً للنفس لتقبل مثل هذه المعاني وعدم الانزعاج والانفعال لها، فتكون بمثابة دورة تدريبية، وفيه تحفيز إلى تطلّب الكمال والسعي إليه ^(٣).

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٢) بصائر دعوية، محمد أبو الفتح البيانوني، دار السلام للنشر والتوزيع، ص ٨.

(٣) كن متفائلاً ص ٧٤ - ٧٥ مرجع سابق.

٥ - العلم بأن اليأس مذموم والتذكير المستمر بعواقب التشاؤم الدنيوية، والأخروية، الفردية والجماعية:

إنه مما ينبغي على الداعية أن يعلمه، أن اليأس والتشاؤم لم يأتيا إلا في مقام الهم عند الناس؛ فإن وجود جذوة الأمل والتفاؤل أمر مطلوب في مواجهة ضغط الواقع ومؤثراته، فالداعية عندما يعمل ولا ينجح خير من أن يكون يائساً لا يصنع شيئاً.

إنَّ اليأس والتشاؤم لم يردا في النصوص الشرعية إلا في مقام الهم والعيب؛ بل إن اليأس من روح الله يؤدي بصاحبه إلى الكفر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وحين يدرك الداعية أن التشاؤم مذموم ولم يأت إلا في مقام الهم والعيب، يُدرك أن التشاؤم لا يُمكن أن يدفع للعمل، بل هو يدفع بصاحبه إلى القعود والتواني والكسل، وهذا الإدراك يساعده في تجاوز حالة اليأس والتشاؤم التي يعيشها وهو يدعو إلى الله.

إن في التذكير بعواقب اليأس والتشاؤم وذمهما أيضاً له أثر كبير في علاج التشاؤم، واستبداله بالتفاؤل والأمل، لأن الإنسان كثيراً ما ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير الدائم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾^(٣)،^(٤).

٦ - الحرص على حضور التجمعات الإسلامية:

كما يحدث في موسم الحج، وفي المؤتمرات، وفي الندوات، والمحاضرات، وفي رمضان، وفي العيدين، فإن في رؤية جموع

(١) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) سورة الأعلى، آية: ٩.

(٤) آفات على الطريق، (٣/١٢٣).

المسلمين، وإقبالهم على دينهم مما يزرع في النفس الثقة والتفاؤل، ويخلصها مما تعاني من التشاؤم^(١).

٧ - الاعتبار بأحوال الناس:

فإن من نظر إلى حياة الناس اعتبر بما فيها من عبر وعظات، وعَظَّمَ في نفسه الرجاء والأمل، ووضَعَف في نفسه اليأس والقنوط. فإن من الناس ضعفاء وفقراء ولم يمنعهم ضعفهم وفقرهم من بلوغ العلياء، فيا تُرى ما الذي حفّزهم إلى العمل وتحقيق المراد؟ إنه النظر والاعتبار ومطالعة أحوال البشر وتقلباتهم، فليس أعجز من لا تُحركه حركة الناس الجارفة صباح مساء، ومسايرة تيار الحياة الهادر، الذي يدفع الكسول إلى العمل، والمحجم إلى الإقدام والصغير إلى متابعة الكبير^(٢).

٨ - تقوية الإيجابيات عند المدعوين:

عندما يقوم الداعية بإصلاح المُجْتَمَع، فإنه يجب أن يعلم أن أي واقع لن يخلو من عناصر إيجابية وأخرى سلبية، فعلم الداعية بهذه الحقيقة يقلل من تشاؤمه ويأسه بسبب ما يقع حوله من منكرات ومعاصي، ومُهمّة الداعية لا تبدأ من الصفر، بل هي تنبيه الناس إلى الإيجابيات الموجودة بينهم وتقويتها، وتقليل السلبيات ومُحاصرتها، أي: أن نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم، فإن القرآن الكريم انتهج هذا المنهج الرائع، وهو أنه يبدأ بذكر الإيجابيات ويؤخر ذكر السلبيات، حتى وإن كانت الإيجابيات قليلة والسلبيات هي الغالبة فعندما تحدّث عن أهل الكتاب - رغم أن أكثرهم ضلُّوا الطريق - بدأ بذكر القلّة المؤمنة؛ فقال: ﴿مَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣)، وحين تحدّث عن مُعاملاتهم بدأ بالإيجابي، وهو: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾^(٤)، وبعدها ذكر

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) الأمل وأثره في الأمة ص ٦٥ - ٦٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٧٥.

الفريق الثاني الذي يخون الأمانة، وهو: ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(١)، رغم أنه الفريق الأكثر عدداً^(٢).

والسنة أيضاً اعتنت بهذا الجانب المهم في الدعوة إلى الله، - وهو ذكر الإيجابيات وتشجيع صاحبها والإشادة به وتأخير ذكر السلبيات؛ فقد ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، ذكر منهم النبي ﷺ رجلاً دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، فأبرز النبي ﷺ جانب امتناع الرجل وأشاد به أكثر من جانب المرأة الواقعة في الفتنة، الداعية إلى الإغراء، وقد ورد أيضاً في قصة الرجل الذي أراد المرأة فأجبرتها ظروف الحياة إلى مطاوعته وهي كارهة، ثم ذكّرت به بالله وقالت له: اتق الله ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه، فقام عنها وهو أشد شوقاً إليها، والله حمد له هذا العمل واستجاب دعاءه بهذا الموقف، بالرغم من محاولاته الكثيرة في السابق، وبعد أن أتت إليه الفرصة، مستغلاً ظروفها المادية الصعبة، ومع ذلك أتت النتيجة أن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

٩ - الاعتدال في النقد:

إن مما يحتاجه الداعية في تصحيح الواقع، النقد، ولا بد أن يمارس النقد الذاتي؛ فإما أن ننقد أنفسنا، أو ينتقدنا الآخرون، لكن النقد ينبغي أن يكون بموضوعية واتزان، فحين نبالغ في النقد، ويتجاوز النقد حده، فإن هذا الأمر سيؤدي إلى اليأس؛ فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ برجل قد شرب، قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزأك الله، قال: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان»^(٣).

(١) سورة آل عمران، آية: ٧٥.

(٢) موقع الألوكة. www.alukah.net.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الحدود ٨٦، باب: الضرب بالجريد والنعال، برقم ٦٧٧٧، (٨/١٥٨).

ولهذا قال النبي ﷺ: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها»^(١). يعني: لا يجمع عليها بين العقوبة الشرعية وعقوبة أخرى بالتأنيب واللوم والتثريب، هذا على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المجتمعات فإن النبي ﷺ ينهى عن المبالغة في ذلك، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم»^(٢). فأهلك الناس هو الذي يصل به الحد إلى اليأس من واقع الناس، فيتهمهم بالهلاك^(٣). يقول الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر مساوئهم، ويقول: فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم، أي: أسوأ حالاً منهم، بما يلحقه من الإثم في عيبه، والوقعة فيهم، وربما أذاه ذلك إلى العجب بنفسه، ورؤيته أنه خير منهم^(٤).

١٠ - الرحمة والشفقة بالمدعويين والحرص على هدايتهم:

إنه مما ينبغي على الداعية أن يكون موقفه مع المدعويين موقف الطبيب مع مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم ويتلطف معهم؛ لأنه يعلم داءهم وخطورته عليهم، فإن رآهم عازفين عن الدواء لصعوبته ومرارته، صعب عليه الأمر واحتمال بكل الطرق لتوصيل الدواء إليهم، فالداعية الرحيم الحريص على هداية المدعويين لا يتشائم ولا ييأس منهم ولا يسأم من ردهم وإعراضهم بحجة أنهم هم المفرطون؛ لعلمه بخطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضهم بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن إقناعهم وإرشادهم^(٥).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البيوع ٣٤، باب: بيع العبد الزاني، برقم ٢١٥٢، (٧١/٣).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب ٤٥، برقم ٢٦٢٣، باب: النهي عن قول هلك الناس، (٢٠٢٤/٤).

(٣) موقع إسلام ويب، محاضرة (اليأس لا يصنع شيئاً) للشيخ محمد الدويش.

(٤) شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، دار الخير، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٥) أصول الدعوة، ص ٣٤٤.

١١ - إخلاص العمل لله وحده:

إن من بدهيات العمل الإسلامي الدعوي، أمر الإخلاص لله، وأن يكون الغاية من العمل هو إرضاء الله ﷻ، فاستشعار الداعية الدائم لهذا الأمر يقضي على الكثير من الأمراض، وتجعل الداعية لا يهدأ أبداً حتى يتم هذا الأمر أو يهلك دونه؛ فالداعية المخلص لله لا يرجو تقدير أحد أو الثناء على ما يقوم به، فلا ييأس عندما لا يجد من يعينه، ولا يقل نشاطه عندما يقل المستجيبون له من المدعوين، فهو يعمل لغاية عظيمة وهدف محدد^(١).

١٢ - قراءة سير الدعاة إلى الله تعالى، والتركيز على سيرة سيد الدعاة ﷺ:

إن من أهم ما يعالج التشاؤم واليأس عند الداعية قراءة سير الدعاة العظام والاطلاع على شيء من علو هممهم والاقتراس من نورهم والاهتداء بهديهم، وكيف أنهم لم يكسلوا ويتشأموا ويأسوا، بل كان شعارهم ما قاله إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ لملك الجبال - الذي ظن أن النبي ﷺ قد يؤس من قومه فعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين - بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً^(٢).

فانظر أخي الداعية إلى تلك الهمة العالية التي تقتلع جذور اليأس من نفوس أصحابها. ومن تتبّع سير الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان والعلماء من بعدهم، ووقف على أخبارهم، يجد ما يقوّي عزمه ويبعث في نفسه الأمل، ويعلي همته كما علت هممهم؛ فقد قتل من خيرتهم الآلاف وابتلي الكثير منهم بالسجن والحرمان والتعذيب، فأَي فضل يرجو مَنْ يقعد في بيته، ويتكاسل عن نشر دين الله ونصرة الحق والعدل في الأرض،

(١) مشاكل وحلول في حقل الدعوة، عبد الحميد البلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٣٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٥.

أيظن أنه يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، أم يظن الموازين يوم القيامة تبخس الناس أعمالهم، وقد قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «فلا نامت أعين الجبناء»^{(١)(٢)}.

١٣ - تقسيم الأهداف الدعوية الكبرى إلى أهداف مرحلية:

فإن في التقسيم والتدرج في تحقيق الأهداف ما يسهل على الداعية تحقيقها، وحتى لا يُصاب بالتشاؤم واليأس عند عدم تحقيقها في أول مرحلة، فإن بعض الأهداف تحتاج إلى طول النفس حتى تتحقق، فليس على الداعية حينها إلا الصبر والتأني حتى يتم له ما يريد، وتؤتي جهوده ثمارها وأكلها بإذن ربها.



(١) البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١٢٩/٧).

(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب للشيخ صالح المنجد. islamqa.info

الخاتمة وتشمل: النتائج والتوصيات

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، على ما منّ به عليّ من إتمام هذه الرسالة، وأذكر في هذا المقام جملة النتائج والتوصيات التي أبرزتها صفحات هذا البحث:

• أولاً: النتائج:

١ - الاستبشار بالخير وبرحمة الله وحسن الظن بالله واليقين بما عنده واستشعار معيته والثقة في وعده ونصره وثوابه وولايته للمؤمنين، كلها مرادفات لمعنى التفاؤل.

٢ - سوء الظن، واليأس والقنوط، والحزن والأسى، وفقدان الأمل والرجاء، كلها مرادفات لمعنى التشاؤم.

٣ - إن التفاؤل المطلوب في الإسلام هو التفاؤل الإيجابي الواقعي، الذي يقتدر بتقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه وإحسان العمل، والذي يتخذ من الواقع دليلاً على المستقبل دون إفراط أو تفريط أو غلو أو جفاء.

٤ - الحاجة للتفاؤل عامّة لجميع البشر ولا تقتصر على الدعاة.

٥ - إنّ المستقبل لهذا الدين مهما اشتدت الأزمات، وعظمت الخطوب، ومهما حاول أعداء الدين أن يُطفئوا نور الله ﷻ فإنهم لن

يصلوا إلى تلك الغاية كما بشر الله ﷺ ورسوله الكريم بذلك وكما شهد التاريخ أيضاً على ذلك.

٦ - إن رسولنا محمد ﷺ إمام الدعاة وسيد المرسلين كان متفائلاً في كل أحواله، لا سيما في الدعوة إلى الله، كما كان كذلك الأنبياء من قبله وسار على هذا النهج الصحابة والتابعين من بعده.

٧ - إن تفاؤل الداعية وتشاؤمه ينعكسان على المدعوين.

٨ - إن الداعية المتشائم الذي فقد التفاؤل بعودة وتوبة وأوبة المذنبين العاصين فسلك القسوة مركباً له، لن يكتب له القبول ولن تتمكن دعوته من قلوب المدعوين.. ولو كان هذا الداعية على درجة من الفهم.

٩ - لا بدّ للداعية الحريص على هداية المدعوين أن لا يتشاءم ولا يئأس منهم ولا يسأم من ردهم وإعراضهم بحجة أنهم هم المفرطون.

١٠ - إن دعاة التشاؤم واليأس يجرون الناس للمعاصي جرأاً؛ فهم لا يفكرون أبداً في شيء من معاني التوبة والندم والرجوع إلى الله تعالى عند ارتكاب المعصية، وإنما أول ما يشغل تفكيرهم إنكار المنكر، والأخذ على يد الجاني.

• ثانياً: التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة خرجت الدراسة بعدد من التوصيات أهمها:

١ - ضرورة توجيه العناية بالدراسات المتعلقة بأهمية التفاؤل في الدعوة إلى الله في الجامعات.

٢ - ضرورة اقتداء الدعاة بالنبي ﷺ في تفاؤله في كل أحواله لا سيما في الدعوة إلى الله، وكذلك الاقتداء بالأنبياء والصحابة والتابعين والسير على خطاهم فهم خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً.

٣ - ضرورة بذل أقصى ما يمكن من الجهود في الدعوة إلى الله، دون الالتفات إلى النتائج.

٤ - إعداد دعاة مؤهلين متفائلين من خلال عقد دورات للدعاة إلى الله، يُبَصِّرون بها إلى أهمية التفاؤل في إنجاح مسيرة الدعوة إلى الله.

٥ - توصي الدراسة الدعاة بمراجعة أنفسهم ومحاسبتها، فإن رأى أحدهم عجزاً في دعوته، أو إخفاقاً في أسلوبه ووسيلته، ورأى انصراف الناس عنه وعدم قبولهم منه، فعليه إعادة النظر من ناحية الإخلاص لله من جهة، ومن ناحية منهجه وأسلوبه ووسيلته من جهة أخرى، ليتيقن من مدى الصواب والسداد فيها، قبل أن ييأس من الناس ويوجه التهمة إليهم، أو يحكم عليهم.

٦ - على طلاب العلم والباحثين أن يقوموا بإعداد دراسة علمية مستقلة في إبراز نماذج من الدعاة المتفائلين من المعاصرين والاستفادة من أسلوبهم ووسائلهم في الدعوة إلى الله.

وأخيراً فإنني لا أدعي فيما كتبت في هذا البحث الكمال، وحسبي من هذا العمل أنني قد بذلت فيه قصارى جهدي، ولم أدخر فيه وسعي، فإن وفقت فيه إلى الخير والصواب، فهذا فضل الله الذي يمنّ به على من يشاء من عباده، وما كان فيه من الأخطاء والزلل، فهذا من نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وأستغفر الله عمّا زل به القلم وأخطأ به التفكير، ومال إليه الهوى، فعسى الله أن يغفر الزلل ويكفر السيئات، ويجعل هذا الجهد في ميزان الحسنات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية رقم الآية رقم الصفحة

سورة البقرة

- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ﴾ ٢٥
 ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ١٥٥
 ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٥ - ١٥٧
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى...﴾ ١٥٩
 ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٩٥
 ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ ٢٥٧
 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهٖمَ فِي رَبِّهٖءَ أَنَّ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾ ٢٥٨
 ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًىهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ...﴾ ٢٧٢

سورة آل عمران

- ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ...﴾ ٢٠

طرف الآية رقم الآية رقم الصفحة

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ...﴾

٣٣

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِعَهُ إِيَّاكَ...﴾

٧٥

﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

١١٠

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾

١٣٩

﴿أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ...﴾

١٤٢

﴿وَطَافَتْهُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾

١٥٤

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

١٦٠

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ...﴾

١٧٣

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَفَضَّلَ اللَّهُ لَكَ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ...﴾

١٧٤

سورة النساء

﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾

٧٧

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾

١٠٤

سورة المائدة

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾

١٠٥

سورة الأنعام

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ...﴾

٣٢

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ... وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

٧٤ - ٨٠

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ...﴾

٨٣

طرف الآية رقم الآية رقم الصفحة

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلِهِمْ اقْتَدِهْ...﴾ ٩٠
 ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ١٦٢ - ١٦٣

سورة الأعراف

- ﴿فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ ٥٩
 ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
 الْخَاسِرُونَ﴾ ٩٩
 ﴿قَالَ سَنُقْلِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَعِي نِسَاءَهُمْ...﴾ ١٢٧
 ﴿قَالَ سَنُقْلِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَعِي نِسَاءَهُمْ...﴾ ١٢٨
 ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا...﴾ ١٢٩
 ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ١٩٦

سورة الأنفال

- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥ - ٨
 ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ...﴾ ١٢
 ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ ٣٨

سورة التوبة

- ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ ٤٠
 ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾ ٤٠
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ...﴾ ١٢٠

سورة يونس

- ﴿وَنَسِيرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ...﴾ ٢

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا...﴾ ٩٨

سورة هود

- ﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً...﴾ ٩
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ... قَوْمِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ آلِيسِ﴾ ٢٥ - ٢٦
- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا...﴾ ٣٦
- ﴿إِلَّا إِنِّي أَولِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ... الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٦٢ - ٦٣
- ﴿وَأَمْرَانَهُ فَأَيَّمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا... قَالَتْ يَتْلُوَنَّ عَالِدُ وَآنَا عَجُوزٌ﴾ ٧١ - ٧٢
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ﴾ ٧٥

سورة يوسف

- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ ٢١
- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٧ - ٤٠
- ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ٤٢
- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ... لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٦ - ٥٧
- ﴿فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي﴾ ٨٣
- ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾ ٨٧
- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾ ١٠٠
- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى... بِصِيرَةٍ﴾ ١٠٨
- ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا...﴾ ١١٠

سورة الرعد

﴿إِنِ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ١١

سورة الحجر

﴿تَتَجَنَّبُ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٤٩
 ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ...﴾ ٥٤ - ٥٦
 ﴿قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ ٥٥
 ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ٥٦

سورة النحل

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ ٣٦
 ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ ٨٩
 ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ١٢٨

سورة الإسراء

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ...﴾ ٩
 ﴿وَلِذَا أَتَعَمَّنا عَلَى الْإِنسَنِ أَعرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ...﴾ ٨٣

سورة الكهف

﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ...﴾ ٦

سورة مريم

- ﴿يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ...﴾ ٤٤
 ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ...﴾ ٤٥

سورة طه

- ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ... إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ٤٥ - ٤٦
 ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ... سُجَّدًا فَأُولَئِكَ هُمُ الدَّرَجَتُ الْعُلَى﴾ ٧٠ - ٧٥
 ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾ ٧٢

سورة الأنبياء

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ...﴾ ٥٢
 ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ...﴾ ٥٤
 ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ ٦٧
 ﴿وَنَجِّنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ...﴾ ٧١

سورة الحج

- ﴿مَنْ كَانَتْ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ ١٥
 ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٧
 ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٤٠

سور النور

- ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٤٠
 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ ٥٥

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ٦٣

سورة الشعراء

﴿فَاذْهَبَا بِعَابَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ١٥
 ﴿هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ... ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ ٥٤ - ٥٦
 ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ... قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي...﴾ ٦١ - ٦٢
 ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ ﴿٧٣﴾ ٧٢ - ٧٣
 ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ...﴾ ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَّ يَبَيِّنُ﴾ ﴿٨١﴾ ٧٥ - ٨١

سورة النمل

﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَن مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ٤٧

سورة القصص

﴿إِنَّا لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾ ﴿٥٦﴾ ٥٦

سورة العنكبوت

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾ ١٤
 ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ... وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ ١٦ - ١٧
 ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ١٨

سورة الروم

- ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ ٣٦
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ...﴾ ٤٧
 ﴿وَلِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ٤٩

سورة لقمان

- ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٢٥

سورة السجدة

- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾ ٢٤

سورة الأحزاب

- ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ... وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ١٠ - ١١٨٤
 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ ٢١
 ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...﴾ ٢٥

سورة فاطر

- ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٨

سورة يس

- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ...﴾ ١١

﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ... قَالَ يَنْفَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٩ - ٢٠

سورة الصافات

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي...﴾ ٩٩
 ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ...﴾ ١٤٣ - ١٤٤
 ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا... وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ١٧١ - ١٧٣

سورة الزمر

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ١٧
 ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ ٥٣

سورة غافر

﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ...﴾ ٩
 ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ٥١

سورة فصلت

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ٦
 ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْثَوْنَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ ٢٢ - ٢٣
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾ ٣٣
 ﴿لَا يَسْعَى الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ...﴾ ٤٩

سورة الشورى

﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾ ٣٠

طرف الآية رقم الآية رقم الصفحة

سورة الدخان

﴿فَأَنشُرْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (٢٣) ٢٣

سورة الأحقاف

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ ٣٥

سورة محمد

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ نَصْرُوا﴾ ٧
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ١١

سورة الفتح

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَتِ﴾ ٦

سورة الذاريات

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) ٥٥

سورة الحديد

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي... الْأَرْضِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ٢٣ - ٢٢

سورة الصف

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ...﴾ ١٢

١٣

﴿وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

سورة الطلاق

٧

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾

سورة نوح

١

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ...﴾
 ﴿قَالَ يَقُومُوا إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ... إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

٢ - ٣ - ٤

٨ - ٩

١١ - ١٢

٢١

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا...﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
 ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا... وَبَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾
 ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي...﴾
 ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ... وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
 كَفَّارًا﴾

٢٦ - ٢٧

سورة الانشقاق

٢٤

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

سورة العلق

١ - ٥

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾



فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
١	«أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذُ ولدتك أمُّك»	
٢	«أُبشروا واملأوا ما يسرُّكم»	
٣	«أُبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم...»	
٤	«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ»	
٥	«أخذنا فألك من فيك»	
٦	«إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها ومحيت عنه...»	
٧	«إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»	
٨	«أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ...»	
٩	«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ»	
١٠	«أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ؟ قَالُوا: بَلَى...»	
١١	«الرؤيا ثلاث: فبشرى من الله، وحديث النفس...»	
١٢	«الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى»	
١٣	«اللَّهُ أَكْبَرُ فُتِحَ قَيْصَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى الْقُصُورَ الْحُمْرَ...»	
١٤	«اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، وعافني»	
١٥	«إِنَّ أَشْكَرَ النَّاسِ لِلَّهِ أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ»	
١٦	«إن الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها»	
١٧	«إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها...»	

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
١٨	«إن الله لم ينزل داء أو لم يخلق داء إلا أنزل...»	
١٩	«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها...»	
٢٠	«إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل الجنة»	
٢١	«أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ...»	
٢٢	«أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي...»	
٢٣	«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن»	
٢٤	«إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من...»	
٢٥	«إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر...»	
٢٦	«إنما الأمل رحمة من الله على أمتي، ولولا الأمل...»	
٢٧	«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»	
٢٨	«أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد...»	
٢٩	«بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام...»	
٣٠	«بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين...»	
٣١	«بل أنت زُرْعَة»	
٣٢	«بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»	
٣٣	«رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأننا في دار...»	
٣٤	«رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ...»	
٣٥	«زَمَلُونِي زَمَلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي...»	
٣٦	«صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ»	
٣٧	«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ...»	
٣٨	«... فقال نبي الله ﷺ: (من أنت)...»	
٣٩	«فقال رسول الله ﷺ: بل أنت هشام...»	
٤٠	«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ...»	
٤١	«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»	
٤٢	«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجِبُهُ الْفَالُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ»	

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
٤٣	«كان رسول الله ﷺ يتفاءل...»	
٤٤	«كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا...»	
٤٥	«كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»	
٤٦	«كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، ...»	
٤٧	«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، ...»	
٤٨	«لا بأس طهور إن شاء الله...»	
٤٩	«لا تحقرن من المعروف شيئاً»	
٥٠	«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من...»	
٥١	«لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ...»	
٥٢	«لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر...»	
٥٣	«لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، ...»	
٥٤	«لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا: يا رسول الله، ...»	
٥٥	«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»	
٥٦	«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير...»	
٥٧	«لكل داء دواء...»	
٥٨	«لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال...»	
٥٩	«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته...»	
٦٠	«لِيلِغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...»	
٦١	«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ...»	
٦٢	«مَا أَصَابَ مُسْلِمًا قَطُّ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ»	
٦٣	«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ..»	
٦٤	«مثل القلب مثل الريشة، تقلبها الرياح بفلاة»	
٦٥	«من دعا إلى هدى فإن له من الأجر مثل أجور من تبعه»	
٦٦	«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»	
٦٧	«مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ...»	
٦٨	«من يحلب هذه فقام رجل فقال: أنا...»	

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
٦٩	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا»	
٧٠	«ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً»	
٧١	«يا أبا بكر قال الله: أنا عند ظن عبدي بي»	
٧٢	«يا عدي! هل رأيت الحيرة؟، قلتُ: لم أرها، وقد أنبت عنها»	
٧٣	«يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»	
٧٤	«يوشك يا معاذ - إن طالت بك حياة - أن ترى ما ها هنا...»	



فهرس الآثار

الصفحة

الأثر

- «إِذَا؛ لَا نَقُولُ لَكَ يَا رَسُولَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى اذْهَبْ: أَنْتَ وَرَبُّكَ
فَقَاتِلَا...»
- «افْتَتِحُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ
مَدِينَةٍ...»
- «إِنْ لِي نَفْسٌ تَوَاقَةٌ»
- «أَيُّ: أَحْسِنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى الظَّنَّ»
- «أَيَنْقُصُ الدِّينَ وَأَنَا حَيٌّ»
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْلَمَ بَنُو سَهْمٍ طَائِعِينَ غَيْرَ مَكْرَهِينَ»
- «فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
جُعْشَمٍ...»
- «فَرَأَيْتُ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ،
وَكُنْتُ...»
- «الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَالِ وَالطَّيْرَةِ أَنَّ الْفَالَ مِنْ طَرِيقِ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالطَّيْرَةُ لَا
تَكُونُ...»
- «كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَمْرٍو وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَرَّ غُرَابٌ يَصِيحُ فَقَالَ رَجُلٌ...»
- «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ...»
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صَدَقَ التَّوَكُّلُ عَلَيْكَ وَحَسَنَ الظَّنُّ بِكَ»
- «لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَتَمَنَيْتُ»

«من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: ما اسمك؟ قال الرجل:
 مرة، فقال له...»
 «مه يا عمر، رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبار في الجاهلية وخوَّار
 في الإسلام...»
 «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال ﷺ: أجل، قال: لقد آمنّا...»
 «يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء»



فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- ١ - محمد أبو فارس، أسس في الدعوة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، (١٩٩٨م).
- ٢ - (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبدالقادر/ محمد النجار)، المعجم الوسيط، (المجلد ط٢)، القاهرة: دار الدعوة.
- ٣ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، العقود الدرّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكاتب العربي.
- ٤ - محمد أبو الفتح البيانوني، بصائر دعوية، دار السلام للنشر والتوزيع.
- ٥ - ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، شرح صحيح البخاري، (المجلد ط٢)، السعودية - الرياض: مكتبة الرشد.
- ٦ - ابن حيان، البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، (١٤٢٠هـ).
- ٧ - ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (المجلد ط١)، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ٨ - سنن ابن ماجه، وماجه اسم أبيه يزيد، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (المجلد ط١)، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ٩ - أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ١٠ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

- ١١ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (المجلد ط٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ١٢ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).
- ١٣ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، الإصابة في تمييز الصحابة، (المجلد ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).
- ١٤ - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مناقب الشافعي، (السيد أحمد صقر)، القاهرة: مكتبة دار التراث، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- ١٥ - أبو بكر ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، (المجلد ط١)، الرياض: مكتبة الرشد، (١٤٠٩م).
- ١٦ - أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، بيروت: المجلس العلمي، الهند.
- ١٧ - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح مشكل الآثار، الطحاوي، (المجلد ط١)، مؤسسة الرسالة، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ١٨ - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، (المتوفى ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
- ١٩ - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم، (المجلد ط٢)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ).
- ٢٠ - أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
- ٢١ - أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المجلد ط١)، مؤسسة الرسالة.
- ٢٢ - أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط١)، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

- ٢٣ - أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- ٢٤ - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٣٨٧هـ).
- ٢٥ - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، شرح السنة، (المجلد ٢)، (شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المحرر) دمشق - بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ٢٦ - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، (المجلد ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٢٧ - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، (١٣٧٩هـ).
- ٢٨ - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٢٩ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية.
- ٣٠ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عزالدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ٣١ - أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، المرحلة: ماجستير، جامعة المدينة العالمية.
- ٣٢ - إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حمد الجطيلي، تقديم: عبدالله بن سليمان بن حميد، الرياض: دار اللواء، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م).
- ٣٣ - البيهقي، مناقب الشافعي، (المجلد ١)، (السيد أحمد صقر، المحرر)، مكتبة دار التراث القاهرة، (١٩٧٠م).

- ٣٤ - الحسين بن مفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (المجلد ط٢)، (تحقيق: صفوان عدنان داودي، المحرر)، دار القلم، دمشق - دار الشامية، بيروت، (١٤١٠هـ).
- ٣٥ - الدكتور/ فضل إلهي، الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام بالرياض، شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (المجلد ط٢)، (١٤١٢هـ).
- ٣٦ - الدكتور عبد القدوس بن أسامة السامرائي، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح دراسة في ضوء القرآن والسنة، (المجلد ط١)، دار البحوث.
- ٣٧ - الدكتور علي بن عمر بن أحمد بادحدح، مقومات الداعية الناجح.
- ٣٨ - الدكتور محمد أبو صعيلىك، الأمل وأثره في الأمة، (المجلد ط١)، (مركز أمية للبحوث والدراسات الإسلامية، المحرر)، دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- ٣٩ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (المجلد ط١)، دمشق - بيروت: دار القلم، الدار الشامية، (١٤١٢هـ).
- ٤٠ - السيد محمد نوح، آفات على الطريق، (المجلد ط١)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ش.م.م، المنصورة، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- الشيخ حسن البنا. رسالة دعوتنا (المج المصادر والمراجع):
ثالثاً: الرسائل الجامعية:
- ٤١ - دكتور نجوى اليحفوفي ودكتور بدر محمد الأنصاري، (٢٣/١٠/٢٠٠٢م)، التفاؤل والتشاؤم: دراسة ثقافية مقارنة بين اللبنانيين والكويتيين، الكويت: جامعة الكويت.
- ٤٢ - سامر جميل رضوان، (محرم ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، الاكتتاب والتشاؤم دراسة علمية نُشرت في المجلد الثاني، العدد الأول، كلية التربية، جامعة البحرين، مجلة العلوم التربوية والنفسية.
- ٤٣ - التطير مفهومه وآثاره وسبل علاجه، رسالة: ماجستير، عبير بنت سليمان بن محسن الطرطور، فلسطين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، (المجلد ط١)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (١/١/٢٠١٣م).

- ٤٤ - المحقق: عبدالكريم بن رسمي الالديني، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، (المجلد ط١)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- ٤٥ - بدر محمد الأنصاري، التفأول والتشاؤم، المفهوم، القياس، المتعلقات، (المجلد ط١)، الكويت: لجنة التأليف والتعريب والنشر، (١٩٩٨م).
- ٤٦ - بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل بيروت.
- ٤٧ - ابن عبدالبر، الدرر في اختصار المغازي والسير، (المجلد ط٢)، القاهرة: دار المعارف، (١٤٠٣هـ).
- ٤٨ - ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، تقديم: الأستاذ محمد أحمد دهمان، دمشق: مكتبة دار البيان، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- ٤٩ - أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٥٠ - أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (المجلد ط٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ).
- ٥١ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى لابن تيمية، (المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المحرر)، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- ٥٢ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ٥٣ - جبران مسعود، (١٩٩٢م)، الرائد، (المجلد ط٧)، دار العلم للملايين.
- ٥٤ - جمعة أمين عبدالعزيز، قواعد وأصول، (المجلد ط٤)، دار الدعوة، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ٥٥ - حافظ بن أحمد حكيمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الدمام: دار ابن القيم، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

- ٥٦ - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
- ٥٧ - د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (المجلد ط١)، عالم الكتب، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ٥٨ - د. أحمد مختار عبدالحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (المجلد ط١)، عالم الكتب، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ٥٩ - د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، (المجلد ط٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٥هـ).
- ٦٠ - د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، عجز الثقات، (المجلد ط١)، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٦١ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ).
- ٦٢ - زين الدين محمد المدعو بعبد الوؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (المجلد ط١)، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، (١٣٥٦هـ).
- ٦٣ - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ٦٤ - إسماعيل بن حماد الجوهري، «الصحاح» (تاج اللغة العربية وصحاح العربية)، (المجلد ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، (١٩٩٠م).
- ٦٥ - سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (المجلد ط١٧)، بيروت - القاهرة: دار الشروق، (١٤١٢هـ).
- ٦٦ - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، معجم الشيوخ الكبير للذهبي، (المجلد ط١)، الطائف - المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٦٧ - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- ٦٨ - شمس الدين البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت: دار صادر، (١٩٠٠م).

- ٦٩ - صالح يحيى صواب، معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ٧٠ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، (المجلد ط٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٧١ - عبدالله ناصح علوان، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، (بلا تاريخ)، صفات الداعية النفسية، سلسلة مدرسة الدعاة، المملكة العربية السعودية، جدة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- ٧٢ - عبدالحميد البلالي، مشاكل وحلول في حقل الدعوة، (المجلد ط١)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (٢٠٠٠م).
- ٧٣ - عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، (المجلد ط٧)، القاهرة - مصر: مطبعة السنة المحمدية، (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).
- ٧٤ - عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (المجلد ط١)، مؤسسة الرسالة.
- ٧٥ - عبدالكريم بن عبدالعزيز القصير، متفائلون، دار وجوه للنشر والتوزيع، (٢٠١٠م).
- ٧٦ - عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، (المجلد ط٣)، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).
- ٧٧ - عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، (المجلد ط٩)، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٧٨ - عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، (المجلد ط٢)، بمصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).
- ٧٩ - علي بن عمر بن أحمد بادحدح، (بلا تاريخ)، مقومات الداعية الناجح.
- ٨٠ - عوض بن محمد مرضاح، الضغوط النفسية في حياة الداعية، ٢٧ شوال/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧/١١/٨م.
- ٨١ - فريح، مازن بن عبدالكريم، الرائد دروس في التربية والدعوة، دار المعارج للنشر والتوزيع، (١٩٩٩م).

- ٨٢ - فهد بن حمود العصيمي، الدعوة إلى الله، أهميتها ووسائلها، دار ابن خزيمة.
- ٨٣ - الدكتور عبدالله عزام، الإسلام ومستقبل البشرية، (المجلد ط٢)، بيشاور: توزيع مركز الشهيد عبدالله عزام الإعلامي.
- ٨٤ - ماجد سعود العوشن، كن متفائلاً، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤٢٨هـ).
- ٨٥ - مارتن سليجمان، كتاب السعادة الحقيقية، (المجلد ط١)، حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير، (٢٠٠٦م).
- ٨٦ - مازن الفريح، دروس في التربية والدعوة، دار المنطق، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٨٧ - مجمع اللغة العربية، (بلا تاريخ)، «المعجم الوسيط»، (المجلد ط٢)، القاهرة.
- ٨٨ - محمد أحمد الراشد، صناعة الحياة، (المجلد ط٢)، دبي: دار المنطلق، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ٨٩ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس: الدار التونسية للنشر، (١٩٨٤م).
- ٩٠ - محمد العلوي، دع التشاؤم واربح الحياة، (المجلد ط١)، بيروت - لبنان: دار الكلمة الطيبة، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- ٩١ - محمد الغزالي، جدد حياتك، إشراف عام: داليا محمد إبراهيم، (المجلد ط٩)، (٢٠٠٥م).
- ٩٢ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (المجلد ط٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ٩٣ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، (المجلد ط١)، دمشق: مكتبة دار البيان، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).
- ٩٤ - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مصر: المطبعة الكلية، (١٣٢٩هـ).

- ٩٥ - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، (المجلد ١)، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).
- ٩٦ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (المجلد ١)، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ٩٧ - محمد بن صالح العثيمين، (بلا تاريخ)، رسالة في الدعوة إلى الله، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
- ٩٨ - محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، (١٤٢١هـ).
- ٩٩ - محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، فتح القدير، (المجلد ١)، بيروت، دمشق: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، (١٤١٤هـ).
- ١٠٠ - محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، (المجلد ٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- ١٠١ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، (المجلد ٣)، بيروت: دار صادر، (١٤١٤هـ).
- ١٠٢ - محمد زين الهادي العرمابي، الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، (المجلد ١)، الخرطوم: مطابع العملة بالخرطوم، ط ١، (٢٠٠٥م).
- ١٠٣ - محمد صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (المجلد ٢)، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، (١٤٢٤هـ محرم).
- ١٠٤ - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لبنان - بيروت: مكتبة التراث الإسلامي.
- ١٠٥ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ١٠٦ - مشاكل وحلول في حقل الدعوة.
- ١٠٧ - الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مجلة البحوث العلمية.

- ١٠٨ - نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مُختصرُ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ، دمشق: مكتبة دار البيان، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- ١٠٩ - نور الدين الهيثمي، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، كشف الأستار عن زوائد البزار، (المجلد ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ١١٠ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧، (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- دكتور نجوى اليحفوفي ودكتور بدر محمد الأنصاري، . (٢٣/١٠/٢٠٠٢). التفاؤل والتشاؤم: دراسة ثقافية مقارنة بين اللبنانيين والكويتيين. الكويت: جامعة الكويت.
- سامر جميل رضوان. (محرم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). الاكتئاب والتشاؤم دراسة علمية نُشرت في المجلد الثاني، العدد الأول، كلية التربية، جامعة البحرين، . مجلة العلوم التربوية والنفسية.
- التطير مفهومه وآثاره وسبل علاجه، رسالة: ماجستير، عبير بنت سليمان بن محسن الطرطور، فلسطين، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- موقع المشكاة الإسلامية .. www.almeshkat.net
- موقع الشيخ المنجد.. www.almunajjid.com .
- موقع الألوكة .. www.alukah.net .
- موقع السكينة www.assakina.com .
- موقع بصائر www.bassaer.info (الأربعاء، ٢١ ربيع الأول، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م
- موقع نصلح.. www.noslih.com .
- موقع صيد الفوائد.. www.saaaid.net .
- موقع الدرر السنية www.dorar.net .
- موقع طريق الإسلام . islamway.net . ناصر بن سليمان العمر. الطريق إلى التفاؤل .

- موقع حراء الإسلامي. صالح بن محمد آل طالب - دراسات إسلامية - .
التفاؤل والأمل في قصة يوسف - عليه والسلام.
- موقع الإيمان. ، www.al-eman.com
- موقع انا المسلم للحوار الاسلامي، الواقع الأليم، www.muslim.org.
- دروس الشيخ سعد البريك، . مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها
موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.net.
- موقع الإسلام سؤال وجواب. الشيخ صالح المنجد. islamqa.info islamqa.info
- موقع الإسلام اليوم. سلمان بن فهد العودة. www.islamtoday.net .
- موقع ملتقى أهل الدعوة إلى الله... مقال للشيخ: وليد السعيدان.
- موقع المسلم www.almoslim.net.
- موقع الخطباء ww.khutabaa.com
- موقع الرسول ﷺ. www.muhammad-pbuh.com.
- الاستشارات الدعوية . موقع أخوات طريق الإسلام.
- موقع النور للدراسات، د. فضيلة عرفات. (بلا تاريخ). التفاؤل والتشاؤم
مفهومها أسبابها والعوامل المؤثرة فيها.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
استهلال	٥
إهداء	٧
شكر وتقدير	٩
المستخلص	١١
Abstract	١٢
مقدمة	١٥
* الفصل الأول: التفاؤل، مفهومه وأدلته وضوابطه وأسبابه وآثاره	٣١
المبحث الأول: مفهوم التفاؤل، وأدلته وضوابطه	٣٣
المطلب الأول: مفهوم التفاؤل في اللغة والاصطلاح وأقسامه وضوابطه	٣٣
المطلب الثاني: الأدلة على التفاؤل من القرآن والسنة	٤٤
المبحث الثاني: أسباب التفاؤل	٥٩
المطلب الأول: الأسباب المؤدية للتفاؤل عند الداعية	٥٩
المطلب الثاني: الأسباب المعينة على التفاؤل عند الداعية	٧٥
المبحث الثالث: آثار التفاؤل على الدعوة	٨٢
المطلب الأول: آثار التفاؤل على الداعية	٨٢
المطلب الثاني: آثار تفاؤل الداعية على المدعوين	٩٩
* الفصل الثاني: مواقف للتفاؤل في حياة النبي ﷺ والأنبياء والصحابة والتابعين وما بعد عصر تابعي التابعين	١٠٥

١٠٧	المبحث الأول: التفاؤل في حياة النبي ﷺ
	المطلب الأول: تفاؤل النبي ﷺ بهداية قومه وانتشار الدين وإتمامه
١٠٧	والهجرة
١١٤	المطلب الثاني: تفاؤله ﷺ في الأزمات والغزوات
١١٨	المطلب الثالث: النبي ﷺ يعلم أصحابه التفاؤل
١٢٨	المبحث الثاني: التفاؤل في حياة الأنبياء
١٢٨	المطلب الأول: التفاؤل في حياة أنبياء الله نوح وإبراهيم عليهما السلام
	المطلب الثاني: التفاؤل في حياة أنبياء الله يعقوب ويوسف وموسى
١٤١	عليهم السلام
	المبحث الثالث: صور من التفاؤل عند الصحابة والتابعين وما بعد عصر
١٥١	تابعي التابعين
١٥١	المطلب الأول: صور من التفاؤل عند الصحابة
	المطلب الثاني: صور من التفاؤل عند التابعين وما بعد عصر تابعي
١٥٦	التابعين
١٦٣	* الفصل الثالث: التشاؤم، مفهومه وأدلته وآثاره وأسبابه وعلاجه
١٦٥	المبحث الأول: مفهوم التشاؤم وأدلته
١٦٥	المطلب الأول: مفهوم التشاؤم في اللغة والاصطلاح
	المطلب الثاني: الأدلة الشرعية التي تنهى عن التشاؤم وتبين حكمه
١٦٩	الشرعي
١٨٢	المبحث الثاني: آثار التشاؤم على الدعوة
١٨٢	المطلب الأول: آثار التشاؤم على الداعية
١٩٢	المطلب الثاني: آثار تشاؤم الداعية على المدعوين
١٩٨	المبحث الثالث: أسباب التشاؤم وعلاجه
١٩٨	المطلب الأول: أسباب التشاؤم عند الداعية
٢١١	المطلب الثاني: علاج التشاؤم عند الداعية
٢٢١	الخاتمة وتشمل: النتائج والتوصيات
٢٢٥	فهرس الآيات القرآنية

الموضوع	الصفحة
فهرس الأحاديث	٢٣٦
فهرس الآثار	٢٤٠
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٢
فهرس الموضوعات	٢٥٣

